



البُصُورُ

فبراير ١٩٢٩، عرف نفسك بنفسك : فيثاغورس العدد ١٨ مجلد ٤

حدود المعرفة وتقسيبها

على مقتضى كفايات العقل الانساني

الكفايات التي هي أظهر من غيرها أُرأى في حياة الانسان العقلية ثلاث : والظاهر أن هذه الكفايات هي الكفايات الأساسية التي تقوم عليها المعرفة وهي :

أولاً - كفاية الاعتقاد

ثانياً - كفاية التأمل

ثالثاً - كفاية الإثبات

وعن هذه الكفايات الثلاث تنتج ثلاث صور من المعرفة . فمن كفاية الاعتقاد ينتج الدين : وعن كفاية التأمل تنتج الفلسفة : وعن كفاية الإثبات ينتج العلم . إذن فالدين والفلسفة والعلم ثلاثة اصطلاحات وضعت لتدل على ثلاث صور معينة من

صور المعرفة الانسانية، بحيث يفصل بينها في الاعتبار العقل حدود موضوعه: ولا تجتمع الا في حين واحد: اذ ترجع برمتها الى أنها نتاج للعقل الانساني .
وما نعى بالعقل الانساني إلا ذلك الشيء الغامض المبهم الذي فيه من الفطرة ومن الكسب مزيج ينتج تكميلاً نسبته للعقل . وما دام العقل — كإسري بعد — أحد الاشياء التي نعلم بها ولو عجز العلم عن اثبات وجودها بإساليه الموضوعه: اضطرتنا الى القول بأن تعريف العقل وحده مستعصم الى حد بعيد . ولكن يكفي أن نعرف في العقل أنه المصدر المكون من فطرة وكسب والذي ينتج عنه مجموعة المعرفة الانسانية .

١ — كفاية الاعتقاد ونشوء الدين

في الحياة الانسانية ظاهرة من الجائز أن تكون قد سبقت بالوجود أول مدارج الاجتماع . تلك ظاهرة الاعتقاد . فكما أن الانسان كائن اجتماعي بالطبع: فهو كذلك كائن معتقد بالطبع؛ أي انه ذا عقيدة في صحة شيء وبطلان آخر .
فالحاجة . حاجة الانسان الى الاحتفاظ بكيانه وحياته: جرت له الى الموازنة بين الحالات المحيطة به مقدماً بفطرته: مسوقاً بمقتضى غريزته . الى الاعتقاد بصحة عدد من الحقائق المرجحة التي تحف به ظاهراتها وتحوطه تأمبها .
عاش الانسان الهيمجي عيشة الفطري الساذج في جوف الطبيعة يتلبس أوجه الحقيقة ليزيح عن عينيه وشاح الجهل والعمالة التي جرت له الى عبادة الأوثان والعناصر؛ ومضى يتأمل نواحي الطبيعة ليقع على قبس من نور الحق يحلوه به ظلمة الشك القاتل الذي يحورط بماضيه ويحجب بمستقبله . وبهك قواه في حاضره . فلم يجد سوى الوهم والتخيل .
يجبوهما الخوف من جهل المستقبل فراح يضرب مع أوهامه في فلولات الفكر القصي ، يأخذ يده الخيال وتنجده كلما زلت قدمه في مزالق الوهم . تصورات ما نزل بها من سلطان .

تلك حالات تطمئن اليها النفس . ويسكن اليها العقل الفطري ، ما دامت آتية من ناحية الفكر منتهية بالانسان الى صورة من صور الاعتقاد بصحة شيء ما مهما كان ذلك الشيء في ذاته باطلاً .

فالإنسان اذن كائن معتقد بطبعه . وما كان للإنسان ان يقبل بمعتقد معتقداً آخر ، قبل ان تصح عنده مقدمات تسوق اليه ، وما كان له ان يثبت على معتقدين متناقضين أو متضادين تلقاء شئ . بذاته . في زمان بذاته . ذلك لان للعقل الانساني طبيعة لا تسع الا اعتقاداً في شئ . بعينه في زمان بعينه .

من هنا نقول بان الاعتقاد النظري في الإنسان تكاة الدين . كما أن الخوف والمجهل منشؤه . قال المؤرخ ليسكي في كتابه تاريخ حرية الفكر في أوروبا . ص ١٦ جزء اول طبعة ١٩١٣ ما يلي

نجد في حياة الإنسان الفطرية الأولى ان الاعتقاد بالحركان عاماً . بل غالب ما ظهر ذلك الاعتقاد مصحوباً بضروب شتى من القسوة القائمة . والسبب في ذلك ظاهر . فان الفرع كان في كل الحالات الباعث الأول على تصوير الاديان . لان الظواهر التي كانت تبلغ من عقول المتوحشين ابعاد مبلغ من التأثير ليست هي الظواهر التي تدخل في حيز الاشياء الطبيعية من الاسباب الموصولة بالمسيات التي تقع تحت التجربة ؛ أو تلك التي تنتج اكثر مظاهر الطبيعة عوداً بالنفع والخير على الإنسان ؛ بل هي الظواهر المهذمة القاسية التي ترى على ظاهرها : كأنها خارجة عن النسق العام . والحب والعطف اقل في الواقع من الخوف في النفس اثرًا . لذلك نرى أن اقل خروج في الطبيعة على اوجه تجانسها الظاهر : مدعاة الى احداث انفعالات قسية في الإنسان . امعن في النيل من شعوره من ابعث مظاهر الطبيعة على الروعة الهادئة والاعجاب الساذج . فاذا وقع في عتلى الحمجي من آثار الطبيعة ابلغها في الشدة والعتى ؛ أو اذا اصابه من الامراض مهلكها ؛ أو من اخطار الطبيعة ما يؤدي به الى العدم ؛ فهناك يستمد الحمجي من تلك الحوادث اسباباً يبنى عليها اعتقاده في الشياطين والارواح الشريرة . قفى ظلام الليل الحالك ؛ أو في حدوث العواصف الشديدة العاتية وترديد الوديان والجبال صدى تلك الرياح المتناوحة ؛ أو في ظهور مذهب عظيم يضئ الليل بوجهه وضائه ؛ أو في حدوث خسوف أو كسوف تظلم معه جوانب الطبيعة بعد اشراقها اوفى وقوع قحط يذهب بالحرث ولا يبقى النسل ؛ أو في أى مرض يكون له تأثير ما على قوام العقلية السليمة ؛ بل في كل ما يسوق الى شر أو ينتج ضرراً مبعث في نفس الحمجي

على الشعور بشئ، بتخيله مما وراء الطبيعة . وهو أذ يعيش معرضاً إلى قواصر الطبيعة وأعاصيرها، جاهد لسلسلة الاسباب التي تصل بين أطرافها المشعبة، يقضى المصير عيشه في خوف مستمر، متخيلاً أن هالة من الأرواح تحيط به، وإن جوا من الشر تأويه، ذلك يدل على أن منبت الدين الاصلى اعتماداً فطرياً ينزل منزلة الضرورات التي يرجع أصلها إلى الغرائز، جرت إلى تشكيله حالات أحاطت بالإنسان؛ فاختلقت نظراته في المعتقد الديني باختلاف تلك الحالات .

٢ - كفاية التأمل ونشوء الفلسفة

إذا خرجنا من عالم الاعتقاد ولجنا عالم التأمل؛ ويحسن بنا أن نبين هنا أن الإنسان كما هو معتقد بالطبع واجتماعي بالطبع . هو كذلك متأمل بالطبع؛ ولن يكون تأمل بلا اعتقاد؛ ولا فلسفة بلا تأمل .

يبدأ الإنسان بالاعتقاد من غير أن يكون له اختيار في أن يتأمل في حقيقة ما يعتقد به . فإذا داخل الإنسان الشك في حقيقة شيء ما، يعتقد به بدأ يتأمل في ما يقوم عليه اعتقاده من المقدمات وفيما يمكن أنه يصح لدي العقل من النتائج التي تؤدي إليها هذه المقدمات . فإذا صح لديه من طريق ما أن الحقائق التي اعتقد بها بدياً لا تلائم ما وصل به إليه التأمل؛ أخذ من ثم يتلس طريقاً يوفق به بين معتقده واستنتاجه أي بين دينه وفلسفته . غير أنه غالب ما يعز عليه أن ينفي الدين كما يعز عليه أن يلغى الفلسفة . فيحاول من ثم في المزج بينهما مزجاً أخرج لنا كل صور الدين العليا؛ وكل مذاهب الفلسفة اللاهوتية التي قامت على مدى الأزمان

٣ - كفاية الإثبات ونشوء السلم

من الاعتقاد ومن التأمل مزوجين تولد حالة ثالثة، هي من حيث الأصل فطرية في الإنسان . على أن هذه الحالة لن تنشأ إلا مع الشك، فإن الإنسان إذا شك في معتقده ثم شك في استنتاجاته التأملية، نزع ضرورة إلى الإثبات . فإذا كملت لديه هذه النزعة الإثباتية نشأ مع كل ما الأسلوب العلمي في أول مدارجه . فإذا تدرج في طريق الإثبات تحيزت الطريقة العلمية الإثباتية على الأسلوب الحديث؛ فأصبحت عبارة عن وحى الخواص تمحيذا لها عن وحى المعتقد ووحى التأمل .

وهنا يجب علينا أن نرجع الى الفلسفة الانبائية Positive Philosophy لنقول بأن ما وضع أو غشت كونت من القواعد في تقسيمها بلانم تمام الملائمة تقسيم المعارف الانسانية على حسب الكفايات العقلية في الانسان . فان دراسة الادراك الانساني من كل تاحياته تدلنا على وجود قانون ضروري يخضع له العقل ، تبينه من أثره في النظام الاجتماعي والتجارب التاريخية الثابتة .

ان كل ذكراتنا الاولى ومذكراتنا وكل فرع من فروع معرفتنا . لابد من أن يمر بالتوالي على ثلاث حالات مختلفة . الاولى اللاهوتية وهي التصويرية التخيلية : والثانية الميتافيزيقية الغيبية : وهي التأملية المجردة : والثالثة الانبائية - أو تجاوزاً - البقية الواقعة هذا هو الاساس الذي تقوم عليه الفلسفة الانبائية أي فلسفة كونت ، الحديثة وعليها يقوم التقسيم الاخير الذي اعتمد عليه الباحثون في تمييز العلوم بتمتضي الكفايات العقلية في الانسان . أما الحالة الانبائية فهي التي ينشأ فيها العلم الصحيح .

إن من أخص ما يحتاج اليه في تحديد معنى العلم أن نظهر الفرق بين نزعة العلم ونزعة الدين أي الفرق بين ما تنتج نزعة الاعتقاد ونبذة الانبات في الانسان من المظاهر . أما الدين فنزعة ذاتية - Subjective - محدودة في انبائها تنسب أو تحاول أن تنسب قيمة ذاتية خاصة لخادئات الحياة وظواهرها . وهي في أهم وجودها عبارة عن معرفة الوجود بشكل عام مطابق مستمد من الرغبات والضرورات الراجعة الى الشعور أو القلب الكامن ، والى روح الانسان اذ ترتد الى النظر في حياتها الداخلية أكثر من نظرها في علم الطبيعة الخارجي . أما نزعة العلم فيفخر العلماء بانها غير ذاتية بل موضوعية عامة - Objective -

يصل الدين الى العالم الخارجي المنظور مزوداً بمطالب يحارل من طريقها أن يخلق جواً ملائماً لمجموعة من الرغبات والانفعالات الخاصة . أما العلم فيظهر خلوا من كل شيء . ولا يصل الى العالم الا ليعرف الكون من طريق النظر الحسي في طبيعته .

(١) سمي البعض هذه الفلسفة بالوصفية خطأ وسببها في بعض ما كتبت باليقينية ، ولكن الآن أفضل اصطلاح الفلسفة الانبائية على اصطلاحى الاول لان اليقين ولو أنه يؤدي الى المتي الاصلى تماماً الا أنه قد يحتل لدى البعض بأنه التسليم اليقيني الذي يجري عليه أمل الدين .

يترك العلم الطبيعة حرة في أن تلقى في روع كل إنسان سرها وروايتها بلغتها الخفية وبلاغتها الحتمية . أما الدين فلا يرضى للطبيعة أن تتكلم بلغتها . فيضع لها لغة . و ينتحى لها اسلوباً من البلاغة مخالفاً لبلاغتها . ثم يرجع في كل الظواهر الى استيفاء أغراضه الأولية ، لا الى الترجمة عن حقائق الكون كما تريد الطبيعة أن تلقىها في روعنا .

هذه هي الحدود الموضوعية للكفايات العقلية الثلاث وما ينتج عنها من صور المعرفة . فلتحاول من ثم تحديد العلاقة الواقعة بينها .
 هـ — العلاقة بين الدين والفلسفة والعلم

لقد حدد الاستاذ د. تيودور مرتز ، هذه العلاقة تحديداً قريماً : لهذا نتمد عليه في شرحها وبيانها - قال

هنالك أشياء كثيرة تقوم في عتلية كل فرد من الافراد : شخصية في طبيعتها ذاتية في مبعتها ولهذه الاشياء في أنفسنا من الشأن والخطر ما لا نغفلها من مطالب الحياة وحاجاتها ومن هذه الاشياء تكون المادة الحقيقية التي يتركب منها الفكر الخارج عن ميدان العلم وهي في جوهرها ومظهرها مناظرة للعلم الاثباتي أي أنها طرفي تناظر . وفي هذا الشطر من الفكر لا يستطيع شخص بذاته أن يقوم بعمل ينتفع به الكثيرون على نفس الطريقة التي تحتذى في العلم فلاخذ بالبرهان في ذلك الشطر من الفكر مستحيل والاجماع على شيء فيه لا يضم تحت لوائه الا عدداً قليلاً من الناس . وذلك هو الدين .

أما الصفة التي تلازم ذلك الشطر من الفكر فكونه فردى ذاتي . في حين أن العلم مهما كانت صبغته ومهما كان أصله عام موضوعي : أي غير ذاتي . يرجع الى الموضوع لا الى الذات التي تفكر في الموضوع وتفحص عنه . فإذا مثلت الفكر بشيء ذي طرفين متناظرين الفيت أن العلم الرياضي في أحد طرفي الفكر . وان الدين في الطرف الآخر . وتجد أن التجانس والاتفاق في الطرف الاول صفة ملازمة كالاختلاف في الطرف الثاني . تلحظ أن وحدة الفكر صفة ثابتة في الطرف الاول في حين أنك لن تقم لها على ظل في الطرف الثاني — ان وحدة الفكر لم تعرف في الدين ولن تعرف

فيما بين هذين الطرفين تقع على مسافة كبيرة من الخلف تصل بينهما . ان هذه المسافة يغشاها من الفكر صورة تصل بين الطرفين فتبرز حيناً في هيكل من المعرفة وآخر في مثال من

الايان : فيختلط فيها قليل من الاشياء المحتملة : بكثير من الايمان و الاعتقاد المبهم .
 تلك المسافة الكبيرة : وهذه المفازة المترامية الاطراف : والتي توارد عليها صور
 التغير والاختلاف سريعة متعاقبة : هي سكن الفلسفة الحقيقي . ومنبتها الاصلى .
 الفلسفة التي تتناول الحقائق ولا تأنف من الايمان . الفلسفة أصل المعرفة ومنبع المعتقدات
 واليقين . الفلسفة حلقة الوصل بين الطرفين المتناظرين . طرف العلم الابتاتى :
 وطرف الدين .

٦ - استعمال اصطلاح . العلم . استعمالاً مجازياً

بعد أن قطعنا هذا الشوط من البحث يجب علينا أن نبين أن اصطلاح العلم كثيراً
 ما يستعمل مجازياً فبدل على المعرفة . فان الغالب عند كل من يحاول أن يعرف شيئاً
 من حقائق الكون . أو قضايا المنطق الجدلية أو القياس أو أصول الدين أو التشريع
 أو النفس أو الادب أن يسمى هذا علماً . والكل معذور في أن يستعمل هذا الاصطلاح
 في هذا المعنى المجازي الواسع . لأن كل ما وصل اليه من مناهب الفلسفة أو مبادئ
 العلوم أو أصول الشرائع من العالم القديم سمي علماً . ذلك لان تقسيم المعرفة على
 مقتضى كفايات العقل الانسانى وليد العصور الحديثة . ولهذا تجد من أصعب الاشياء
 أن تناقش شخصاً لم تحيز في عقلية الفروق الموضوعية بين أقسام المعرفة على مقتضى
 الكفايات التي تستمد منها في تكوين العقل . ذلك لانه يعتقد أن الدين علم وان
 الفلسفة علم وان العلم علم . في حين أن الاصطلاح الجامع لهذه الصور الثلاث هو
 المعرفة ، فالدين معرفة والفلسفة معرفة والعلم معرفة . ومن مجموعها تتكون المعارف
 الانسانية . ولا جرم أننا من غير أن نميز بين الفروق الموضوعية بين هذه الصور
 نضرب في ليل من القوضى حالك السواد . لهذا نحدد صور المعرفة بما يأتى :

١ - الدين Religion - اعتقاد Bêlief - ذاتى Subjective

٢ - الفلسفة Philosophy - تأمل Maditation لا ذاتى صرف ولا موضوعى
 صرف Neither purely subjective nor purely Objective أو استنتاج
 or deduction

٣ - العلم Science - اثبات استقرائى تام Perfect induction -

موضوعي Objective . وبين هذه الصور الثلاث يجمع اصطلاح واحد هو .

٤ — المعرفة Knowledge

على هذا نجد أن العلم محدود تحديداً تاماً بسيطاً وكذلك الدين . أما الفلسفة جسر يصل بين الشطرين المتناظرين شطر الدين وشطر العلم . فإذا لم نراع هذه الحدود وإذا لم نراع الدقة في استعمال هذه المصطلحات ، لم نستطع أن نحدد التفكير وبذلك تتخالف علينا المقاصد في العلم والفلسفة والدين . بل نعجز عن أن نحدد الاغراض التي نرى إليها ونبالغ في تقسيم الحاجات الفكرية والمادية مبالغته قد تصل الى حد الافراط حيناً أو التقدير حيناً آخر . بل لا نخطئ إذا قلنا إن كل المناقشات التي تقوم حول المباحث العقلية تصبح خليطاً من صور الفكر لن تؤدي إلى نتيجة ولن نصل معها إلى غاية . وبذلك نقسح المجال للجدل المنطقي الذي ذاعت مع ذبوه مذاهب الفسطة في العصر اليوناني .

لا جرم أن بحثنا هذا يظل ناقصاً إذا لم نظهر الباحث على اشياء عديدة يشترك فيها العلم مع الفلسفة اشتراكاً كبيراً . وعلى هذا نبدأ بالكلام في « الفرض » . وليس غرضنا أن نحدد ما هو « الفرض » في المنطق أو ما هو « الفرض » في الفلسفة القديمة . بل نقسم الفرض إلى قسمين : أولهما الفرض الضروري : وثانيهما الفرض الامكاني . ثم نمضي في اظهار الفرض الضروري لنستطيع بذلك أن تميزه عن الفرض الامكاني . أما الفرض الضروري فهو عما يقبله العلم على ما حددناه من قبل . واما الفرض الامكاني فلا مكان له إلا في عالمي الفلسفة والدين .

٧ — تعريف الفرض الضروري

« الفرض الضروري هو عبارة عن الحكم الذي يقصر العقل على التسليم به بمتنصتي ما في العقل من ألفة لا يمكن الاحتفاظ بها إلا من طريق التسليم بذلك الفرض » . في حين أن « العلم ، Science ، يضطر إلى التسليم مع العقل بصحة ذلك الفرض ولو أنه يعجز عن اثباته بالطرق العلمية الموضوعة » .

٨ — تعريف الفرض الامكاني

« هو الفرض الذى يستوى فيه حدى الوجود والعدم ؛ أو الذى يحتمل أن يكون له حقيقة موجودة ؛ كما يحتمل أن لا يكون له أية حقيقة فى الخارج . ومعنى هذا أن العقل اذا سلم بالفرض الامكانى أم لم يسلم ؛ فانه يظل محتفظاً بألفته كاملة . فى حين أن العلم يرفض التسليم بالفروض الاكائية رفضاً باتاً تاماً ؛ ما لم تثبت صحتها ثبوتاً قاطعاً بالاساليب العلمية المعروفة .

٥ - ش. ح. المنهج فى الفرض الضرورى

الطريقة العلمية تقوم على وحى الحواس . ولذلك يقول الباحثون فى الأسلوب العلمى ، كل ما لا تثبته الحواس لا يمكن أن يكون صحيحاً . . . بهذا قال سينر وجاراه فى ذلك الكثيرون . على أن الحواس التى يفقد الانسان بفقدانها كل ذاتية عقلية فيه ناقصة ؛ لا تؤدى إلينا من الادراك إلا ما يقوم مقام الفرض الصرف فى كثير من الحالات . ولقد عدد فلاسفة العلماء حقائق كثيرة نحن مجبورون على الاعتقاد بصحتها ؛ فى حين أن العلم يعجز عن معرفتها وإثبات وجودها بطرقه الموضوعة . واليك مثال من ذلك .

(١) وجود عالم خارج عن حيزنا

خذ مثلاً التكاثر التى تكتب عليها . كيف تعرف انها خارجة عن حيزك ؟ وبالأحرى كيف يمكن أن تثبت علماً انها خارجة عن حيزك ؟ انك اذا نظرت اليها أو لمستها او وقعت تحت حرك بحال من الأحوال ؛ فكل ما فى مستطاعك أن تعرف منها ليس سوى مدركات حواس كائنة فيك ؛ وليست خارجة عن حيزك . لافى لونها وصورتها ، بل أيضاً فى صلابتها وقوتها ؛ والدليل على هذا أن فقد أعصاب البصر يمنع عليك أن تراها . وان فقد أعصاب اللمس يمنع عليك أن تحس بها . وان فقد الحواس جميعها يمنع عليك أن تدرك أنها موجودة البتة . ذلك فى حين انه وان لم يكن فى مستطاعك أن تعرف من وجود تلك التكاثر علماً إلا احساسات كائنة فى حيزك . إلا أن تركيب عقلك قد وضع على نظام يحملك على أن تعتقد بأنها كائنة فى حيز خارج عنك . فاذا اعتقدت بما يخالف ذلك ؛ وأخذت تؤدى عملك بما يوحى إليه اعتقادك هذا ؛ كان ذلك دليلاً على أن ميزان العقل قد اختل وتفككت الفقه

هذا فرض ضروري يسلم به العقل قسراً : ويسلم به العلم وإن عجز عن إثبات وجود
التسكك في عالم خارج عن حيز الإنسان بأساليبه الموضوعة .

(ب) — في أن وجود المادة يتوقف على وجود قوى الجذب والدفع

أما أن قوى الجذب والدفع حقيقة طبيعية : فذلك مالا سبيل إلى إحضاره أو
التشكك فيه . فإنا إذا أخذنا جسماً صلباً وأردنا أن نفصل بعض أجزائه عن بعض
فإنه يقاوم مجبوراً . وكذلك هو يقاومنا إذا أردنا أن نضبط بعض أجزائه مثبتهً بذلك
أنه إنما يتركب من دقائق تتجاذب وتندفع في آن واحد . وإلى هذه الحقيقة تعود
ظاهرة التفاعل وعدم التفاعل في العلم الطبيعي : بل وفي أجزاء الطبيعة برمتها . ومع
كل هذا فإن هذه الحقيقة تهر الأدرak العلى في تعليل كيف أن دقيقة واحدة تجذب
أخرى في حين أنها تدفعها وتقاومها . وفي ذلك يقول سبنسر أننا لا نستطيع أن نأتى
بقطعة من المادة يظهر فيها أن جزء يجذب آخر في حين أنه يدفعه . ومع هذا فإن
الاعتقاد بذلك الزامى ضرورى .

اذن فالتسليم بوجود قوى الجذب والدفع فرض ضرورى العقل مقصور على
التسليم به ؛ وفي ذلك يجاريه العلم كرهاً ولو أنه يعجز عن إثبات وجود هاتين القوتين
بطرقه المعروفة .

(ج) — في بقاء القوة

أى في حقيقة أن كمية القوة الموجودة في الكون ثابتة لا تزيد ولا تنقص
يقول العلامة سبنسر ، أن هذا الاعتقاد أساس كل العلوم الحديثة . وأنه النبع
الفائض الذى نستمد منه العلم بكل النواميس الطبيعية . يقول : إن كل النواميس
الطبيعية الأخرى ليست سوى ترابع تعود إلى هذه الحقيقة العظمى . وكل الاستغناء
العلى يفرض ، أن القوة ثابتة . لأنها إذا لم تكن كذلك أصبحت أدوات قياس
الأبعاد التى هى في ذاتها عبارة عن قياس القوة الجاذبة . وكل أدوات الأخرى التى
نحقق بها استنتاجاتنا العلمية متغيرة بين يوم وآخر أو بين ساعة وأخرى . وبذلك
تصبح كل المعارف الطبيعية غير ممكنة . لذلك كان مبدأ بقاء القوة . ولولا نستطيع أن
نثبته علماً ، اعتقاداً الزامياً ضرورياً . والعلامة سبنسر يعتقد أن هذا الفرض ،

وان كان أساس العلم الطبيعي : إلا أن العلم ، يعجز عن ادراكه واثبات وجوده بطريقة المعروفة التي تعتمد على الحواس . وهذا مثال حق يثبت قاعدة إن كثيراً مما لا يمكن أن يدركه العلم الطبيعي : يجب أن يعتقد بوجوده . اذ لولا هذا الامر : لتحلل ذلك الهيكل النظامي الذي ترتكز عليه معرفتنا .

هذه أمثال ثلاثة وفي مستطاعنا أن نأتي بأمثال أخرى . فالعقل ووجوده في ذوات غير ذواتنا لا يمكن اثباته بالطرق العلية . وكذلك الاثير والاعتقاد بتفوق العقل على المادة : والشجاعة على حب الملاذ والاعتقاد بوجود السيرة العلية . كل هذه الاشياء نقسر على الاعتقاد بوجودها عقلاً باعتبارها فروضاً ضرورية في حين أن العلم يجاري العقل فيها ولا ينكرها عليه . بل هو مضطر باتخاذها قاعدة يبنى عليها ولأنه يعجز عن اثبات وجودها بالاسلوب العلي

هذا هو الفرض الضروري فلنحاول من ثم في تطبيقه على بعض الاشياء التي تقوم عليها معرفتنا نعرف الفرق بينه وبين الفرض الامكاني ولنجعل الفكرة في وجود الله محوراً يدور حوله البحث .

١٠ - الاعتقاد بوجود الله فرض ضروري

يعتقد كثير من أصحاب العقول الراجحة في هذا الزمان أنه ليس في الفلسفة من شيء هو أبعد عن ألفة العقل من تلك الفكرة التي يطلق عليها اصطلاح « الناسوبية » - Anthropomorphism أي الفكرة القائلة بزويد الله بشيء من الخصائص الانسانية . على أن الاعتقاد بأن الخالق مكون على حسب نماذجنا العقلية ؛ أو أنه صورة من صور الفكر الانساني لاعتقاد فيه من الباطل بقدر ما في العقول بأن الارض مركز النظام الشمسي : وان الانسان محور العالم . وعلى الرغم مما في هذا النقد من الصحة ومطابقة الواقع ؛ فإن محاولة الاعتقاد بأن علة الكون من الممكن ادراكها بما يعجز عن ادراك ذواتنا : أمر بعيد عن الامكان بحكم الطبيعة ؛ بل قول هراء لا أثر له من الحقيقة .

خذ لذلك مثلاً ، ايسينوزاً ، فإنه أبعد الفلاسفة عن الاعتقاد بأن الخالق مكن على نموذج عقله ؛ ومضى في فلسفته متخيلاً أنه اجتاز هذه العقبة الكيود ؛ بأن جعل

الخالق عبارة عن « امتداد وفكر » . غير أن « كثرة ما تفتقر هذه الفكرة متساويًا » :

من أين أتت لاسينوزا فكرة « الامتداد » إلا من النظر في حالات جسمه الطبيعية ومن أين أتت له أذاؤه « فكر » إلا من النظر في حالات عقله . — ذلك لأن الامتداد والفكر ليسا سوى شيئين هما أحسن ما تصنف به الاجسام والعقول .

وكذلك سينسر . فإليك إن نظرت في فكرته في الله لم تجد أنه تخلي الخلد الذي وصله « سينوزا » . فكأن الخالق عند سينوزا لم يكن إلا شبحاً إنسانياً تمثله حالاً في مكان — امتداد وفكر — كذلك كان الخالق عند سينسر عبارة عن تمثيل صرف لفكرة غير معينة هي فكرة « القوة » ، وهي فكرة مستمدة من أحط الخصائص الإنسانية : خاصة ادراك الحس . إذ قال بأن الخالق « قوة خفية » تدبر الكون .

وأنت مهما قلبت وجه الرأي وأمعنت في النظر فإنيك تجد دائماً أن فكرة القوة كما ثبت من قبل : مستمدة من قسم من ذاتيتنا : أي من ادراك الحس . إذن نجد أن سينسر بدلاً من أن يجعل الخالق بعيداً جهده البعد عن الذاتية البشرية كما كان يعتقد إذا به يتمثله على نموذج مستمد من أحط خصائص الانسان . على أنه — — — أن حل على « النسوتية » ، لأنها تزود الله بأرق الخصائص الإنسانية : مستقلاً ذلك في جانب الله : رجع فزلت قدمه فيما زلت فيه قدم غيره من الفلاسفة : فزود الخالق بخصائص مستمدة من أحط الصفات التي يشارك فيها الانسان أدنى الحيوانات بدلاً من أن يتركه مزوداً بأرق الخصائص الإنسانية .

ومن الجلي بعد هذا أننا في كل المباحث التي تتعلق بالنظر في أصل الأشياء : لا يجب مطلقاً أن تسأل عما إذا كنا نصور « علة الكون » ، على نسق مستمد من ذاتيتنا . لأن تصور العلة على ذات الذاتية البشرية أمر لا يمكن أن تتصرف عنه ذات إنسانية قلبية . بل الواجب أن تسأل دائماً عما إذا كنا نصورها على نسق مستمد من نظريات سطحية أم نصورها على نموذج مرجعه الواسعة في النظر ، والآلة التامة المراقبة لنظام العقل الإنساني .

أما وقد أظلمت ناأنا لانتظام أن ندرك من حلة الكون إلا نموذجاً مرجحاً تصبر ربه إلى

تجاربنا الذاتية ، فإنه يكون من الجلي أن اعتقادنا في وجود إرادة عاقلة أي علة خالقة أو عدم اعتقادنا ، يرجع إلى ما ندرك من فكرة السبية . وما دام فهمنا السبية عائدًا إلى ما ندرك منها حسب تجاربنا العلمية ، أي أنها تنحصر في القياس على السوابق الطبيعية الظاهرة أجلى ظهور ، فمن الواضح أننا لا نرضى في عقليتنا فكرة التسلسل السببي إلا بالاعتقاد في أن الأشياء لابد من أن تكون قد نشأ بعضها عن بعض مترجحة في سلسلة منظومة خلال الزمان ، وهذا أمر يلزمنا الزام ، والفرض الضروري ، بوجود إرادة عاقلة مخبوء وراء عالم الظواهر الطبيعية ظلت مؤثرة في الماضي والحاضر ، وستظل كذلك في المستقبل .

غير أننا إذا اعتقدنا بأن السبية الحقيقية تشمل في مدلولها فكرة الإرادة ، فمن الظاهر أننا إذا أردنا أن نحفظ بألفة العقل البشري : تلك الألفة الصحيحة التي لا يمكن أن نتخذ غيرها دعامة للبحث وراء الحقيقة : ، فمن المحتم علينا أن نعتقد في إرادة عاقلة حرة تتخذها علة للأشياء ، أو بعبارة أخرى ، أن نعتقد في خالق . وعلى ذلك نلزم القول بأنه كما يكون رأينا في السبية ، كذلك يكون معتقدا في الدين .

أما إذا أردنا أن نصل إلى نتيجة جلية واضحة في بحثنا هذا : فيجب أن ننظر أولاً أن العلة الوحيدة التي في استطاعتنا أن نتناولها بمعرفة يقينية وبحسب اختبار هي إرادتنا الذاتية : وقدرتها على تحريك أعضاء الجسم ، والاجسام التي تقع تحت سلطانها . وما فعل الإرادة الإنسانية في الواقع إلا الانتقال من حركة عقلية إلى فعل ضمني . أي الانتقال من العقل إلى المادة . وما دامت معرفتنا للسبية من طريق الاخبار مقصورة على ذلك : فمن الظاهر الجلي إذن : أننا إذا تركنا وبدلنا المفطر يقلزمنا أن نعود بالكون ، كما فعلت كل الأديان . إلى فعل عقل عظيم نعرفه باسم باري الأشياء . فإذا ما قلنا ذلك نكون قد حفظنا على العقل البشري تلك الألفة التي يتطلبها الاعتقاد الصحيح

إن هذه النتيجة ، على ما فيها من السذاجة وقربها من أحكام العقل الأولية لا يتركها العلم من غير أن يحداها بسلطانها . يتدخل العلم في هذه النتيجة ويحس في «المنابر والمقولات» بأن تلك الحركة العقلية التي نسميها الإرادة ليست إذا ما بحثت

من أساسها سببية حقيقية . ولا تزيد عن كونها ظاهرة عقلية او عرض من أعراض سببية حقيقية . وما تلك السببية الحقيقية لدى العلم الا تلك الاهتزازات التي تناول نشاط دقات المخ ومراكز الحس العصبية . وعلى ذلك يكون مضمون السببية الصحيحة عند العلم ليس الانتقال من الحركة العقلية الى الفعل الطبيعي بل الانتقال من سابقة طبيعية الى لاحقة طبيعية . أى من مقدمة طبيعية الى نتيجة طبيعية . ولا تعدى مطلقاً حكم السنن التي تصرف فيها وتنتجها .

يقول العلم إن الحركة العقلية التي ندعوها الإرادة ليست سوى عرضاً يلزم اهتزازات دقات المخ المادية . وليس لها من أثر في أحداث الأفعال أكثر من أى عرض آخر

فاذا كانت نظريتنا في الكون . ليست سوى استعراض صرف للنظريات التي تخلفها عقولنا سواء كان تكوين عقولنا يدل على أن الإرادة ليست السببية الحقيقية وانها ليست الا عرضاً من أعراض السببية الحقيقية فظاهر أن الاعتقاد في عقا مدبر أو إرادة ترد اليها العلة في وجود الكون . يتحطم على صخور العقل البشري ويتفرق بدداً وتحل محله عندنا تلك النظرة المادية الضيقة التي تسوقنا الى القول بأنه ليس في العالم الا سلاسل من السوابق الطبيعية ونتائج متلاحقة تتبع احداها الاخرى . على تالى الاحقاب وخلال تواتر الزمان . كما كانت . وكما هي كائناً . وكما ستكون . على أنسا اذا أردنا أن نرد على القائلين بالسببية العلمية وكفائتها لتعليل كل ما في الكون والحياة فليس من قصدنا أن ندفع براهينهم برهاناً ببرهان . ولكن قصدنا ينحصر في أن نظهر أنهم انما ينظرون في العالم من بين أقدمهم نظرة ضيقة يتبدلون معها من ألفة العقل والحقيقة التي في مستطاع العقل أن يدركها بعاء صرف لا تظير له من شيء . في هذا الوجود الأعماء المادة الجامدة .

ينصرف الناس في كل ما يتناولونه بالكلام والبحث وهم على شعور تام بان كل واحد منهم انما يملك شيئاً يقال له القوة المدركة . وان لهم شيئاً يقال له حس الجمل الموسيقي . وما اليها من الخصائص . كما أنهم يملكون ذلك الشيء المبهم الذي يسمونه

الارادة . فاذن سقت ابحاثك مقتعاً بان الارادة ليس لها وجود حقيقى . وانها ليست سوى عرض من اعراض اهتزازات دقائق المخ لم يبق امامك من شىء آخر الا أن تذكر مع انكارك الارادة كل وجود حقيقى لكل الخصائص العقلية التى للانسان . وعلى نفس الحجج التى يستند اليها الماديون فى انكار الارادة نستطيع أن نستند فى انكار كل القوى المدركة والملكات الأخرى .

تستطيع أن تقول مثلاً بان القوى المدركة يرمتها انما هى عرض لاهتزازات دقائق ما فى مادة المخ . وبذلك لا يكون لها وجود حقيقى البتة . وكذلك الحال اذا نظرت فى اجمال . يمكنك أن تعتبره كمجرد وهم أو خيال . وبسبب حقيقة ثابتة خائفة . تستطيع أن تقول إن اجمال عبارة عن مجرد تنسيق للمادة فى صرر معينة لا يلبث أن يزول أثره اذا نظرت فيه من عدسة المجهر . وهكذا الموسيقى . فى قدرتك أن تدعى انها عبارة عن مجرد اهتزازات مادية موقعة على انسجة مادية . وليس لها وجود حقيقى . وكذلك اذا نظرت من تلك الناحية فى حب العظمة والشجاعة والفضيلة والشرف ومضاداتها من حب الذات والملذذ والسقوط الادنى . فانه فى استطاعتك أن تعتبرها حركات خلايا خاصة توجه توجيهاً معيناً لا اقل من هذا ولا اكثر .

فاذا عمدت الى النظر فى العالم كما ينظر فيه الماديون مولياً بوجهك عن خصائص الانسان العقلية . واكبت على تقدس ما ترتكز عليه هذه الخصائص من القوى والمواد الطبيعية وحدها فانتك لا تقتل بذلك الارادة وحدها كوجود حقيقى . بل أنك تنقض على الشعر والموسيقى والحقيقة وعلى كل المراتب والفروق الكائنة فى العقل بين منارل التفكير والعواطف .

وعلى اجلة تنقض على كل قضايا العقل الانسانى . ولا تترك فى الكون من شىء الا كسلة مواتاً وصحراء مجردة من المادة والحركة . ولما كانت المادة والحركة لا يمكن ادراكهما الا من طريق الحواس ففى استطاعتك أيضاً أن تنكرهما . اذ لا يكون لديك من سبب يملك على ان تعتقد ان العالم مكوّن على النموذج الذى تروى اليك به الحواس

الى هذا اخذ من التهورس والنقضى يكون النظام العالمى فى نظرك اذا تطلعت فيه

من هذه الوجهة المادية الصرفة ومن الظاهر الجلي اننا اذا أردنا أن نرد على العالم نظامه وألفته على مقتضى ما في العقل الانساني من نظام وألفة فان من الواجب أن لا ننظر فيما يمكن أن يثبت أو ينفي نظرياً بل ننظر فيما يمكن الاعتقاد به عملياً. هذا مع علتنا بأن هذه الألفة سواء أكانت مبنية على وجهة النظر المادية أم وجهة النظر الروحية فانها أقصى ما يمكن أن نبلغ من صلة بالحق في هذه الحياة .

والمثال : اني مضطر لان اعتقد بوجود عالم خارج عن حيزي لأنخذ اعتقادي هذا دعامة حقة وأساساً ركيزاً في سبيل بحثي عن الحقيقة . ذلك على الرغم من أن الفلاسفة قد ينكرون ان للعالم الخارجي وجوداً حقيقياً في ذاته . كذلك اعتقد ان هناك فرقاً قائماً بين التفضيلة والرزيلة . وبين سمر المدارك الروحية والشهوات . وبين الانانية والتضحية . وبين الذاتية والغيرية . ولو ان الماديين اذ يرجعون بهذه المعاني بلا تفريق بينها الى امتزازات دقائق غير مختلفة أي اختلاف ما انما يلزمون انفسهم الحجة بحكم العقل بأن هذه المعاني لا تختلف بعضها عن بعض اختلافاً حقيقياً .

أراقى اعتقد بوجود حقيقي للذكاء والادراك والجمال والموسيقى والشعر والحقيقة ولو ان هذه أيضاً يمكن ردها الى مجرد حركة بعض خلايا لا ادراك ولا ذكاء فيها والى قوات لا تعدو تلك الخلايا ادراكاً ولا تبرزها معرفة وذكاء .

وعلى هذا النحور اني مضطراً الى الاعتقاد بوجود حقيقي لما نسميه الارادة ، ولو أن الماديين قانعون بانها ليست سوى عرضاً يصاحب حركة الدقائق في المراكز العصبية .

فاذا كانت ألفة العقل البشري تتطلب سبباً للعالم المرئي واذا كل ما في مستطاع اختباري أن يصل من علم بالسبب الأول ينحصر في الفعل العقلي للارادة التي أشعر وأحس بها فمن الواضح الجلي اني مقصور بضرورة ألفة عقلي ومقتضياته على الاعتقاد بان هذا الكون العظيم معلول لارادة عاقلة أي الى خالق . وليس من معنى ذلك انني أعرف أو أعلم ان للخالق وجوداً حقيقياً . اكثر مما أعلم أو أعرف أن للعالم الخارجي المحيط بي وجوداً حقيقياً . إنما كل ما أعلم أو أعرف اني جبلت على انني لا استطيع ان أرد على عقلي ألفته واحتفظ بنظامه الا اذا اعتقدت بوجود خالق ذي

إرادة حرمة عاقلة و الاقان كل معتقداتى الثابتة تنهار وتتحطم و يطمر على سيل الحيرة والفوضى .

ولست أجد من ضروريّة تقضى على بأن أظهر كيف أن عقلا أو إرادة تكون علة للعالم ، كما انى لست أعلم كيف أن حقيقة من المادة تجذب أخرى في حين أنها تدفعها . ومع ذلك فاني مقصور على الابتعاد بسببية الجذب والدفع ، كما أنه ليس في مستطاع أن أعرف كيف يتحد العقل مع مادة المخ ومع نشاط دقائقه وحركتها وليس لذلك من علاقة لاتصال العلة بمعلولها أو السبب بالمسبب بالمعنى العلمى ، لان ذلك يتطلب الموازنة بين الاصطلاحين ، ولا يمكن أن نضع موازنة بين ذلك الشيء الغامض المبهم الذى نسميه العقل ، وبين القوة ومادة المخ مثلا . ويمكننى لدى اتنى يجب أن أعتقد بحقيقة العلاقة الكائنة بينهما . فلست أعرف مثلا كيف أن إرادتى تكون سيادا فعلا على إحداث حركاتى البدنية . ولكن يمكننى عندى أن أعتقد في حقيقة أن إرادتى تدفعنى على القيام بحركاتى الجسدية . وعلى هذا السن ، وعلى هذه القاعنذاتها ، يمكننى عندى ان الزم بالاعتقاد بوجود خالق . من غير أن أجد نفسى مضطرا لأن أظهر كيف أنه السبب في وجود الاشياء ؛ وكيف أنه علتها ؟ ونفضلا عن كل هذا فإن الكون المادى اذ يقتصر وجوده لدينا على تكوين عقولنا ؛ فليس من الضروري أن اجعل المادة موضع اهتمامى في بحثي وراء الحقيقة : بل أوجه كل همى نحو ذلك الشئ الذى لا يكون للادة عندي من وجود إلا به - أى العقل .

على هذا نجد أن الاعتقاد بوجود الله أو خالق أو مصدر للاشياء أو علة لها أو ماشئت فقل : فرض ضرورى يقوم على حاجات العقل ومقتضياته . وعلى هذا الفرض الضرورى فكل بقية الفروض التى لا يمكن للعقل أن يحتفظ بألفته من غير أن يسلم بها ؛ ولا يمكن للعلم أن ينفيها ؛ ولوجيز عن اثبات وجودها بأساليبه الموضوعية .

١١ - ما بعد الفرض الضرورى فرض إمكاني

عرفنا الفرض الامكانى بأنه الفرض الذى يستوى فيه حدى الوجود والعدم ؛ أو الذى يحتمل أن يكون له حقيقة موجودة ؛ كما يحتمل أن لا يكون له أية حقيقة في الخارج . وذكرنا أن معنى هذا أن العقل اذا سلم بالفرض الامكانى أو لم يسلم فإنه يظل محتفظا

بالفقه كاملة في حين أن العلم يرفض التسليم بالفروض الامكانية رفضا باتا صريحا ما لم
تثبت صحتها ثبوتا قاطعا بالاساليب العلمية المعروفة وعلى مقتضى التحديد والشرح الذي
حددنا به الفرض الضروري يمكن أن نتخذ هذا التحديد قياسا نقيس عليه في التفريق
بين الفرض الضروري والفرض الامكاني

إذا استطعنا أن نعي هذه المبادئ فلا جرم أننا نستطيع أن نحدد المعقولات تحديدا
يجعلها أكثر خضوعا لاحكام العقل وكفائاته وخرجنا من ظلمات الجدل الى وضوح
الطريق العقلي الصرف نمتع بشرائمه وتتخذ قاعدة نبى عليها صرح العلم ونشيد من فوقه
بناء الفلسفة والآداب ؟

اسماعيل مظير



أطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكتبات المعروفة

تاريخ الفكر العربي

في نسوئه وطوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

الاشتراكية

عن الاستاذ روبرت رتشاردز

١ - الاشتراكية والدولة

يكاد يكون من المستحيل وضع تعريف دقيق للاشتراكية فيجب الا يشمل التعريف المقترح علم الفلاسفة عن اليوتوبيا لا غير لكن يجب أن يشير الى فلسفة التاريخ والنظريات السياسية والمذاهب الاقتصادية وأصغر جهود نبذها المجالس البلدية وحرارة الديمقراطية العالمية . وأنه يمكن معالجة المسألة من أية من هذه النواحي المتباينة ومن هذا نرى كيف اختلف الكتاب اذ اختار كل واحد منهم طريقا من هذه الطرق لبحث الموضوع فتناقضت وجهات نظرهم .

ومن المفكرين السياسيين فريق يعرض فكرة الخضوع للجماعة سواء أ كانت الحكومة أم أية هيئة أخرى بمثابة لها . وفريق آخر يمجّد الفردية ويدعو اليها . والكتاب مهما اختلفت آراؤهم وتباينت وجهات نظرهم لا بد متفقون على أن الفرد مقياس النجاح . وتنحصر نقطة الخلاف في اختيار الطريق التي تحقق قصارى النفع للأفراد . فالبعض يدللون على أن أمثل سبيل للوصول الى هذه الغاية هي اقاص عمل الحكومة للنهية الصغرى أو نحوها وإزالة نظامها من الوجود وهذه هي وجهة نظر الفرديين المتطرفين الذين تمت فلسفتهم السياسية بصلة الى فلسفة الفوضويين الذين يعتبرون الحكومة لعنة ونقمة . والبعض الآخر - ومن بين هؤلاء فلاسفة إنجلترا والمثاليين - يمجّدون الحكومة حتى ليعتبرونها غاية في ذاتها لتحقيق مهمتها بحياة الفرد من رعايتها على الوجه الأكمل . وينحاز الاشتراكي غالبا لجانب الحكومة ويعتبر محبين حالة الفرد وسيلة لزيادة النشاط الحكومى أو أية هيئة أخرى مسيطرة كالطوائف .

وما الاشتراكية إلا وليدة نظام العصر الصناعى الحديث وقد ظهرت لأول مرة

في ثوبها الحال كنفد للفلسفة السياسية الرائجة في أوائل القرن التاسع عشر والاشتراكية مع ما وصلت اليه في عصرنا من خطورة المركز والاهمية السياسية مذهب يرجع أصله الى الماضي البعيد . وانا لنخطئ كل الخطأ اذا تلسينا هذا اذ نخرج من بحثنا بصورة مشوقة لهذا العنصر الفعال في تاريخ الفكر السياسى وذلك المذهب الذي لا يفتأ الكثيرون يعدونه مثلاً أعلى في حياة الجماعة .

ان ظهور الاشتراكية في عصر تطور الصناعة الحديث يعال تلاقيها الوثيقة بالمسائل المادية . وايست الاشتراكية نظرية سياسية لا غيرو ولكنها أبضا احدى التعاليم الاقتصادية : أو كما هو الشائع في الفلسفة السياسية الحديثة من أنها ترمى أن تصير حلقة اتصال جديدة تربط الفكرة الاجتماعية بمظاهر النشاط البشرى

وقد طابق ظهور الاشتراكية امتداد السلطة السياسية بطبقات من المجتمع كانت لهذا الحين محرومة من حقوقها وقد كان من الطبيعي أن يتغني بها افراد هذه الطبقات وقد خرجوا من إسامهم بهذا المذهب ويعتبرونه فلسفتهم الاقتصادية السياسية

فلساس الاشتراكية اذن حركة ديموقراطية عالمية لا تاجاً لنشر العناية لنفسها إلى اذاعة مذهبها لا غير — كما كان يفعل كارل ماركس واشياعه — ولكنها تجتهد في قلب نظام المجتمع رأساً على عقب وتحويل الأمم إلى مجموع متجين ومستهلكين حيث ينال كل نصيباً عادلاً من الحقوق والامتيازات . ولا مربية في أن جهود المفكرين في كل مكان لتحرير الافراد والامم سوف تحول وتحدد هذه النظرية التي اجتهد الناس في أن يصوروا فيها المثل الاعلى للدولة والتي تحاول الحركة الديموقراطية في العالم قاطبة الوصول اليها بأية سبيل .

وقد حدد كل من افلاطون وارسطو، المفكرين الاغريقين الدولة، بتعريف يمكننا حين نطبقه أن تعرف ماهيتها ونحكم على مشروعيتها . والدولة في نظر كل منهما ارقى نظام للحياة الاجتماعية وغرضها الاسمى النهاية العظمى من السعادة لرعاياها . فالدولة أو الجماعة السياسية كما يقول أرسطو في كتابه السياسات ، رأس المجتمع يعيش تحت أكتافها انجيم وترى إلى تحقيق تضارى ما يمكن من النفع العام ، وهـ ستمخض الحياة الأولية عن الدولة كاحدى ضرورياتها وتبقى عليها لتحقيق سعادة الافراد ،

وأحسن مثل للنولة ليس تلك التي تساعد رعاياها على احراز الثروة والتمتع بالملكية أو القوة أو الشهرة ولكن تلك التي تمكنهم من أن يحصلوا أكبر قسط من الفضيلة والحكمة؛ وأن أمثل دولة هي التي يتساوى افرادها أو يكادون يتساوون في الثروة والمراتب والاخلاق والمواهب ولكن معظم الدول تكون من عناصر ثلاثة قطبقة في غنى مفرط وأخرى في فقر مدقع وثالثة بين بين ولسائلك أن التوسط خيرها جميعاً . ويكون إذن من الواضح انه من الأفضل أن يكون لنا من هذه الثروة حدها المتوسط وانها لسعيدة تلك الدولة التي تتمتع بمثل تلك المساواة وتحاشي التطرف في الارستقراطية أو الديمقراطية؛ أو بعبارة أخرى تلك التي لانسد فيها حكومة الاغنياء أو تستبد بها حكومة الفقراء فتصبح مثل « مدينة لا يسكنها الاحرار وانما يعيش فيها عبيد محقرين وأسياد محسودون »

وبمثل هذا يقول أفلاطون أن المثل الأعلى على للعيش موجود في حياة الجماعة والدولة في نظره صورة مكبرة للفرد تبرز فيها مساوى حياته ومحاسنها . وكالفرد الذي لا يستشعر بالسعادة إلا حين تتعادل مواهبه وتزن طباعه . نرى أنه يجب أن يراعى في نظام الدولة مثل هذا التاسب وأن تكون حالة الفرد رائداً لمن يجد في وضع هذا النظام

ويرجع أصل النولة الى اختلاف حاجيات افرادها وتباين جيودهم في اشباع تلك الحاجيات . فلتكوين الدولة يجب أن يجتمع أربعة أفراد أو خمسة على الأقل كل يمتاز بموهبة خاصة تساعد على انتاج شيء معين يحتاج اليه الآخرون . وتنشأ قبل أن تباشر الدولة مهمتها طبقات ثلاثة : الأولى طبقة الصناع . وتختصر مهمتهم في انتاج الضروريات المادية للسكان والثانية طبقة المساعدين ، الذين يجمعوا الرعايا وثمرات عملهم من السلب والنهب والغارات ثم « أولى الأمر » ، ويجب أن تكون سعادة الدولة ورفاهيتها شغلهم الشاغل

وقد كانت الثروة والملكية خليقين يتقسيم النولة إلى قسمين : اغنياء وفقراء كل يحمق الآخر ويتآمر عليه ويتربص ان تنزل به النوازل . وقد رأى أولو الامر أنه من الخطر ان يتمتعوا بالكلية الشخصية . فكان من ذلك أن جعلوا الملكية — التي

تضم أطرافها النساء والأطفال - بينهم على الشيوع
ولم تصب المساواة جزءاً من عناية أفلاطون وأرسطو . وهذا نقص بين في
كتابتهما فقد أبقى كلاهما باللائمة على النظام الديمقراطي ولم يترك أحدهما في المثل
الأعلى لنبوته مكاناً للعامل الذي تلقى على عاتقه أحقر الأعمال لأنه لم يكن في نظرهما
حليفاً بالميزة السياسية . وإنما كان في اعتبارهما كقطعة لآلات أو المتاع تحمل
الواجبات ولا تحظى بالحقوق وفي هنا تبين كيف امتاز الفكر الحديث عن أرقى
ما وصل إليه الفكر الإغريقي القديم . ذلك بأنه قد وسع دائرة الرعاية حتى أصبحت
أطرافها تضم هؤلاء الذين ينحصر عملهم اليومي في إنتاج ضروريات الحياة والذين
لا يتبع أملمهم للتفكير في إدارة الحكومة كأحرار الإغريق . إذ إن ظروفهم
ضئيلة بذلك

أما الرومان فلم يهتموا بتحديد طبيعة الدولة ووظائفها إذ كان يشغلهم تفكيرهم
في القاء أعبائهم على كواهل الأمم الأخرى ومع ذلك قد تمشوا في تحقيق فكرة
الدولة كما صورها أرسطو وأفلاطون من وجبين بأن اقترحوا أولاً أن يكون الرائد
في تكوين الدولة الحديثة ذلك المثل الأعلى الذي تقدمه الطبيعة . وقد ألغوا على عاتق
السياسيين مهمة القيام بالبحث عن هذا المثل الطبيعي وتطبيقه ليصنوا بالدولة لدرجة
الكمال . ثانياً بوضع قواعد تسير على مقتضاها اجتماعات والأفراد في علاقاتهم وتأيد
هذه القواعد بجزاء . وهكذا خط الطريق لإنشاء دولة المدينة الصغيرة في الماضي ،
ثم الدولة الحديثة التي تقوم على الأمم ومهد السيل للدولة المستقبل المترامية الأطراف
التي قد تشمل العالم بأكمله

أما القرون الوسطى فحق ما قيل فيها من أنها كانت لاسياسية : إذ لم تعرف الدولة
بمعناها الحقيقي واختفت دول المدائن التاريخية من الوجود ولم تكن الأيام قد
تمحضت بعد عن دول الأمم الحديثة . أما الوحدة الحكومية فقد كانت في هذه
العصور تمثل في الطائفة ، أو الإقطاع ، وكلاهما نظام اقتصادي . وكان كل ما يهم
الناس حينذاك من السياسة استقرار ما قام على مسرح أوروبا بين السلطة الدينية
والسلطة الدنيوية من النزاع على صولجان الحكم الذي قبضت عليه الإمبراطورية

الرومانية القديمة بحزم وعزم وقوة ثم لم تلبث يدها ان تمخاضت عنه ابان تدهورها واضمحلالها

ولهذه الاسباب كانت الزون الوسطى خلواً من شي جديد في التفكير السياسي الانثائي وانه لمن الواضح أنه لم تعوزها عناصر الانشاء. فقد كان للفكرين في سياسيات ، ارسطو ، انموذج ينسجون على منواله كما كان لهم في كتاب ، اوغسطين ، ملخص لسياسة دولة تقوم على المبادئ الدينية كما كان هناك كثير من التعاليم المسيحية التي كان من الممكن ان يزيد بها في بقاء الأسس القديمة . وقد كان هذا الفقر في التفكير السياسي داعياً إلى التشتت والانقسام للذين كانوا من مميزات القرون الوسطى ان تعاليم ، الآباء الأولين ، الجديرة بالنظر والاعتبار فقد كانت ، الوصية الجديدة ، أول نذير بالحملة على القى والثروة اذ عدتهما نقمة من الله ومانعاً من رحمته وعقبة تحول دون الخلود في جنة والسمو إلى ملكوته . وفي ميلان قام ، امبروز ، يش : الملكية الشخصية . وتذكر الجدل بينه وبين ، فالتيان ، صريحاً في تحريم هذه الملكية الشخصية كما كان أول صدى للنزاع الذي قام بين الحكومة والكنيسة والذي نصادفه اينا بحثنا في تاريخ القرون الوسطى . وفي الاسكندرية كان ، كليمت ، ينادى بان تكون ملكية كل ماني العالم شيوعاً بين الجميع وهو في ذلك يقول ، ليس من الحق ان يصيب الاغنياء من الثروة نصيباً غير عادل اذ أن الاشياء جميعها كانت بطبيعتها ملكاً مشاعاً بين الجميع ثم جاء شخص فقال ظلماً وعدواناً هذا ملكي وآخر قال ذاك من نصبي وهكذا قامت القسمة بين البشر الفانين ، وليس من المسيحية في شي أن يسعى المرء في الثراء على حساب الآخرين مما أدى بالآب الاول أن يعلن التجارة لعنة أبدية . وبما قاله ، ترتليان ، انه ، إذا أحمى الطمع لم يصبح هناك مبرراً للسعي وراء الكسب واذا لتقدم مبرر الكسب أصبحت التجارة في حيز العدم ، ويشير ، جيروم ، إلى أن ربح الفرد هو لاحتالة خسارة لفرد آخر ويحاجر ، سان كرسوستوم ، بان محاولة المرء العني عن طريق الحق والعدل ضرب من المستحيل

مصطفى حمدي القزويني



فليكس لادانتك

وأثره في علم الحياة - البيولوجيا

ولد العلامة « فليكس لادانتك Felix Le Dentec » في بلدة بمقاطعة بريتاني سنة ١٨٦٩ ومات سنة ١٩١٧ تاركاً وراءه من الأثر في علم الحياة - البيولوجيا - ما لا يحسوه النهر وقد تدرّك شيئاً من أهمية هذا الأثر فيما لو أطلعت على أسماء مؤلفاته فقط واليكها :

- « بحث في عملية الهضم عند الخلية في الحيوانات الأولى ،
- « بحث في حياة الاجسام المكونة من عدة احياء اتحدت ببعضها في الحيوانات الأولى وبعض الاسماك ،
- « المادة الحية ، « نظرية جديدة في الحياة ، « الاحياء السبورية والبذورية »

، المكروبات الكروية - صفياً - قلبها - نشوؤها - ، الشكل المفرد أو الاحياء
 الموحدة الخلية ، نظرية الهرم في علم الحياة والمعرفة النهائية ، التطور الفردى
 والوراثة - نظرية في قلب الكميات ، الذاتية وخطأ الذاتيين ، اللاماركيون
 والداروينيون ، الوراثة الجسدية ، التناسليات ، الوحدة في الكائن الحي ،
 التناحر ، أوساط العارف أو الحياة وبقية المحسوسات الطبيعية ، بحث في علم
 الحياة ، الشرائع الطبيعية ، التأثير الوراثي ، للصراع المالى ، بنى في علم
 الامراض ، الاحداد ، الانسان والعلم ، مبادئ فلسفة علم الحياة ، أهمية العلوم ،
 العلم والمعرفة ، ارتباطك النشويين ، علم وظائف الاعضاء ، عظمة الحياة ،
 الاختلاط والالفة العالمية ، الانانية وحدها أساس الهياكل الاجتماعية ، ضد
 ماوراء الطبيعة أو النيات ، علم الحياة ، ميكانيكية الحياة ، ملاحظات في علم
 الحياة حول مرض السرطان ، المعرفة ، مشكلة الموت والرأى العالمى ،
 أما رأيه في أصل الحياة ونشونها فيتلخص في قوله :

في خلال العصور البعيدة التي تفصل بين أصل الحياة وهذه الانواع الكثيرة العدد
 وبمختلفة الاشكال نرى الكائنات الحية وفهمها ، فاذا استطعنا أن نرب مجموعة كاملة لفرع
 حتى من هذه الفروع العديدة راجعين بها الى ملايين الاجيال الغابرة قدرنا أن نفهم
 الناس حقيقة التطور الذي يختار العقل اذا ما حاول أن يصفه وصفاً يشمل كل نواحيه
 فالآثار العريقة في القدم المكتشفة بواسطة علم طبقات الارض تبين ان الحيوانات
 القديمة ذات الاعضاء الكثيرة وجدت في أزمان مختلفة وتطورت تدريجاً نحو الكمال
 بواسطة تجمع صفات مكتسبة بالانتخاب الطبيعي من المحيط الذي وجدت فيه ولكن
 هذه الآثار تكون - أقول هذا بكل تحفظ - مجموعة كاملة للاحياء من أبسطها الى أرقاها
 تركيباً فاذا رأينا أنه لا يزال يوجد ابهام في علم ترتيب الاحياء فان الاكتشافات التي
 حققها البيولوجيون قد أوضحت ذلك الإبهام وبينت حقيقة تاريخ تطور الانواع
 قديماً كما بينت حقيقة النشأ الذي تخضع له الافراد اليوم . فالحيوانات الدنيا التي تكون
 من خلية واحدة وبويضة واحدة هي أبسط من هذه الخلية وتلك البويضة والانواع
 الحاضرة التي ترجع الى انواع عريقة في القدم هي أرق تركيباً من القديمة لانها

تطورت حسب ظروفها الخاصة . فلنلاحظ مثلاً الحيوانات ذات الخلية الواحد كالبريوزوا التي تعيش بذاتها أو الأميبا *Amoeba* ، ونرى تركيبها العجيب إذا ما قارنا بينها وبين الإنسان . ومع أن الفرق بينهما لا حد له في الظاهر سواء في الترتيب المدهش أم في الميكانيكية الدقيقة فإن النتائج تدلنا على أنهما من أصل واحد تفرعا منه بواسطة عوامل طبيعية تحكمت في كل منهما منذ وجود الحياة الأولى . وبدلاً من المقارنة مع الإنسان ذاته نقارن الموحدة الخلية كبريضة الإنسان مثلاً ، بالأميبا ، لسهل علينا الإدراك أكثر .

وكل اختلاف حيي بينهما يتلشى أمام حقيقة الطبيعة التي أوجدتهما إذ أن كليهما يتشابهان ويطلق عليهما اسم الحياة . ربما يقول قائل وما الذي يستتج من هذه المشابهة الموضوعية بين خلتين إذا كانتا متباينتين فيما ستورثانه من الصفات والظواهر ؟ فالجواب على هذا الاعتراض هو : أن نظرية التطور توضح بكل سهولة كيفية نشوء الإنسان على سطح هذه الكرة من د بروتوبلازما ، حية بسيطة بكل معنى الكلمة ترضخ لقوانين الكيمياء العضوية التي تقدر أن توجد أجساماً حية من المادة .

يقول البعض إن الحياة مازالت سرّاً مغمضاً فما أحديعرف كيفية وجودها أو متى كان وإنما المشكلة التي يحجز البيولوجي عن حملها واعترف امامها بعجزه وبعدم مقدرته ولم ينفر عن التصريح بأفلاس العلم وعلى الأخص علم الحياة ؟ ولكن المشكلة التي ظهرت انحصرت أولاً في وجود الحياة ولم تكن المشكلة في تفرع الاحياء والملاحظة تبين لنا اتصال الاحياء ببعضها . ولا مشاحة في هذا ونحن لا نقدر بدون قليل من الافتراض أن نظهر الاصل الاول للحياة . فإذا كانت الحياة لها مقامها بين بقية المحسوسات الطبيعية فيجب أن يكون لها ك هذه المحسوسات علة يمكن تعليلها تكون غاية في الدقة خذ مثلاً جسمان صلبان في موضع واحد يمكن بقاؤهما مدة لانهاية لهما غريبان عن بعضهما ولكن إذا حدث حادث فجائي كتغير في حالة الجو أو نحو ذلك وأثر فيهما من أية جهة كإموية كانت وتنتج من هذا التأثير قوة للتفاعل فإن التبدل سيحدث لكل منهما ويختلفان عن بعضهما كل الاختلاف ويمكن أن يبيدا . فالحياة هي نوع من المحسوسات

متجانس . فبى ستبقى فى الموضع الذى يغيرها ويبدلها فى الظاهر مادامت العوامل ودام الكون .

منذ مدة خمسين سنة خلت لم يكن يعرف ، الجليسيرين ، كبلور فثامت الصدف أن يكون ضمن برميل يحتوي على نظرونه Salpêtre ، فحينما اختلط به تولدت بعض مؤهلات كيمياوية عضوية وهذه المؤهلات كانت قوة تفاعل كريستالوجين Cristalogène وتخمر بهو من الملاحظ ، وهذه القوة للتفاعل انتهت بإيجاد البلور نفسه بوجود عناصر ، المورفوجين morphogène ، التى أوجدت فى الجليسيرين الاستعداد الكافى للتبدل . هذا المثل المقتبس من قوة تفاعل الكريستالوجين ينطبق على قوة تفاعل الحياة المتجانسة المركبة ويساعد على فهم الفكرة فى كيفية وجود الحياة على سطح هذه الكرة . فالعلامة ، باستور Pasteur ، بواسطة عدة متحانات عمية أظهر أن فى وسط ما يحتوى على جميع أنواع الاحياء لا تظهر الحياة خاضعة للقوانين الطبيعية الاعتيادية وهذا يدلنا على أن الحياة نوع من المحسوسات الشاذة الدقيقة كبقية الاجسام الكيماوية تنفر عن عوامل طبعية حسب وضعية الكائن الحى . وهذه العوامل تفسر بقولنا ، حينما يوجد كربون وهيدروجين وأوكسجين توجد الحياة ، ولا تنمو إلا اذا يوجد كحول الايثيليك ، Ethylique ، وربما يعترض البعض بأن هذه العناصر الثلاثة وجدت معا فى كل العصور فى مواضع بدون هذه الكحول ووجدت الحياة فى هذه المواضع ونحن اليوم نقدر أن توجد هذه الكحول مع هذه الثلاثة العناصر ولا نقدر أن توجد الحياة ؟ فالجواب على هذا الاعتراض هو : أن مسألة التطبيق العمومى تتشابه بالاختلاف فى هاتين الجزئتين فلا نقدر أن نعرف فيما اذا كان فى كل المرات تظهر الحياة فى الاوساط التى تحتوى العناصر اللازمة لها وإنما تؤكد أنه اذا وجد وسط يحتوى على هذه العناصر تقدر بواسطة عدة تربييات أن توجد بعض دقائق حية وعندما تأكد من وجود صفة معلومة لها نحددتها تحت شكلها المعروف . وباستور كان قد حل قسما من هذه المشكلة بإيجاده وسطاً مغذياً لكل الانواع من الاحياء . وبعد ما نفرغ من عملية التركيب نقدر أن نعرف بواسطة التحليل أن هناك ، بر وتوبلازما ، كانت فى طريق الحياة وليس من الوهم فى شئ . الظن بمقدرة الوصول الى طريقة تركيب سم له للحياة . نعم إن هذا التركيب لا يظهر

الحياة تحت صورة نوع من الاحياء المعروفة إنما يمكن الوصول الى معرفة نسبتها الى خلاصة حي من الاحياء المعروفة على وجه التقريب .

فالوصول الى اكتشاف شكل خلاصة الحياة حيث يكون الموت ظاهراً بأقل درجاته ممكن . وبواسطة التركيب يمكن تحقيق بضعة أشياء لم توجد إلى اليوم حية فالحياة قد تنوعت إلى ألوف الاشكال المختلفة التي لم نخطر بفسكرنا أبداً وقد يكون لا نهاية لهذه الاشكال التي نحسبها محدودة — هذا ما يظهر لنا بكل وضوح ويجعلنا نؤكد عداوة الاختياريين ، Spontaints ، للعلامة باستور الذين يثبتون الظهور الاعتيادي فقط للاحياء الموحدة الخلية في السائلات ويدفعنا للقول بان ما يظهر دائماً من الحيوانات أو النباتات يرجع إلى أنواع معروفة سنكشف بعد ، دارون ، . ولا يجب السهو عن معرفة ان كل نوع متقل بذاته هو خلاصة نوع غريب جداً عاصر القرون الطويلة المملوءة من الحوادث الغير الاعتيادية كالطوفان والتبدلات الطبيعية البطيئة . فالوقت هو الذي يبين لنا أصل الحياة بواسطة التبدلات التي اجراها في الانواع . ولا يجب الجزم بان الحياة لم توجد دائماً لانها وجدت وظهرت وما وجد وظهر فهو موجود أبداً إنما ليس على صورته الحاضرة .

فالفائدة هي التي جمعت في دفعة واحدة العوامل الضرورية لهذا الظهور وأصل الانواع يبين لنا امكان ايجاد انسان أرقى من الانسان الحاضر متسللاً منه . لان الكيمياء بواسطة التركيب قد أوجدت دقائق حية تحسب أصل هذه الانواع كلها . ويمكن القول بان الكيمياء أظهرت وجود الحياة والموت في المادة ولكن مع كل هذا يوجد البعض يقولون . ان هذا مستحيل ؟؟ —

أما في التطور فانا اذا لاحظنا الاختلافات الظاهرة في نشوء الاحياء منذ البويضة حتى تمام الشكل نراها تبتدى وتنتهى هكذا :

$$١ : - ١١ = ٢١ = ٣١ ، الخ$$

فالوراثية تنتقل تماماً من هذه الاولى إلى بقية ما يأتي وتكون مظهر الشكل وفي الاحوال الشاذة حيث الوسط يتسلط بقوانينه الصارمة المخالفة للواقع على كيان الشكل — فالتحول يتوقف تماماً ولكن لا يكون النوع دائماً راضخاً لهذه القاعدة لان الامر

يرجع إلى قوة كيانه وصفاته الخاصة . ففى هذا الحال اما يفترض النوع أو يقاوم عوامل المحيط . فإذا لم يمت فإنه يأخذ فى التحول فى صفاته وأشكاله حتى يتغير حسب مقتضيات المحيط وهذا ما يسمى بالشكل المكتسب ومشكلة الوراثة فى الاشكال المكتسبة هى هذه :

١ - عندما يكون النوع خاضعاً لشكل نشأ من التطور هو (ب) واخذ يميل نحو شكل آخر هو (ث) قبل هذا الشكل الجديد يظهر فى خلاصة توريث النوع ؟ -

٢ - هل التبدل الذى حدث فى خلاصة توريث النوع هل هو نفس هذا الشكل الجديد (ث) المكتسب الذى سيكون فى ذرية النوع ؟ . وهكذا الشكل (ب) الذى انتهى بتبدل النوع فى حد من العمر يظهر فى ذرية النوع فى نفس الحد من العمر الذى انتهى به ؟ ؟ -

فنحن نعرف ان الكائن الحى هو بمثابة طريقة معادلة : وكل تبدل يحدث له فى أية ناحية من نواحيه يغير حركته كلها وعلى الاخص خلاصة توريثه فالمشكلة الاولى بسيطة أما الثانية فصعبة ومهمة .

ان الوقت هو الذى يظهر روح التبدل فالتغير الذى يحدث فى كيان النوع الحى يبقى ويقوى فى خلاصة توريثه اذا مابقى اما اذا كان هذا التغير وقي فإنه يضمحل فى نفس الوقت الذى نشأ منه . فالاشتقاق الوقتى فى الموازنة ينتج عادة اصلاح الموازنة المعروفة . من هذا تتلأشى الاشكال المنشئة المستجدة . لكن اذا كان هذا الاشتقاق قد دام مدة فالموازنة المعروفة تتغير حسب العوامل والضرورات ولا يمكن للوسط المختلف العوامل ان يوجد أشكالاً جديدة من الحيوانات اذا بقى فيه الحيوان مدة طويلة . لان الزمان الذى يمضيه الحيوان فيه يكون اداة لاضمحلاله وموته . ولكن اذا مارس الحيوان مقاومة عوامل الوسط زمناً طويلاً فان صفاته الاصلية تكاد اتعاباً جمة فى مكافحة عوامل التبدل الذى يستمر حتى بعد انتقاله إلى وسط يلائم صفاته الاصلية . مثلاً رجل تعود على حمل الاحمال الثقيلة وأخذ يزداد قوة يوماً عن يوم منذ ابتدائه فى

ممارسة الحل فهذا الرجل سيصير حمالا قويا وسيأخذ صفة القوة حتى ولو لم يعد حمالا .
 تحكم العادة يقضى بطبع مجموع الشكل بطابع لا يمكن محوه من صفات الشكل لأن هذه
 الصفات تؤثر في الموازنة الكيميائية الميكانيكية وأيضا في الموازنة الحيوية الجسدية . وفي
 هذا التأثير تبدل وضعية الموازنة في المواد الفردية الجزيئية التي منها يظهر التحوير
 الذي يلحق صفات الشكل وحياته . فهذا ما يورثه الشكل المكتسب وفي هذه الحال
 ينتقل التعديل الذي حصل الى خلاصة توريث الشكل في البويضة ويظهر في عموم
 الذرية الآتية في شكل صفات جديدة مكتسبة تقوم مقام الصفات التي تعدلت في
 أصل النوع . وعندما تكون صفة معلومة عاثت زنا ما بسلطة طبع مجموع الشكل
 بتركيب يقرب من الانقراض . وهذا التركيب ينتهي بحلول غيره أصلح منه محله فهذه الصفة
 لا تعاود الظهور أبدا في ذرية النوع لأن الشكل الجديد المكتسب يطابق قواعد
 المطالب الضرورية للحياة ولكن هذه تقضى وبوجود صفة مثل تلك التي تقرب من
 الموت كما تكون على أشدها ولا تدع لها مجالا للظهور ثانية فقي غير هذه الحال يمكن
 ظهور مثل تلك الصفة محتملا في أوقات مختلفة مثلا : ان الزائدة البودية الموجودة في
 النوع البشري كانت يوما ما ضرورية لنوع سبقه هو (ب) وقد حدثت عدة تغييرات
 في شكل هذا النوع (ب) منذ وجد السبب الذي كيفه الشكل الموجود اليوم (ث)
 ولكن في خلال هذه التغييرات لم يعارض سبب ما هذه الزائدة البودية معارضة قوية
 فبقيت ظاهرة الى اليوم بشكلها المضر . وأيضا لاحظ في نوع من السوائل نوعا من
 المكروبات الكربونية يكون تأثيره معروفا فاذا نقلت هذا المكروب الى سائل
 أصلح بقي على شكله انما يتغير قليلا في مفعوله ولكن في ذريته التي تنشأ في هذا
 السائل الجديد فان درجة تأثيرها لا تكون نفس الدرجة التي في الاصل . فالمكروب
 بعد مكث مدة طويلة في السائل الجديد يفقد من قوته . ولكن بما ان معارضة عوامل هذا
 السائل الجديد ليست قوية فان هذا المكروب لا يلبث مدة قصيرة حتى يرجع كما كان
 عليه وهكذا ذريته . وعندما يحجر على الصفة (ب) من الشكل (ا) فان هذا
 الشكل يميل الى تبديل يكون نتيجة نقص هذه الصفة المتوقفة عن العمل انما بعد
 رفع الحجر عن هذه الصفة . اذا كان ممكن رفع الحجر . فان الشكل (ا) يكتسب

شكلا جديدا يستمر في ذريته. هذا مع اضمحلال هذه الصفة أيضاً .
 أما رأيه في الاتحاد فينحصر فيما قاله في الصفحة العاشرة من كتاب ، الاتحاد
 ، و ترجمته : انا ملحد كما انا بريتانى . بريتانيا مقاطعة في فرنسا . كما انا
 أستر أو أشقر فلا أعرف لآى سبب ولدت في تلك المقاطعة ولا أعرف لآى سبب
 أنا ملحد ولا يوجد عندى فكر خاص يجعلنى أظن ان الاتحاد أحسن من غيره . من
 بقية الاعتقادات ولكنى لا أقدر أن أقبل غيره . ويقول المثل يمكن يكون طاهيا كما
 يمكن أن يكون شواء . وأقدر أن أقول بانى ولدت ملحدا وهذا الاتحاد يشبه الشواء في
 في المثل انما هذا التشبيه ليس ضروريا للاتحاد فانا لم اذكر مرة انى آمنت بالله مع
 انى كنت في صغرى أنجب كل رفاقى في حفظ التعليم الممحي الخ . . وهذا يثبت ما
 قاله الدكتور غوستاف لوبون من ان الاعتقادات جميعها ترجع الى العاطفة للاشعورية
 اتى تنمو بنمو الانسان وتطبعه بطابع لا يمكن محوه أبدا .
 ابراهيم حداد

أطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

نزع الفكر الأوروبي

لما قرأت نيتشه

للقائد الفرنسي : أميل فلجيه

من أعضاء الأكاديمية الفرنسية

— ٣ —

لم تكن الاديان من المسائل التي خصها ، نيتشه ، بالبحث والتمحيص اكثر من غيرها . الا أنه مع ذلك قد شملها بنظره وأصدر فيها حكمه .

تساءل عما اذا كان الاعتقاد بالخرارق وبالله وبخلود الروح قوة للانسانية أو ضعفاً : وعما اذا كانت الجماعات البشرية تصح أو تمرض بالميتافيزيقيات والاديان . ترى هل تقوى الاديان البشر أم تضعفهم ؟

لقد أجاب ، نيتشه ، بان الميتافيزيقيات والاديان دليل ضعف في الانسانية . وانها تزيد في ذلك الضعف الذي يحيق بالانسانية منها مقدار ما يزداد الاعتقاد بها . وليس في وسع أى انسان أن ينكر أن الاديان تولدت من روعة الجهلاء وهولهم بازاء قوى الطبيعة . اذن فالاديان نشأت في الاصل من ضعف الانسان . غير انها صارت فيما بعد حنة محودة . والمراد ان الناس قد افترضوا وجود قوى طيبة وكريمة الى جانب القوى العدائية الهائلة التي تحيط بهم . ألست نرى من حولنا وجوه الضعفاء التي ترتعد وتتعلق وتبتهل خاشعة ؟

ان الدين حاجة في الانسان خلقتها فيه عاطفة الضعف أو غريزة الضعف . في الانسان « حاجة الى الدين » وهذه الحاجة خلقت العضو الخاص بها . وما دامت الحاجة موجودة فالعضو باق (العضو ووظيفته) ففى أصل كل دين - من الوجبة التاريخية - وفي صلبه من الوجبة الاديية ، نقص في الارادة أو ضعف في الارادة . وليست الارادة في احتياج الى اليقين لانها تسجى الى عرضها من تلقاء نفسها . أما الدين

فهو في حاجة الى اليقين . الارادة تنسفع بطبيعتها الى غايتها ولكن في الدين دافعا خفياً هو الخوف .

ولا يخفى أن ترقى العلوم الطبيعية وتعمم تعليمها قد أضعفا من العقيدة الدينية في أوهام الناس . فان تلك العلوم قد فرت الظواهر الطبيعية : كالصواعق والعواصف والامطار والرعد ووضحت أسبابها

فالذين يحسبون أن الحاجة الى الاعتماد ضرب من الحاجة الى العمل : يخطئون . ان الحاجة الى الدين لا تخرج عن الحاجة الى التوكل والركون الى الراحة والهجر . ان المتدين يحتاج أبداً الى تضد يتوكل عليه . قد ينشأ ، انما تقاس درجة الثقة الكلمة في ديانتنا أو بعبارة أصح درجة الضعف فيها . بعدد المبادئ التي يأبى الذين ان يراها مترعزة لانه يستخدمها كضد وسند . وكذلك خلق الانسان : تفند أمامه احدى مواد دينه القمرة ويأبى إلا أن يسلم بحاجة الى الاستمرار في تصديقها واعتبارها حقيقة لا مرية فيها . . . هذه الرغبة في التصديق انما هي أيضا رغبة في سند يتوكل عليه . وبالاختصار هي غريزة الضعف في الانسان . الانسان الذي وإن لم يكن هو الخائف للديانات من كل نوع . يعد على الأقل الحافظ الامين لها .

ويحوم حول جميع تلك المبادئ الوضعية غيم كالح من التشاؤم . وسواء أكان ذلك نتيجة الملل والتعب أو الاعتماد بالقضاء والقدر أو الخشية أو الخوف من خية جديدة أو سوء الطبع أو الافراط في الفوضى (الفوضى الداخلية والعجز عن حكم النفس وضبطها في شدتها وجوحها) أو ظواهر عاطفة الضعف من كل نوع . . . فان الدين أنبأ مطلوب والحاجة اليه دائماً ماسة مقدار ما يكون ضعف الارادة في الانسان . . . ومن هنا يمكن استنتاج أن قوة الانتشار التي تمتاز بها الديانتان العظيمتان في العالم : البوذية والمسيحية — انما ترجع في الاصل الى مرض عضال في الارادة .

وبمقدار ما يكون في الانسان من ضعف يكون معتقده فان ظروفاً صحية وما يملكه من القوى العظيمة والنشاط السكام تدعوه الى اللواذ بالله والاستعانة به . وكلما شعر المرء بضعفه ازداد إيمانه بالدين .

ولقد يوقى الانسان القوة فينسبها الى الله . كذلك هو مدفوع الى الدين من جانبي

القوة والضعف . قوته الحادثة وضعفه العادى . ومن شأن الحالة الاولى أن تشعده
بالحالة الثانية .

هذا رأى فردريك نيتشة فى أصل الاديان وهو بتلخص فى أن ضعف الارادة
فى الانسان أساس كل دين .

والى تلك الغريزة المزوجة بالخالقة للاديان، يضاف الخالقون أنفسهم . ونعنى بهم
الذين يدبرون الغريزة الدينية . أولئك يقومون بعمل بسيط فى ذاته . ولكنه عظيم
التأثير . إنهم يرسمون نظاماً للحياة للشعب يصلون بينها وبين الله ويعملون حياة الشعب
مقيدة بالقاعدة التى يرسمونها (التعاليم والطقوس) ويقنعونه بأن لحياته العادية معنى
هو معنى جميل الهى خفى مستحب عند القوة الهائلة التى تدبر العالم وأنه مرغوب
فيه منها حائز لرضاها . وبذلك يصنعون حياة الشعب العادية بصيغة إلهية .

ولما أقف بنو اسرائيل حياة السلب والنهب . جاءهم رجل فدعاهم الى الله الذى اصطفاهم
دون سائر شعوب الارض وخصهم بحبه ورحمته وأوحى إليهم انه يرضيه أن يرى تلك
الشعوب غنيمة لهم مستقلة لسلطانهم . اذذاك صار لحياة الاسرائيليين - وهم شعب سلب ونهب -
معنى جميل . وصار ذلك المعنى خيراً أدياً ومثلاً أعلى تهون الحياة من أجله . وجلى
أن ذلك الرجل صاحب تلك الدعوة الى الشعب الاسرائيل قد سما بغريزة الدين
وجباهم السعادة والخير .

ثم ما الذى فعله ، بوذا ، ؟ لقد رأى من حوله فئة قليلة مبعثرة فى كل طبقات الشعب
من الصالحين الكمالى . فلم يقنعهم بأكثر من أن الكسل حالة سامية . حالة إلهية . وأن
الرغبة فى الهجوع وفى العدم اسمى فكرة للعالم وأنه ليس لله سواها . وبذلك خلق
من الجود ديانة وأنه حين أوتى هذه الفكرة البسيطة كان عبقرياً فلقد أدرك فى الحقيقة انهم
أناس لا يفهمون أنفسهم ، ولكى يكون المرء صاحب رسالة دينية يلزم أن يكون ذا ألمعية
سيكولوجية وذكا . خارق فى تفهم طبقة ذوي النفوس المتوسطة التى لم يعترف أفرادها
أنهم من نوع واحد . وأولئك لا يؤلف بينهم غير صاحب الرسالة الدينية . ومن أجل
ذلك كان تأسيس الديانة أشبه بحفلة طويلة يتعارف فيها الناس ،

ومتى أسست الديانة بهذه الطريقة ونظمت اتفقت بالعادة والاقتداء والوراثة

وبرهنت على وجودها وتأيدت بما يصدر عنها من الافعال الدالة على البسالة الحقيقية ولما كانت القوة تولد غالباً من الضعف ينتهى الامر بالديانة الى السيطرة على الالباب وأن تكون ذات تفوذ أدنى قوى

ولكن هل نحن فى حاجة الى القول بأن الاستشهاد فى سبيل الدين لا يدل على شيء ؟ لعله يدل على أن واحداً من الناس أشد اقتناعاً من غيره بالديانة . على أن الاقتناع ليس دليل الحقيقة . إذن فالشهداء لا يدلون على شيء قط . ولستهم يفتنون ويهرون بحوادثهم . وهم ضروريون لانتشار الديانة . أنهم الاعمدة الحقيقية التى لاتزعزع للعبد ، قلأ يبرهن الشهيد على حقيقة الديانة . ولقد كان تعذيب الشهداء مأساة كبرى فى التاريخ مأساة اجتذبت الافئدة وأثرت فى النفوس . إذن هل يعد الصليب برهاناً ؟

كذلك تمد الديانة سلطانها على جزء من الانسانية تؤيدها الاعمال الرسمية وطقوس الاعتراف والاخلاص والتضحية . ولا يهدمها غير ظهور ديانة أخرى مطابقة لحالة جديدة ولكنها دائماً حالة ضعف فى الانسانية أوفى جزء منها .

ولنضرب مثلاً للطريقة التى تقوم بها الاديان : محاولة ديانة الالم الانسانى التى لا تخرج عن كونها ضرباً من ديانة الانسانية . ان تحل محل سائر الديانات الاخرى ليت شعري ما هى تلك الديانة التى تدعو إلى الشفقة والرحمة ؟ تقول انها بقية من الديانة المسيحية . وهو أمر واضح . ولا بد من أن يكون كذلك . فانه يجب ان تكون الديانة الجديدة متفقة مع الحالة النفسية العامة . بل لابد من أن تكون تلك الحالة النفسية العامة ذاتها معروفة فى صيغة الفكرة الدينية .

على أن هذه الديانة الجديدة — ديانة الالم الانسانى — تقى صريح للمسيحية فهى لاتدعو إلى الله بل انها لاتفكر مطلقاً فى الله . ومن الممكن أنها لاتؤمن به وتكر فكرة الدولة وفكرة العدالة المعترف بها فى ايماننا . وتكر السلطة وكل فكرة تصدق بها المسيحية . هذا إلى أنها تعتمد أيضاً على جانب الضعف الانسانى وتسيب به وتصبغه بالصبغة الالهية وتتفق مع حالة الكلال والاعياء التى سادت أوروبا من بعد حقبة الحروب والغارة الالمانية والصلح المسلح . ولقد جعلت من ذلك الكلال والاعياء فضيلة : قتالت ، اليوم لادم يراق ولا حرب ولو كانت عادلة ان

الرحمة كفيفة يوقف المذابح !، ومعنى ذلك في الواقع ، أيها الملا ! هل أتم جنباً ؟
 حنا ؟ دعوني اعلنكم بسر الهى يسركم : وهوانكم على حق ،
 تلك هى الطريقة التى يحاول بها الدين الجديد أن يهدم الدين القديم ويوقف
 أحياناً إلى التجاح .

وهناك شيء واحد يستطيع هدم جميع الأديان دون أن يحل محلها دين آخر
 وهو هدم كل ما هو خارق للطبيعة . وإنما تلخص رسالة نبي المستقبل فى أن
 « لا وجود لله » ، وهى أول كلمة يتلفظ بها « زاراتوسترا » .

تقول إنه لما تملك « نيتشة » هذه الفكرة — فكرة نفى الخالق — تهادى
 فيها إلى حد أنه نسى النظرية الحية اليهودى أن العالم مظبر للجمال . وهذه النظرية
 تؤدى إلى الله . بل إنها على الأقل تتطوى على شيء الهى . فإذا كان العالم مظبر جمال
 فلا بد من وجود صانع أو تفترض أن العالم نفسه صانع . أى صانع نفسه . وهو ما يزيد
 فى الروية النظرية .

على أن « نيتشة » حين تحمر لفكرة الإنكار نفى جمال العالم . ولا بد من
 الاعتراف بأنه لم يكن فى وسعه أن يفعل غير ذلك . نفى نيتشة عن العالم النظام والجمال
 والحكمة فقال إنه ليس الكامل ولا بالجميل ولا بالشريف . ولا ينبغي أن يكون شيئاً من
 ذلك . ولا يسعى بناتاً إلى محاكاة الإنسان ! . . .

ترك رأي « نيتشة » المتناقض فى الوجود الذى نفى عنه الذكاء والحياة على اعتبار
 أنه أشبه فى نظامه ودقته بالمجموعة العضوية وقال إنه يتميز من هذا التشبيه وأيد أن
 من أعظم الشرف وصف العالم بالما كينة ، ماشين ، لأنه لم يصنع لغاية وانكر أن فى
 الطبيعة قوانين وقال إنه ليس هناك سوى ضرورات الخ — ترك رأيته فى الوجود
 لى نكمل رأيته فى الأديان .

يعتقد فردريك نيتشة أن الأديان لا تلاشى إلا إذا استطاع الإنسان أن يدرك
 أو أن يرى شيئاً آخر يختلف عنه . صورته بآين صورة . قال « كيف يتاح تأويل
 الأشياء مادام الإنسان يجعل من كل شيء صورة مماثلة له ؟ ونحن متى وصفنا الأشياء
 لانعرف إلا أن نصف أنفسنا . وما دام الإنسان لا يرى ولا يعرف غير نفسه بحجة

تفسير الأشياء فيظل خاضعاً للإديان الناشئة عن ضعفه الطبيعي والتي تغذى وتعيش من ضعفه الأدنى .

* * *

لما قيل لنيثشة ان الناس قد مضى عليهم حين طويل من الزمن وهم يؤمنون بخلود الروح الانسانية . وان هذا الايمان ، ارادة في القوة ، وفي طول البقاء . وانه حلم اوليبي يلك على عظمة الانسان ورغبته في أن يكون اشبه بالآلهة (اوليبييا ١) أجاب الفيلسوف : قد يكون هذا ممكناً . غير أن لارادة الانسان في القوة اخطاء مما أيضا . وهذه الارادة التي تزعمونها ليست في الواقع إلا ضعفاً . هي الخوف والارتياح من الموت . ومن ذلك الخوف ينشأ الاعتقاد في خلود الروح أو ، الارادة في القوة . كما تصفونها . والانسان مرغم حين يؤمن بخلود الروح على أن يتخذ قبل موته مذهبا أو شيعة دينية ينتمى اليها . لأن سلامته ترتبط بذلك المذهب الذي يختاره . ولقد كانت كراهة ، نيثشة ، للمسيحية سبباً في مقتلسائر الإديان والمبتايفز بقبائ كان فردريك نيثشة شديد الممت للمسيحية . عنبراً لها . وفي اعتقاده أن المسيحية ليست شيئاً آخر سوى ضرب من تسلط الطبقة العامة . وهذا حق في الواقع . ومن أجل ذلك صار عدواً ألباً للمسيحية . ورأى فيها عائقاً دائماً لآرائه ومبادئه . وان المسيحية هي تسلط الطبقة العامة أى ما أسماه نيثشة ازدراءً ، بالقطيع المنظم .

وفي رأى الفيلسوف الالماني أن تلك الديانة قد مهد السيل لها ، سقراط . و ، افلاطون ، اللذان هما العقول - برغم آرائهما السياسية - الي عدم النظر للأشياء إلا من الوجهة الخلقية واعتاد أن يزدريا حق القوى . حتى الاصلح . وينكراه . وان يجبرا جميع الناس على الخضوع لتاعة واحدة .

وكذلك ، البرذية ، أو ما تسرب منها قد هيأت السيل للمسيحية . والبوذية هي أولى الديانات التي قامت على طبقة العامة ودعت الى حظيرتها وديانتها جميع طبقات الناس على السواء . ثم من أدعى النبوة من العبرانيين الذين كانت حركتهم شيعة صريحة . حركة قوامها العامة وغرضها ديموقراطى مبنى على المساواة .

وكل هذه التمهيدات التي هيأت السيل للمسيحية بمقوته من نيثشة . على أنه كراهته

للمسيحية اشد . والطريقة التي نشأت بها المسيحية معروفة . فان كل حقير ومنحط وعليل وسافل في المجتمع قد دعى الى أن يكون قديساً لكي تسبل عليه الحلة الآتية . وان يكون عتقاً يأساً من الدنيا . واحترق كل ماعوز حتى وقوى وبميل وسريف في المجتمع . ولقد ربح الزيادة في الحياة وفي البذل .

قال فرديريك نيتشه : ان المسيحية دين جدير بالعصر القديم الذي هرم . وانها لاخروج للدنيات التي شاخت وفست . وعلى هذه المذنيات المنحلة وحدها تستقيم ان تبسط نفوذها . في التصور التي غمضت فيها الأعين وسدت الأذان بالطين بحيث لا تصنى إلى صوت العقل والفلسفة ولا تسمع الحكمة الحية الممتسواً كانت تلك الحكمة تحمل اسم « ابقراط » أو « ايقور » . في تلك العصور يمكن أن يكون رفع الصليب والانتذار بالقيامة كافيين للتأثير في سوق الشعوب المنحلة الى غاية ملائمة لها فلذلك في روما التي صدحت فيها أناشيد « جوفنا » ، ولنفكر في عبي « فينوس » لكي ندرك معنى رفع الصليب أمام العالم ...

ولقد كانت أغلب الشعوب في ذلك الزمن تولد بارواح قد ارتوت حتى المثالة من اللذات وبمشاعر واحساسات قد شاخت واعتراها الهرم ان هذه المسيحية باعتبارها نعمة الزمن القديم صادرة من نافوس متصدع عليل . هذه المسيحية حتى في نظر الذي لا يدرسها الآن إلا من الوجهة التاريخية فقط هي بلم للاند . غير أنها أيضاً سم زعاف للشعوب العذراء الشابة . فان بنورها حين بذرت في نفوس الجرمانين القدماء . أولئك الأبطال ذوي الارواح القوية استحالت عقيدة الخطيئة والهلاك الابدي إلى سم بل إلى اختلاط وفوضى في الشعور وفي الحكم . وكانت النتيجة ان ضعفت قوى تلك الشعوب الجرمانية القوية وانحطت ،

وطبيعة المسيحية ان تصبغ الضمير والاذعان والبهجة بصبغة الهية . ومن ثم كان عداؤها للحياة وعداؤها للفن . وللمسيحية في كل زمان ازدياد للحياة ذاتها . ازدياد مزوج بالحدود للحياة تحت لبوس الدين ابتغاء حياة أخرى اصلح أليست العقيدة التي تدعو الى حياة أخرى تقضى على هذه الحياة الحاضرة أو تجعلها مصدر شكوى وتلعنها وتدعو الى مفارقتها والرغبة في الخروج منها أو النزول بها الى حدها الأدنى .

وهذا لعمرى منشأ احتقار الدنيا والحقدها عليها في أصل المسيحية . انها تمتقت المسرات وترتاع من الجمال واللذة وتدعو الى حالة مستقبلية اخترعتها للحط من شأن الحاضر وزيفلة الرغبة في العدم والراحة الدائمة إلى سبت السبوت ! ،

انظر إلى القديس بولس وهو باسكال اليهودي ، كما ان باسكال هو « بولس المسيحي » . انظر في ذلك الرجل الضعيف المريض الذي كان مصاباً بالصرع يل ربما كان في ماضى حياته من المجرمين . ذلك العبد الاسير للشهوات العنيفة . لقد جعل كل همه ان يمحو الخطيئة فيه بالاتصال المتين بالله اعنى أن يلاشي الحياة في الموت الذي هو حياة أخرى . الحياة الأخرى الوحيدة المرغوب فيها . كان كل مجهود متجها إلى الفناء . الفناء الحاضر الذي هو الشرط اللازم والمعبود للحياة الحقيقية في عرف المسيحية .

والى عدائنا للحياة يضاف عدائنا للجمال وللفن . ومن الممكن ان يقال ان كل ما هو عدو للحياة عدو للفن . ذلك لان الحياة ترتكز على المظهر . على الفن والمثل الاعلى وهو حلم ترتكز على الاعتقاد في مثل وهمي يتجلى فيه الجمال . مثل باهر باعث على القوة . تقول إن المسيحية عدو للفن لانها لاتسلم بشي خارج عن دائرة شريعة الخلق . مورال ، وترى في الخلق غرضها وغايتها . وهو ما ينفي الفن او يقبده وينزل به الى درك الانحطاط أى يقتله . قال « نيتشه » : ليس هناك عائق يحول دون النظر إلى العالم وتفسيره من ناحية الجمال الفنى (استيتيك) البحتة سوى العقيدة المسيحية التى تأتى الا ان تكون محصورة في دائرة الخلق (مورال) والتي تعد الفن بمبادئها المطلقة وشدة تمكها بالله أكذوبة وتحصره في هذه الدائرة أي انها تسكره وتنفية وتقضى عليه وتخصه باللعنة . وبالاختصار لاتؤمن المسيحية بالفن مطلقاً . تسكر كل قيم الجمال . انها عديمة نهليست ، بالمعنى العميق للكلمة . واذا كان مذهب « سقراط » يقيد الفن بالاخلاق . ويرى ان لا بد لكل عمل انساني من التقيد بالخلق في غرضه إلا انه لا يطله ولا ينفية . ولكن المسيحية تنفيه وترتاع منه وترى فيه عدو أومتى كان المسيحي موهوباً بالذكاء ومتى كان عميقاً يدرك المسيحية ويفهمها مثل « لوتر » ، و« كلفن » ، و« باسكال » ، فانه ينفي الفن . اما اذا كان المسيحي وسطاً في الفهم أو لا يدرك الاثلاثة

أرباع المسيحية فانه ينزل بالفن إلى حد ان يجعله خاضعاً مستذلاً للخلق مثل «تولستوي» ومتى كان المسيحي مخلصاً أو سطوحياً أو حديث العهد فانه لا يخلو من الغرض وبالاختصار متى كان لا يدرك شيئاً في المسيحية فانه يجعلها مقترنة بالفن كما فعل «شاتوبريان» !

وفي الحقيقة أن المسيحي انسان عاشق للبر . انسان هو ظل الفناء . انظر من حولك رى المسيحيين من عشاق الفناء . ترى النساء والرجال الذين تملى عليهم جعلتهم الطبيعية الميل الى الفناء كأنهم مسيحيون بالاستعداد الطبيعي . والقساوسة المسيحيون اشبه الانواع بالافزام والمخلوقات التي تأوى بطن الارض .

وتدعى المسيحية أنها اعادت الطبيعة الانسانية صورة أخرى . وفي الحقيقة انها افسدها . فلقد خلقت عواطف جديدة ليست من الانسانية في شيء . وأنما حين قضت على الشهوات احاثها عن غرضها وجعلتها شراً عما هي وأشد فساداً . وتزعم المسيحية انها قضت على الطمع البني هو من خير العواطف الانسانية وأقربها إلى الطبيعة لانه ارادة في القوة . هذه الارادة قد استحوالت إلى رغبة في غزو السماء . وقد ألقت بالانسان في كفاح قلبي عنيف ضد نفسه وضد العالم . كذلك احلت المسيحية شهوة سيئة محل شهوة طيبة . وانما تكون الشهوات سيئة متى نظر اليها بعين سيئة وشأن النفوس العامية انها ترى في كل ماهر عدوها مثلاً سيئاً وشراً ويلاً . فالخذار من ذلك . ان العدو لازم للحياة بل لكل حياة . والمخلوق الذي يفترض انه بلا عدو انما هو مخلوق تعس حقير قريب من العدم . واخيراً فان المسيحية بقضائها على الحب واعتبارها ايام خطيئة وعدواً خفياً رهيباً قد أسبغت عليه حلة الشعر وأخته وجعلت منه لذة يحملون بها وينشدونها برغبة وتهافت مقرون بالانتفاض والتوجس الخلو المستحب . فهي في الوقت الذي ادعت فيه أنها هدمت الحب قد خلقتة . ولما قالت انه من عمل الشيطان صار ذلك الشيطان أهم من القديسين بفضل أسرار الكنيسة وخباياها في المسائل الغرامية . وبفضل الكنيسة صارت مسائل الحب ذات أهمية حقيقية عند كل الارسط وأصبحت مدار الشعر وموضوعاً أساسياً للتواليف الخيالية . فالمسيحية قد جدت الطبيعة البشرية ولكن عن طريق افسادها والنزول بها الى درك

الانحطاط وعل هذا الاعتبار بعد نيتشة المسيحية ديناً مفسداً

ومن بعد الاديان نظر ، نيتشه ، في العلم وطريقة النظر بالعقل ، راسيوناً ليس ،
على اعتبار أنهما من العوائق القوية ضد مذهبه .

والعلم بلدى . الامر ليس سوى العلماء . قوم استحوذت عليهم الكتابة والاستحياء
واختاروا الاحتجاز واتصفوا بقصر النظر . أشد ما يستغرب منهم أنهم لا ينظرون الى
العالم ولا يعرفون الناس ولا يعلمون ماهية الانسان ولا يدرون مبادئ العلم نفسه الذي
يدرسونه ولا أصوله وينابيعه الاساسية ولا غايته ونتائجه تغلب عليهم الاعتقادات
الباطلة . ويصبغون الأوهام بصفة المذاهب ويهبونها قوة الصغ العلية . صنع المعامل
والمجامع . هم عمال انعركة الذين لا يدرون شيئاً مثل عمال المصنع الذين لا يعرفون نهاية
العمل الذي يخرجونه . هم الطبقة الوسيطة بين الجمهور وصفوة المثقفين . على أنها لا تتصف
بصفات الجمهور ولا بالصفات التي تنسب الى النخبة المثقفة . وإنما لتضم من الادعاء
أكثر مما يحسب على أية طبقة أخرى من طبقات المجتمع والنوع البشرى — كذلك
تحدث نيتشه عن العلماء كأستاذ وفق الى التلخص من حرفة الاستاذية .

واذا نحن صرفنا النظر عن الفائدة العملية للعلم نفسه وهو ما يجعل له بعض الأهمية
كان خدعة كبرى . ابتدعه ، سقراط ، من قبل المسيح بأربع مائة سنة تقريباً . ومن قبل
وسقراط ، لم يكن هناك علم أو على الأقل كان الانسان البارز هو الانسان الذي يعيش
بغريزته (الفطرى) وهو فى أسمى صوره الفنان أو الشاعر . وفى عهده كانت الاولوية
فى عقل الانسان وفى اعتبار الناس إنما هي صورة الانسان النظرى أى الانسان الذى
يريد الدليل على كل شئ . ويطلب المعرفة لكي يقيم ذلك الليل . الانسان الذى تعلم
ويرتب معلوماته وينتقد ويجعل لما يعلمه برهانا ونظريات وبالاختصار — الانسان
الذى ينظر فى الموجودات بالعقل ، راسيوناً ليست .

ذلك الانسان — العالم والراسيوناً ليست — هو عدو ميمن أيضاً للفن وللحياة . ولقد
عرف ، سقراط ، بأنه عدو للفنون وأراد ، أفلاطون ، أن يطرد الشعراء من الجمهورية .
قال ، نيتشه ، : إن أعظم ضد للنظرية الطراجيك (أي الفنية نسبة الى فن الطراغوديا

اليونانية) انما هو العلم . فان الفن يحجب الى الانسان الحياة تمثيلة لها في قوالب الجبال
 أما العلم فانه يغير لوننا ويجمعها باردة كالثلج - بين يدي في تحفاتها . ولم يحبه الذي
 يقتله العلم . ومن يفكر في النتائج المباشرة لذلك الروح العلمى الذي يسير الى الامام
 دائما وبلا مهل لا يثبت أن يدرك كيف لاشئ الأسطورة والميثولوجيا وكيف أنه بذلك
 الهدم انزع الشعر من موطنه الطبيعي الاسمى « إيدىال » وجعله ضالا كالشريد الذي
 لا مأوى له .

وفي الحقيقة أن سقراط صور ذلك الانسان النظرى بمذهبه الذى لا يخلو من عمق
 برغم أنه لا يتعدى الفكر المبدئى . على أنه مذهب خطأ بصفة جوهرية . يقول بان
 المعرفة أساس الحقائق على اعتبار أن الانسان الذى لا يفعل الخير هو الانسان الذى لا يعلم
 الخير ولا يدريه . وأن المرء متى عرف الخير فانه لابد فاعله .

وهذا لعمرى خطأ محض والعكس هو الحق . إن الانسان الذى يدري الخير
 لا يفعله لانه يتعبد بمعرفته . وهذا لعمرى بكفى لارضاء كبريائه . ولأن معرفة الخير تجعل
 الانسان يعتقد أنه قد فعله وأنه قد أدى واجبه . والخير غريزي وهو فى الفعل . ويندر
 أن يوحيه الفكر أو المعرفة . وما زال فعل الخير نتيجة حركة غريزية لاصلة لها بالمعرفة .
 غير أن هذا الرأى أساس مذهب الانسان النظرى . قال سقراط للعالم : تعلوا وفكروا
 وأقيموا الليل . فان المعرفة هى المقدرة . والمقدرة على فعل الخير . وما المعرفة والتفكير
 والبرهان إلا الانسان كاملا . وما بقى إنما يتعلق بالطفل . ، وكان ينبغي أن يقول للناس
 : اتبعوا غرائزكم فانها صالحة .

واجتهد ونيتشه ، فى اقامة الدليل على أن مذهب « سقراط » مضاد للحياة . وعلى
 اعتبار هذا المذهب تكون الحياة شرا ويكون سقراط متشائما شديد التشاؤم .

أنشأ سقراط الانسان النظرى وجعله من اضداد الانسان الذى يعيش بالغريزة
 والانسان الذى يجب الحياة الى الآخرين - الفنان - وجعله يعلم ويبرهن ويرسم
 النظريات . وكل هذا من ضروب العبث والخيال . فان العلم قد ير على أن يصدر كل
 منه ولكنه عاجز عن أداء غايته . وما الذى يحضر عليه العلم ؟ المعرفة . معرفة الطريقة
 التى يتاح لكل ماهر فى الانسان أن يدرك بها ما ليس فى الانسان . إذن فبى ليست

طريقاً للمعرفة وإنما هي وسيلة نعرف بها أنفسنا . ونختبر ملكاتنا في حالة استعمالها .
هي ملاحظة كيف نرى وكيف نشعر ونفكر ونقيس وكيف نقيم الدليل . ونحن الى
لآن لم نتجاوز هذه الدائرة . لم نخرج عن دائرة البحث في أنفسنا ونعرف كل ما هو
منا وفيها .

على أنا حين نختبر ملكاتنا نصفها حتى لكاننا نضعها في أميق !

ولكن ماهي النتيجة التي وصلنا اليها بعد اختبار ملكاتنا وتصنيفها الى هذا الحد؟
عرفنا مقدرة تلك الملكات في حالة استعمالها والمبالغة في تهذيبها وحدود ادراكها للعالم .
على أن معرفتنا بالعالم لم تزد . ولم تتجاوز في دائرة المعرفة حدود أنفسنا . ولقد وسعنا
مذهبنا ، أنا ، دون أن تتعدى دائرته . وأنا لانزال حين نطلب المعرفة لانخرج عن
حدود البحث في الانسان أى في أنفسنا . وما يقى ، الانسان في حدود المعرفة يمثل الدور
نفسه في هذه الكو ميديا بعينها . لا يستطيع أن يتأمل الاشياء إلا بالعين ذاتها تلك التي أوتيا
وألفها . ثم ما الذي انتهت الانسانية الى معرفته بعد تلك الآلاف من القرون ؟ عرفت
أعضائها . ومن الممكن أن يكون معنى ذلك العجز عن المعرفة .

إن الانسان لا يريد أن يخرج عن حدود ذاته ، في تعرف الاشياء ولا يريد أن
يعرف ما ليس منه

إن العلم يريد أن يعرف العالم ويفسره ويجه علما حقيقيا أي كاملا ومنطقيا أو
بالحري يريد أن ينتهي من تفسير اللانهاية في الواقع . إن العلم عاجز عن أداء هذه المهمة .
أنا حين نأخذ شيئا من اللانهاية لتوضيحه ندل على عجزنا لان كل جزء من اللانهاية إنما ينسب
الى ما لا يقبل التفسير قبل أن يتم توضيح كل شيء . إذن تكون تفسيرات العلم سطحية
الى حد أنها تشبه أن تكون غير تفسير . وأن كل معارف العلم ليست من المعرفة في شيء .
العلم لعب جدى وقور ومشرف . ولكنه لا يكفى لأعطاء الاولوية في الانسانية
الى الذين يلعبون وأن يعهد اليهم بمهمة الارشاد في الجماعات البشرية . إن في ذلك لحرأ
كبيراً . ولقد يشبه المشتغلون بالعلم أولئك الذين يسرعون في خفر بئر عمودية في
الارض فيلاحظ أحدهم أنه اذا قضى العمر كله في الحفر لا يستطيع أن يبلغ من العمق
إلا جزءاً بسيطاً وأن عمله لا يثبت أن يكون في آخر الامر مضحلاً بعمل جاره ،

يدن فـالـعـالـم وـالمـفـكر النـظـري وـمـن يـنـظـر فـي الـوـجـود بـالعـقل إـمـا هـو انـسـان مـحـط
هـو نـبـه انـسـان . وـأنت اذا كـنت قد قرأت . فـوسـت . وـمـهـمـت ذلـك السـعـر البـديع
فـأنت مـر كـبـلا شـك أنه تـضـاء عـلى ثـلاثـة أشـيـاء فـي الـانـسـان النـظـري . فـار . فـوسـت . قـبل كـل
شـي . هـو الـانـسـان الـحـديث . الـانـسـان الـذي يـعـسـر مـيـهـه عـلى أغـر فـي سـبـع عـصـر سـقـراط
لـعـمـرى هـو الـانـسـان المـواجـع بـالمـعـرـفـة وـبـالثـقـافـة . وـلـقـد أدرك مـا فـيـها مـن غـرور فـقام بـتـجـرـبـة
فـي حـيـاة العـاطـفـة وـلـكـنـه لـم يـوفـق كـل التـوفـيق . وـهـو بـعد أن اسـتـرقـى فـي تأمل العـصـور
الإغـرـيـقـية القـديـمـة تـنـهـى بـه الـامـر إـلى حـيـاة العـمـل . إـلى الحـيـاة الفـعـالـة الخـالـقـه وـإن كـانـت بـعـيـدـة عـن
الـبرهـان وـعـن الـانـشـاد العـاطـفـي .

والمـراد مـن ذلـك أن مـجـاح . فـوسـت . يـنـحـصـر فـي الصـعـود مـن القـرن الثـامـن
عـشـر إـلى عـصـر النـهـضـة وـمـن عـصـر النـهـضـة إـلى الـيـونـان الـتي سـبـت عـهـد سـقـراط . وـهـو
مـا يـفـضـى إـلـيـه كـل تـرق حـقـيـقـي . وـإنـما الحـبـاة العـلـيـة حـيـاة النـظـر بـالعـقل هـي الـانـحـطـاط .
وـلا يـسـتـدل مـن سـيـطـرة العـلم الإـعـلى أن القـرن . الثـامـن عـشـر قد انـخـذل عـن سـلـطان
المـثل الإـعـلى .

لقد بـكـون العـلم مـيزـة أنه مـحـضـة عـلى حـب الـاطـلاع . وـلـكـن حـب الـاطـلاع آخـر
الشـهـرات . وـمـن يـولـد بـهـذه الشـهـرة إـمـا يـولـد شـيـخـا . لـان الشـباب لا يـطـلـب غـير
الحـيـاة وـالعـمـل . وـالعـصـر العـلـي هـو العـصـر الآخـير لـلـانـسـانـة .



وـلـيـس ثـمـة وـهـم أشـد مـن الرأى الشـامـع فـي عـصـرنا وـالقـائل بـاقـتران الحـضـارة بـالعـلم
هـذه لـعـمـرى فـكـرة كـل انـسـان يـمـتـد أنه يـدري وـيـفـكر هـي فـكـرة الخـاصـة وـالعـامـة .
يـعـتـقـدون أن الـانـسـان الـمـتـد يـهـو الـانـسـان المـثـقف وـهـو خـطـا مـيـن . فـان الصـانـع
أو الفـانـ الـذي لا يـدري شـيـئا مـطـلـقا أو رـجـل العـمـل الـذي يـدري بـعض الدـرائـة وـيـعلم
الشـيـء القـلـيل هـو انـسـان مـهـذب وـمـشـد يـن أكـثـر مـن العـالم . قـال نـيـتـه وـلـقـد وقـع عـالمـنا
الـحـديث فـي شـبـكة الثـقـافـة الكـنـدريـة . وـهـي الثـقـافـة الـتي تـعد الـانـسـان النـظـري مـثـلـها الإـعـلى
الـانـسـان النـظـري المـسـلـح بـالقـوى وـسـائل المـعـرـفـة . وـالـذي يـعـمل لـخـدـمـة العـلم وـيـرى

في سقراط القديمة . هذا مثل الاعلى هو المبدأ والغاية خراج طرائقنا الخاصة بالترية . ومفروض على كل نوع آخر للحياة (الفن وحياة العمل والصناعة) أن يسكنها من أجل وجوده وأن يترقى على اعتبار أنه عمل مناهل فيه لا كفاية وغرض جوهرى من أغراض الحياة . ومن الميل النفسية المروعة ان الانسان المهذب لا يعترف به الا في ثوب الانسان المتعلم . وحتى فتنا الشعرى قد تشأ في بادئ الامر من محاكاة الامثلة العلية فالأغرضى الاصيل يرى مثل « فوست » لأول وهلة غير مفهوم

وليس العلم هو الوسيلة الوحيدة للنتاج والاثمار . فان للافعال أثماراً ايضاً كما قال « جوتة » . ولعل العلم أدنى وسيلة للنتاج . وانه يعوق وسائله السامية ويقف حائلاً دونها . انه عقيم يعوق الناس عن الاتجاه الى النافع القباضة . ومن عبويه أنه يجعل العالم بارداً كالثلج ويخففه . دون أن يؤدي غرضه المزعوم وهو تفسير لغز رجهله (العالم) مفهوماً .

وهل للعلم تلك الميزة العالمة وهي انه هلام الدين ! وهل العلم والدين حفاضان ! ان العلم مبنى على عقيدة أشبه شي بالدين أو الدين نفسه . وهو دليل على أن الانسان في احتياج الى ديانة أى الى تصديق تصوفى وان يقوى ويعزز في فكر الانسان ذلك الميل الى التصديق وتلك الحاجة الخارجة عن العقل والتربية الى الطقولة ويريد بها الحاجة الى اليقين التصوفى .

والحاجة الى الدين التي اكتسبت في عصرنا الصبغة العلية والوضعية انما تفرها الرغبة القوية في الحصول على شيء ثابت ممكن . الرغبة في الحصول على عضد . وهو ما تمليه على الانسان غريزة الضعف التي ما زالت الحافظ الامين للاديان والمبتلين بقيات . فالثمة في العلم انما هي ضرب من العبادة والتقوى . ولا يصنع الانسان الا بما يؤيد البرهان انه صحيح . ولكن لكي يعتاد هذا الضرب من التصديق المبنى على البرهان لا بد له من عقيدة سابقة يوقن بها ان ماهو مؤيد بالبرهان خير مما لا برهان عليه . اخذ فاعلم قائم على عقيدة أشبه بالدين .

قد نقولون ان هذا ليس ديناً وانما هو مجرد الرغبة الطبيعية المشروعة في اتقاء

الحديعة والغش . فليكن ذلك . ولكن تلك الرغبة في اتقاء الحديعة تفرض مبدأ آخر هو أن تجنب الحديعة والحذر منها خير من الوقوع فيها . هذه الرغبة في الحق ليست شيئاً آخر سوى أنها دين .

فالعالم الذى يدعى أنه حرر الانسان والذى ينبغي ان يحرره انما يحوجه الى العبودية . بل انه يجعل تلك العبودية لازمة . واذا كانت الحضارة العملية قد وصلت شيئاً فشيئاً الى فكرة المساواة بين جميع الناس فان الحضارة لا تستغنى عن شعب من العبيد يقوم بالعمل فى مناجمها وسككها الحديدية ومنشأتها ومصانعها وهذا لعمري تناقض بل هو خطر قد يردى فى يوم قريب بحضارتنا تحت التأثير المزدوج للضرورات العملية والنظريات وكلاهما يفضى الى خاتمة واحدة حين تتضارب فكرة المساواة بحاجات الحضارة العملية .

وهنا استعان نيتشة برأيه فى أن دوام الحضارة لا يكون الا بوجود طبقة من المستعبدين .

عبد الحيد سالم

للبحث بقية .

ظهر الجزء الاول من

اصِلُ الاِنْسَانِ

وَنَسُوْنَهَا بِالْاِنتِحَابِ الطَّبِيعِيِّ وَحِفْظِ الصُّفُوْفِ الْغَالِبَةِ فِي السَّيَّاحِ عَلَى الْبَقَاءِ

فاطلبه من دار العصور ومن المكاتب الشهيرة

تحسين النسل

-٢-

الانسان المطلوب : المطلوب إيجاد أناس أذكيا، أصحاء، أقوياء قادرين على العمل الصالح لأنفسهم ولذويهم وللبيئة الاجتماعية . أما أولئك البلهاء الجرمون المشوهون أصحاب الأمراض المعدية المتوارثة فغير مرغوبين بالمرّة ؛ لأنهم يتسبون في الاكثار من أمثالهم الذين يعيشون عالة على الانسانية زبادة عن كونهم ينشرون بينها الشرور ولو كان آباؤهم قد منعوا من التناسل لما خسرت الانسانية شيئاً بل بالعكس كانت قد ربحت كثيراً . وعلى كل لم يفت الوقت بعد ؛ فعلينا أن نوقف تناسل أمثال هؤلاء ، اما بالاقتناع أو بالجبر . والاحسن هو العمل للوصول إلى غايتنا عن الطريق الاول لو أمكن ذلك .

حقيقة أنك تطلب شيئاً كثيراً من الرجل اذا حاولت منعه عن الزواج وعن التناسل ، ولكن التضحية من أجل المجموع غاية سامية يجب أن يقدمها كل منا بطيبة خاطر . وعلى كل هل يود الأب أن يرى ولده متألماً أو مشوهاً ؟ فلنتفحص الرجل ذن أولاً بأن ابنه سيكون غير صالح للحياة فقد تنجح في مهمتنا لدرجة ما . يجب أن ينظر الواحد منا الى تاريخ اسلافه ليرى ما اذا كان قد تنسل عن عائلة توارث مثلاً الصرع أو الجنون ثم ليستشر أحد الاطباء فالطبيب هو الذي يساعدنا للحكم على ذلك ، لأنه أكثر منا وقفاً على أسرار الوراثة ويمكنه تقدير ما يورث وما لا يورث من الصفات . وعلى كل حال فانه من عين الصواب أن يعرض كل انسان فراشه للطبيب كي يفحصه قبل أن يقدم على الزواج

أما في الأوساط الفقيرة البائسة فيجب العمل لتحديد النسل ، لأنه لا فائدة من إيجاد خلائق تنمرغ طوال حياتها بين أحضان التماسه فتندفع نحو الاجرام . ومن حسن الحظ أن عصرنا الحالي لا يحتاج كالعصور السابقة ، إلى الكمية ، بل يحتاج

نحط الى القيمة: وذلك بفضل ما استجد من الآلات. فاذن يجب علينا أن نهم الناس أن الاكثار من الاطفال مسئولية عظيمة تجاه ذواتهم وتجاه أطفالهم؛ وذلك من الوجهتين المادية والادبية معاً. وبالطبع تصبح المسئولية عظيمة أيضاً حيال المجموع وللتوصل الى تحديد النسل يمكن اتباع طريقة التعقيم Sterilization الجراحي للذكور - لأنها خطيرة اذا أجريت في النساء - وهذه الطريقة قد أصبحت بسيطة بفضل تقدم العلم ويمكن أن تتبع أيضاً حتى مع الأصحاء الذين يكثرون من التناسل فيمكنهم أن يوقفوه عند الحد الذي يراعونه أو يطبقونه. وأما في المعترهين والمرضى فلا مانع من جعل التعقيم اجبارياً

وقد أجريت - ٥٠٠ عملية تعقيم اجبارية خلال ١٨ سنة في إحدى مستشفيات الأمراض العقلية (وذلك بنسبة ١ الى ١٢ من المجانين) وقد اختير من يأس الاطباء منهم لتغلغل الجنون في عائلتهم مثلاً. فلم يتضرر أولئك الأشخاص بالمرقيل بالعكس تحسنت أحوال البعض منهم. وليس في ذلك أي معنى للحجر على الحرية لان أمثال هؤلاء لا يفقهون للحرية معنى وهم بالفعل مقيدة حرياتهم في المستشفيات. وحتى اذا لم يكونوا محجوزين فإن حالتهم لا تعد حرة ماداموا يراقبون خوف أذا هم أو يعاكسون وربما يؤذون الاطفال لما يدون به من المظاهر

أما المحرمون فيجب أن يعطى لمن لم يتعود الاجرام منهم فرصة لبدأ حياة أحسن. ويجب أن نتعرف بان السجن لا فائدة منه لتعدي الاجرام ولكنه بالعكس هو لهم أثر مدرسة. وربما يكون الحبس القصير المدة تحت رقابة ونظام محروسين رادع، لبعض الناس ولكن اذا لم يكن هناك أمل في الردع أفلا يكون من حق الانسانية أن يطلب حماية ذاتها من أولئك الاشرار وذلك باطالة منذ تقييد حرياتهم حتى لا تاح لهم فرص كثير تلك التناسل بذلك الامر الذي يتكاثر معه افراد الوسط الاجرامى. وكذلك يجب ملاحظة ان الاجرام يبدو غالباً بين المصابين بالصرع والجنون وذاء الميل الى السكر وغيره

يجب على الهيئة الاجتماعية أن تحتاط لنفسها تماماً وان لاتعير التفاتاً كبيراً لعاطفة الخو الانسانى فالعضو المضر يجب فصله بدلاً من تركه يسمم بقية الجسم

قسم سكان إنجلترا في تعداد عام ١٩١١ الى ثمانى طبقات اجتماعية فوجد ما يأتى

فى ١٠٠ عائلة من الدرجة الأولى ١٩٠ مواليد تبقى منهم ١٦٨

٢٣٢ ، ، ، الثالثة ٢٧٩ ، ، ،

٣٦٨ ، ، ، الخامسة ٣٣٧ ، ، ،

والدرجة الاولى تجمع أرباب الاعمال الفكرية والثالثة الصناع الفنين والخامسة
الصناع الغير فنيين. ومن الغريب أنه كلما ارتفع مستوى الحياة انخفضت نسبة المواليد
والعكس بالعكس. ويلاحظ أن تقدم الوسائل الصحية قللت من وفيات الطبقات
الوضيعة. وسيستج على مرور الزمن زيادة جديدة. فمما سبق يانه يتضح أن نسبة الباقين
من المواليد فى كل مائة عائلة كما يأتى

١٦٨ درجة أولى ٢٣٢ درجة ثالثة ٣٦٨ درجة خامسة والدرجة الاخيرة هى
أكثر الدرجات فى وفيات الاطفال فى الوقت الحاضر كما يلاحظ من الارقام السابقة
فاذا دام الحال على هذا المتوال سيزداد الوسط الصناعى الغير فى زيادة تتضاعف
بمرور الزمن وكذلك يكون الحال بين أحط الدرجات ومعنى هذه الزيادة تفاقم الخطر
انتشار البؤس

هناك حل مؤقت ينحصر فى مساعدة المعيلين ماديا حتى لا يتدهوروا نحو الناقة.
ولكن هذا يكلف كثيرا وقد يجر الى التراخي من أجل الكسب. وهذا له أيضا معنى
آخر هو أن القسم النشط يشغل لتربية القسم الغير نشيط من الامة فاذن ملخص
مطالب الداعين الى تحسين النسل هى

(١) تحديد النسل

(١) بالانواع

(ب) بالاجار

١ — باطالة مند سجن معتادى الاجرام

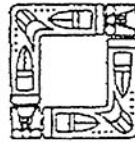
٢ — باعقارهم من لا يرجى شأونه من الجنون

(٢) تقديم المساعدات المالية

(٣) اجبار المقدم على الزواج على استخراج شهادة طيبة بأنه عاقل للزواج

والمطلب الأخير الذي لم نشرحه : ينتج ولا شك شيئا من التقدم لأن الطرف الثاني لا يجازف بالتزوج من الطرف الأول إذا كان مسلولا مثلا ومن يدري فربما يأتي الوقت التي تقدم فيه الإنسانية على استئصال المضر أو الأقل على إجباره بطريقة التعقيم عن التكاثر يضاف الى ما سبق ان المستقبل يتطلب قيمة وليس كية

ع . ع



أطلب من دار العصور الطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المروقة

مَعْصِيَةُ الْمَلِكِ نَيْلِ الْحَيَاةِ

ومقالات أخرى

علمية وفلسفية وانتقادية

بقلم

اسماعيل مظهر

الليل

La Nuit

من أغاني بليتينس^(١)

مترجمة عن الفرنسية بتصرف

حينما برخى المساء أستاره
أُسرع السر حثيثاً نحوه^(٢) ويوارى جثة النور دجاء
في المروج الخوق قد حط عصاه

راقداً . لكنني ألح به باسمًا . ما كان إلاّ حالمًا
ثم أبقى ساعة ساكنةً أتملى الحن فيه نائمًا

برهة في إثر أخرى تنقض وأنا يغمرنى إيناسه
وأقبله ولكن لا على شفّته .. إنما أنفاسه ..

ألم الأتقاس لكن هوّى نارُه تعلو لأبراج الفؤاد

(١) نشرت قسماً سابقة من هذه الأغاني بالعدد ١٥ من المصور

(٢) الضمير في نحوه عائِد لحبيبتها — الخو: الخضراء

ينمر النفسَ فأنسى أنه فوق هذا العشب في أنس الرقادِ

ثم أهوى فوقه لثماً ؛ وفي ضمه للصدر يصحو طرباً
نرتوى من منهلٍ عذبٍ من الـ قبل الحلوة ؛ من نهر الصبا

في عناقٍ ، وعشاءٍ ، وصفا ليس من رقبنا غير النجوم
ينقضى الليل على رغم ويا ليته في مجلس الوصل يدوم !

ثم يبدو الفجر فضاحاً فلا يذر الاسرار ما لم ينطق
نسترق الخطو حتى لا نرى . قد تواعدنا على أن نلتقى .

أى جزءٍ فيك يا أرض خفى عن عيون الناس لا تنظرو
أى جزءٍ فيك يا كون خفى عن شعاع الشمس لا يغمره ؟

لا نرى الصبح به مقتفياً أثرينا . إننا نخشى طلوعه
فيه نحيا في هوانا أبداً لا نرى الفجر اهدنيه^(٣) يا طبيعه

حسن كامل الصيرفي

(٣) الضير في اهدنيه يعود على المكان الخفى

المدينة اليهودية المستقبلية

أعتقد أن عهد ما يسمونها المدينة المسيحية - مدينة أوروبا الحالية - على وشك الزوال وبالطبع ستقوم مقامها مدينة أخرى أعتقد أنها ستكون أكثر اهتماماً بالمدنيات من المدينة الحالية ولكن على نقيض آخر

من السهل ملاحظة التباين بين اليهودي المتأخر بخناق العالم والمسير لأموره دون أن يبدو لانتظار العامة رغم أن الخاصة تترجف كلما فكرت في تزايد السطوة والجيروت الذين لا بد سبلا زمان هذه السيطرة الآخذة في الزيادة

كذلك يشعر المفكرون أن اليهود قد أثروا في توجيه الرأي العام إلى جهة غير الجهة التي كان يتطلع إليها وانهم قد استفادوا من القلق الاقتصادي الذي نتج عن الحرب هذا إذا أغفلنا حقيقة أن الذي ربح الحرب الأخيرة هو نفوذ اليهود دون سواهم واستثمروه خير استثمار

وانك إذا بحثت كل حركة هدامة أو مجددة في الوقت الحاضر تجد أن محورها العناية اليهودية، الأمر الذي يمكننا مشاهدته متجلياً في موقعين: أولاً في روسيا وثانياً في فلسطين. وهذين الموقعين هما بحق مريض المدينة المستقبلية

ففي روسيا نجد الثورة تزكيا الدعوة اليهودية التي تجد انجالاً فسيحاً لمهاجرة المسيحية - حاملة علم المدينة الحالية - أما فلسطين فسياسة اليهود تختلف فيها عما هي في أرض البلشفية. فاليهود يريدون أن يشيدوا في فلسطين نقطة ارتكاز يوجهون منها جهودهم حيث شاءوا وحيث يجدون فائدة

فكما أن روسيا ليست غير معمل البارود البلشفي الذي يعمل على تعسف المدينة المسيحية فإن فلسطين ليست غير العنبر الذي تولد فيه المدينة اليهودية المستقبلية

ويشعر الصهيونيون أنهم في حاجة إلى حماية أقوى دول المشرق حتى تثبت أقدام مدنيهم الجديدة وعندئذ يكون من أسير الأمور عليهم إزالة تلك الحماية بفضل ملهم ونفوذهم وبريطانيا نفسها تشعر بنمو الصل اليهودي تدريجاً بين احضانها وعبئها

تحاول أن تزيل عنها وبلانه المستقبل مع عليها بأن امبراطوريتها ستكون أول من يتحمل صفعات اليهودية المميتة

وإلى إذا قلت فلسطين اقصد مركز الشرق الأدنى في المستقبل - فلسطين جند اطرافه العراق ومصر والثانية كانت تتصل بهم الاتصال بها وأما الأولى فمن اتصالها الوثيق لن يتأخر كثيراً

فالأحياء في المستقبل سيرون في اليابان مثله الشرق الأقصى وفلسطين مثله الشرق الأدنى وأمرىكا مثله الغرب الأقصى قوات تعمل في مناطق نفوذ لا تحتك مع بعضها احتكاكاً جدياً قبل مرور أمد غير قصير

والاحظ أن اليابان تمثل مدينة تغلب فيها النزعة الفلسفية في حين أن الولايات المتحدة تمثل مدينة تغلب فيها المادية. أما فلسطين فتكون بين أي جامعة بين النزعتين لو قامت حرب واحدة أخرى فتل على مدينة أوروبا السلام فإن الأوروبيين سيدمون ويذبحون بعضهم البعض بينما تقف اليابان وأمريكا وفلسطين موقفاً يصح أن يقال عنه الحياد التام. هذا إذا لم تقدم أميرىكا وفلسطين على مديدها للتجار بين بملايين الجنيهات لكي تزكو نيران الحرب. الامر الذي يعود على كليهما بآلاف أو مئات الآلاف من الجنيهات

هناك مشروع لدأنابيب النفط من المرسى - أغنى الاقطار في النفط - الى ثغر حيفا الفلسطيني وستصل بغداد بحيفا بالقضبان الحديدية وبالطيارات وباليارات ومن يدري ما يخبئه الغيب من المخترعات والمكتشفات الغربية فإن فلسطين ولو انها لم تصر بعد فتكون يوماً ما رضى الانكليز أم غضبوا ملكاً لبني اسرائيل . وإذا قلنا بنى اسرائيل فتحن تكلم عن أمة موحدة المرمى كثيرة المال لها رأس يفكر . لذلك ستصر على أن يكون لها كلفة الفصل في الهيمنة على مركز فلسطين الاقتصادى أولاً ثم سيأتى الوقت الذي يلتفت فيه اليهود الى الهيمنة السياسية والتوسع أيضاً

ان مستقبل فلسطين التجارى حسن جداً فهي قلب العالم ومنها ستمد الشرايين تم اليها من الغرب ومن الشرق واليهما معاً وفي ذلك الوقت لن تكون لقناة السويس قيمة الا للذين يرومون قتل أوقاتهم في السياحة أما الطرق العميلة (التجارية)

من سيارات وطائرات فكلها تنضطر الى اجتياز فلسطين في ذهابها وعند اوتها
سنسمع يوما من الايام ان حيفا هي عروس البحر المتوسط وانها أكبر محطة
للطيران يحط فيها كل من يطير من الشرق الى الغرب وبالعكس
أما معمل البارود فكان مؤقتة أو مزرعة لتربية التعاليم الخطرة والسوم
التكربية التي يراد منها محو الانظمة الحالية وسيكون اسمها يوما ما الانظمة العتيقة البالية
يجب أن نتطلع الى ذلك اليوم فانه سيكون الحد الفاصل بين عهدين عهد مصر
الذهبي وعهدها المظلم . فبعد ذلك اليوم ستكون مصر كية مهلهة وستكون عضوا أثريا
في ملكة داود الجديدة

نريد أن نرى وان تعلم حتى اذا ما اضطررتنا الظروف أن تفسرجها لوجه مع
اليهود نكون أمة يخشى جانبها ولو جزئيا. وأما اذا اضطررتنا الظروف الى الاندماج
في النهضة السامية فنكون قد قمنا بقسطا غير صغير في تشييد المدنية المقبلة
وعلى ما نعمله في الوقت الحاضر يتوقف مصير هذا البلد في الاجيال القادمة. أما
ما هو حادث فقد نتج عن جهود اسلافنا في الاحتباب التي مضت
العلم والثروة هما السلاحان الواجب التسليح بهما لمواجهة المستقبل قبل نحن فاعلمون
لتلاقي ما قصر ابائنا فيه ؟

عمر عنایت

أطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة

العقائد

سياسة حزب العمال

محاضرة للمستر ماكدونالد في باريس

ان محاضرة يستعرض فيها زعيم العمال في انكلترا سياسة حزب لذات أهمية كبرى نظراً لاقتراب الانتخابات العامة .

بدأ المستر ماكدونالد بالقول بأن زيارته كانت محوطة في أول الأمر بشئ من الشك والقلق الذي استحوذ على العقول من جراء مرض الملك مما أثار في قلب كل انسان في أنحاء الامبراطورية قلقاً يمزج بعاطفة الحب العميق بما جعل هذا الشعور الفياض من أظهر مظاهر العطف الذي تجلى في زماننا هذا فيجدد بكل الحكام والعظماء في هذا الزمن ان يحسدوا الملك جورج للسكينة التي اتخذها في قلوب كافة طبقات الشعب ثم بدأ المحاضرة باستعراض نمو حزب العمال في انجلترا فإشار الى سياسته في جعل مرافق الحياة العامة في الدولة ملكاً لامة وانها سوف تسير على أسس تطورية لاثورية وان حزب العمال أكثر تباعداً عن البولشفية من حزب المحافظين ذاته وأكثر بعداً كثير عن ظواهر الرجعية في بعض أنحاء أوروبا التي تتصل بالعطف نحو الفاشيزم ثم عطف على السياسة الخارجية فقال ان سياسة العزلة البريطانية القديمة قد زالت ومما قضى عليها ليس نمو الجيوش الحديثة فحسب بل نمو الصلات الاقتصادية التي ربطت الامم بعضها ببعض وجعلت كلا منها يعتمد على الآخر بقدر — وذلك مما دلت عليه خبرتنا اثناء الحرب العام .

ثم أنبأ بانها فكرة أخرى وهي أن حزب العمال لا يعتقد ان السلام في العالم لا يمكن استقراره بمحاولة الوصول الى توطين ميزان القوى بين دول العالم أو بأى ضرب من ضروب المعاهدات أو الاتفاقات الثنائية. ويرى الحزب ان عصبة الامم يجب أن تعتبر محاولة تعاونية تشمل كل الامم في أقرار السلم في العالم . ولا يمكن الوصول الى ذلك الا متى شعرت كل أمة ان تضيئها الخاصة مهما كانت لا يمكن أن ينظر اليها أو تحمل الاحسب عدالتها وأحققتها ومتى شعرت بهذا الاحساس فهي تنظر بدورها الى قضية الشعوب الأخرى بنفس منظار النزاهة والتجرد من التحيز ولن

يعضد حزب العمال أية محاولة من جانب أية دولة الى اقرار السلم عنوة وبقوة السلاح أو إتيان أى تغيير فى معاهدات الصلح قوة واقتدارا . وسوف يشد الحزب ازركل الجهود للاسراع فى تصفية التعهدات المؤقتة التى فرضتها معاهدات الصلح وتحقيق عهد الصلح وتحقيق عهد الاطمئنان والتأكيد الذى اعطى قبل امضاء هذه المعاهدات وسوف يعضد الحزب مبدا الجنسيات مولما كانت الحدود والفوارق السياسية لتحديد بآئدة الثامة الفوارق والقواصل بين الاجناس . ثم من باب الحزب جهدا لأن يفرض على الدول القيام بتعداداتها فيما يختص بمعاملة الاقليات بحيث تشعر هذه الاقليات الارتياح والاطمئنان الى ولائها انيسى . وقد أشار المبرر بلدين قريبا الى مسألة الصلح كما لو كانت تتوقف على محور عنصر . التمر ، فى الطبيعة الانسانية يد أنه (أى المبرر ما كمبرر) يخالف هذا الرأى لا لأن هناك عنصرا من . التمر . باق فى طبيعتنا متغلغل فى الاحشاء . يعوق اتهاج سبل السلم بل لأن هناك من الخوف فى قلوبنا والشك وعدم الاستقرار فى أحوال العالم السياسية ما يحول دون ذلك . فمسألة السلم هى قبل كل شىء . مسألة ثقة . ومسألة الثقة هى مسألة الامان والطمأنينة فيجب أن تشعر الامم بالارتياح العقلى وأن هناك ما يحميه دون وقوع المظالم . وقد كانت الامم للآن تسعى للحصول على الحماية اللازمة بقوة سلاحها يد أنها لم توفق الى الحصول عليها قبل هناك من سبيل به تشعر بهذه اخابية والرقاية من الاعتداء كما يشعر كل فرد فى البلد الذى يسود فيه سلطان العدالة والقانون ؟ فمحاولة الوصول الى قدر كاف من حماية النفس هو الذى أدى دائما الى شوب الحرب .

إن الجيوش والمخالفات المطلوبة للدفاع هى بنسب الجيوش والمخالفات التى أدت الى تخوف جيرانها من الاعتداء .

السعى فى الحصول على الطمأنينة

فى سنة ١٩٢٤ كانت معضلة الامان تقف أمامهم وجها لوجه فى جنيف ووافقت عصبة الأمم على مشروع تمهيدى لعلاج يعرف بالبروتوكول . . وقد توالى الحوادث سرانا منذ ذلك الحين . فقد أمضيت معاهدة لوكارنو ووافق الجميع على عهد كيلوج وهذه الاتفاقات عدلت الحالة نوعا ما عما كانت عليه عام ١٩٢٤ يد انا للآن نسعى

للحصول على الأمان الذي يمكن مؤتمرات نزع السلاح من الوصول إلى اتفاقات
مؤسسة على افتراض امكان الحيلولة دون الحروب لا على التخوف من شوبها.
فالتحفظات التي أدخلت على اتفاقية كيلوج من جانب الفرنسيين والانكليز
وامريكا نفسها... تبرزت عن هذا الشعور بعين من القلق والتخوف وتحت ستار
الدفاع عن النفس أبقت الباب مفتوحا أمام امكان وقوع حرب عامة ومن جهة
أخرى للمفاوضات في صدد نزع السلاح كانت كلها تدار على افتراض أن الدفاع عن
النفس قد يكون ضروريا وأن مشروع نزع السلاح الذي قد تقبله أية دولة يجب
أن تكون على قدر ما تقتضى حاجتها العسكرية في حالة وقوع الحرب. فهناك فرنسا
لجأت الى حماية مطالبيها الحربية الممكنة بحيش مرابط وعلى انكترا حماية سبل البحار
وامر يكأن تحمي اهتمامها بجعل الطرق البحرية مفتوحة أمام متاجرها في حالة حرب
عامة. وكانت النتيجة آخر الامر ان شتى المقترحات التي وضعت للوصول إلى اتفاقيات
لنزع السلاح كانت بحيث لا يمكن أن يقبلها فريق من الامم وان قبلها فصيها الرفض
من الفريق المقابل. وما ذلك لأن الفن العسكري للدفاع عند أمة يختلف عنه في فريق آخر.
فلو أمكن سلسلة من الحلول المتوسطة بمصر التضحية الوصول إلى اتفاقية على هذا الاساس فلن
يكون ذلك حقيقة انقار في سبيل سلام العالم بقدر ما هو التخفيف عن العبء الثقيل
الذي بنو، تحته دافع الضرائب في كل البلاد وقد يكون ذلك الحل مما يرفع عن كاهل وزراء
المالية يد أنه لن يرضى وزراء الخارجية وفي ختام محاضراته صرح المستر ماكدونالد
أنه واثق متى وضح الغرض وملت النيات السياسية أن في مقدور انجلترا وفرنسا
والمانيا حماية سلام العالم بوساطة عصبة الامم فلو اشتركت أمريكا وتعاونت للوصول
إلى هذا الغرض داخل العصبة أو خارجها أمكنهم توطيد سلام العالم يد أنه لا بد من
التواصي بالصبر ومن الاستعداد لبذل الجهود نحو تغيير الحالة الحاضرة إما ما لم يكن
هناك سبيل إلى تغييرها فإن حربا أخرى واقعة لا محالة

اعترافات متطفلة

قصة تركية مترجمة عن كتاب «أحسن القصص»

بقلم منير خندان

إلى صديقة قديمة

وأنت أيضا تلومينى مثل سائر الناس . . امرأة هربت مع عشيقها تاركة وراءها زوجها وثلاثة من فلذات كبدها !

انى وأيم الله حينما أرى هذا العنوان . لو لم أكن بطله هذه القصة لكنت أولى من بادرت الى اللوم والتفريع . ولكنى أعلم انك على جانب عظيم من الزكاء وبعد النظر بحيث لا يأخذنك بريق الظواهر ولا تحذعنك المظاهر . . .

فهل لم يكن فى إمكانك أن تفهمين تفهما حقيقياً أكثر من غيرك ؟ فلم لم تنظري - ولو مرة واحدة - الى قلبي فى هذه الخمس عشرة سنة التى قضيتها فى هذه الحياة التى تنتقدونها الآن .

انك لم تبحنى عن أصل هذه الضجة التى لا كتبها الا لينة فى البيت التى اتى اليها طيلة هذه المدة

نعم ! انى عشت عيشة خاطئة لا يغفرها رجل ولا امرأة . ولا تقبلها بيتة من البيئات والايواسط . الا أن هذه الحياة : لما كانت مظلمة باسم وستار زوجى . لم يجد أحد منكم فى نفسه الشجاعة الادبية الكافية لتوجيه أى نقد وطعن الى أوالى زوجى وجهالوجه . مكفين فى زوايا مجالسكم الخفية بالهمسات واللمزات . لماذا .

انى كنت امرأة تصطبج عشيقها الى منزل زوجها وتعيش معه عيشة الاختدان بين سمع وبصر زوجها .

لماذا لم تهمرالى طردى من مجالسكم ؛ حينما كنت أحضر اليها مع زوجى وعشيقى فى وقت واحد ؟

وإذا كنت أنت؛ أيتها الصديقة؛ لم تعرفي داخلية حياتي الخاصة؛ وأنت اقرب الناس اليها وادراهم بها. لهذا لم يعلم ذلك أى فرد من أفراد البيئة التي ننتمى اليها. وبعد ما خرجت من مجالسكم اخذت ببلغنى الضجة التي اقمتموها حولنا نحن الثلاثة. وقد كنت اعلم تمام العلم بما تكتنه. سدوركم نحوى من الكراهية والازدراء للذين لم يكن ليظهر لها اثر على شفاهكم وقتئذ لاسباب تفسرها؛ ولكنى كنت فى حيرة شديدة من سكوتكم وكيف كنتم تصبرون على ذلك ولماذا؟

فالآن اذا صرحت لك؛ لماذا التزمت السكوت فيما مضى واليوم أمعتم فى توجيه سهام النقد وقوارص اللوم والطعن؛ فلا تغضى، أيتها الصديقة؛ من ذلك؛ أنى فيما مضى كنت أحمل اسم زوجى متستره وراء ستاره؛ فكان زوجى على جانب عظيم من التئود وعلى قسط كبير من الغنى والسيادة فى عالم المال والعمل حيث كان كل واحد منكم. رجالا ونساء. فى حاجة الى الاستفادة من جاهه وغناه. فكنتم تحشون نقد حياته الخصوصية الا فى زوايا مجالسكم السرية؛ حتى ان الرجال منكم كانوا يدافعون عنه بأنه يجهل الواقع. فهكذا كلكم رجالا ونساء كنتم تخصونى دونه باللوم والتفريع والطعن والتشهير ...

ومن الطبيعى أن الرجل المخدوع يعتبر مذكورا. كما انكم لم تكونوا لتجدوا فى نفسكم الحق فى الطعن فى شاب عازب منخدع. اذن؛ تمنع تبعه الذنوب التي ارتكبها هؤلاء الثلاثة كلها على عاتقي! انا المرأة فقط

نعم انكم لم توجهوا سهام نقدكم ونصال طعنكم الى هذه المرأة المذنبه التي تبذرها اليثات، ولا تصفح عنها أية عقلية من عقليات المجتمعات والايوساط؛ فيما مضى جهارا؛ لقضاء أوطاركم المادية من زوجها اذ ذاك. والآن تلومون نفس هذه المرأة بقارص الكلام ولا ذع النقد والتفريع لمفارقتها زوجها وأولادها الثلاثة فى حين انى أعتقد ان ماعملت هنا هو أتم عمل عملت به وأشرف ما قدمته فى حياتى. حرري عقلك من قيود الماضى. وأساليب التفكير القديم البالية وأصغ الى ماسأثرحه لك (فى هنية ثانية)

هل تعرفين. لماذا أقدم لك هذه المقدمة البسيطة قبل الشروع فى تاريخ حياتى؟

لا أقصد بذلك قطاسكات الضجة القائمة من حولي الآن والتي تفيض بها مجالكم هناك ! بل
انى أريد به أن اظهركم على خطكم البين في سوقكم الكسدة وعقليتكم الفاسدة
التي مامى في الحقيقة الا مجموعة أفكار بالية



كنت نذاة غنية في بيتي وفي الوقت نفسه من أجمل الفتيات فيها . من يوم ما عرفت
نفسى اعرف اننى مختوبة . ولا أشرى موتى . ولماذا تفصوا خضيتى على الغير
وكان خضيتى أيضاً من أسرة غنية الا أنه كان دميماً حياً لا يعرف المديون . وكان أشبه
بالشبح منع بالاسان . وكان اسمه ينفضى ويشير عندى شيئاً كبيراً من الهياج والدورانية . .
لما ذكر اسمه . واستمر هذا الى أن أكملت دراستى . وبعد ذلك شعرت بانى في حاجة
الى أن أتعرف عن كذب مادية هذا الرجل الذى سيكون شريك حياتى المستقبلية .
وكما تقدمت في تعرفى به وتفهمه . زدت منه تقوراً وكراهية . وربما كان الاحترام
الرائد والخفاوة الباهرة اللذين كنت أقابل بها من بيتي قد أحدثا عندى شيئاً من
الغرور والكبرياء . وما من يوم يمضى ويمر الا وكنت أتخقق فيه أن الوفاق بينى
وبينه يكاد يكون ضرباً من المحال .

ولما فاتحت والذى فى هذا الموضوع مبدية له رأيي الصريح فى ذلك أصبح ذهني
كبيرة بل وذعر ذعراً من هذه الصراحة . وتعباني نفسه من شرب على رأسه كمن وقع
فى مصيبة كبيرة وقال :

— أواه . . . وهل كان هذا جراً ما تحمله فى سبيل تربيتك ؟ . . . ماذا حدث
وماذا ارتكبت من الاخطاء . واذا كنت قلت انى لا أريد خضيتى . فهل أكون قد
أنيت شيئاً نكراً ؟

وقال والذى :

— انى قد تعبت . . . ولا يمكن أن أرجع عن عهدي الذى قطعته . .
هل تعرفين ماذا شعرت حينما سمعت هذا القول . شعرت بانى في نظر والذى
كالطير الذى اشتراه ووضع فى القفص وعنى بتربيته والحفاظ على حياته فله اذن
حق اطلاقه وفك إيساره كما أنه الاستمرار فى حبه واعتقاله انى شاء . ومتى أراد .

وما دام أن والدي قام بتربيتي وعنى بتهدئي ودراستي منذ نعومة أظفاري فحكوم علي
اذن أن أبقي أسيرة والدي وأمة عطفه السابق فأودة كل ارادتي مضطرة الى أن أقضي
نحبي

أنا لا أملك شيئا من نفسي بل أنا ملك له لاغير . فإذا رجع هو عن عهد
تطعه عني فذلك يعتبر ماسا بكرامته وخدشا في شرفه . ولكن اذا رددت كلاما قاله
غيري وهو في الوقت نفسه مما يمسنى ويهد من كياني فذلك يعتبر وقاحة مني وتصرفا
فيا لاحق لي فيه

هكذا حصل . تصادم فكري في رأسي بين حتى وحقي والدي مدة سنة . وفي
النهاية فاز حقي بالمركة فبادرت حالا الى اثبات أن لي كيانا مستقلا ووجودا خاصا
حيث عمدت الى ارسال خطاب الى خطيبي بتطليقي اياه

نعم وقد تعرضت حينئذ ايضا للملامة شديدة والى تقدير قليل من الناس . وأصبحت
هذه الفتاة الجريئة الوقحة التي طلقت خطيبها بدون اذن من أيها موضوع كثر من
القليل والقال والاراجيف الذائعة في المجالس طوال الليالي والايام . وزاد والدها منها
نقورا واشتمازا والناس لوما وتقدا مرا

ثم تزوجت وكان زوجي معدودا من كبار الاغنياء لاني داخل القطر فقط
بل من كبار أغنياء العالم حيث كانت له مكانة مالية في الاقطار الاجنبية أيضا .

وهل رضىته زوجا لي ؟ أصدقك القول : فأقول نعم : اني تزوجته لغناه .
وقد كنت أنا أيضا على جانب كبير من الثروة والمال ولم يكن لي بها من كبير حاجة .
إلا أن مركزه الاجتماعي السامي ونفوذه الكبير في دوائر المال والعمل حلاني على
الاقتران به حيث صادقا دوى في نفسي التواني الى الترف والبذخ وغير خاف اني
كنت امرأة خيالية جدا . ولا سيما اني كنت مفتونة بحياة الصالونات الفرنسية ومتأثرة
بها بفضل اكثاري من مطالعة وقراءة الروايات الفرنسية بشغف كبير فلم يكن في
امكان أحد سواء أن يهي لي أسباب الترف والبذخ وأن يمد لي السيل الى تلك
الحياة الراقية الفاخرة الباذخة .

وقد مضت السنون الأولى من حياتنا الزوجية بكل هناء وسرور . فكان زوجي

يجبى لدرجة العبادة والجنون ولم يكن يدخر وسعا في سيل ارضاني مهما كلفه ذلك من التضحيات وكنت أنا بدورى أحبه . ورزقت منه ثلاثة أولاد . زادنا كل واحد منهم بدوره سرورا على سرور وسعادة على سعادة .

ولكن المرأة مهما كانت جميلة فاته فانها لا يمكن أن ترضى أبدا رجلا غنادا دائما . فلما رأيت أن زوجى يتوسل شيئا فشيئا ببعض الاسباب التى تديم وتسهل له السهر والسر طوال الليالى . تقابلته أنا - مثل سائر النساء - بتبثيل أدوار الغيرة النسائية الجبيلة بكل اتقان ومهارة وذدت عن سعادتي وهنائى بكل ما أوتيت من جمال نسائي فتان بل بكل ما عندى من قوة ذكاء وشخصية مستقلة ولكن كل ذلك وبالأسف لم يجد فيلا لأنى علمت علم اليقين أنه يخائن خليلته له بحبا ويعشقها لدرجة الجنون ويتفق عليها بسراف وتبذير .

وهل تدريين : ماذا تفعل المرأة في مثل هذه المواقف ؟ فاما أن تطلق . أو تقابل المثل بالمثل وأما أن تلتزم السكوت ولما انى كنت أحب زوجى فلم يكن الطلاق منه بغيرى ولا الفراق عنه أمنيتي فضلا عن أن لى أولادنا منه . وأما السكوت . . . فهذا عمل فيه شئ كثير من المذلة والهران والجنون والخوف فلم يبق الا المقابلة بالمثل نعم ! لأجل هذا حاربت نفسى وقاومتها بكل قوة وشدة مدة سنة كاملة . وكان زوجى ينكر كل ما يرتكبه من الأعمال المنكرة الجارحة لاحتاسى وعواطفى والمضادة لشعورى وعقليتى . غير انى كنت أملك كثيرا من المستندات التى تثبت معاشرته لهذه المرأة وصلته المتينة بها .

وقد حصلت على هذه المستندات بمعرفة شاب يجبى لدرجة الجنون بل وكان على أهبة الاستعداد لتقديم حياته الغالية لأجلى وفى سيل ارضانى .

ولما تعرفت بهذا الشاب فى بيتى شعرت فى نفسى - وأنا امرأة ذات ثلاثة أولاد - لأول مرة بعاطفة غريبة حادة ملكت على مشاعرى ومداركى الحب !

كنت لا أزال فى العشرين من عمري . وكنت شابة جميلة لم تنق بعد مرارة العشق أو حلاوته ان كانت له حلاوة

وقد أصبحت لا أشعر بأي نقصان فى حياتى الخاصة بعد تعرفى بهذا الشاب .

وتبين لي بعد أن فتحت قلبي للحب والهيام أن هناك أشياء كثيرة في نواحي الحياة ولذا نذهب للخلافة لم أتلقها بعد ولم أعالجها قط .

وكان في أمكنة بما عني من المستندات أن القى القبض على زوجي وهو متلبس بالجريمة . ونسكن ماذا كان يحدث بعد ذلك ؟ لا شك في أننا كنا نفترق مرغمين كان شقيقى شابا معذرا . . . وكان لحبه تأثير كبير على أشد من الذى تحذره الروايات الخيالية البليغة . ولكن لم يكن في مكنته أن يأتي لي بالحياة الفاخرة . حياة الترف والبذخ التى أحباها جميعا .

فكانت لي عربة غفمة وبلسيارة فاخرة . وكنت أقابل بضروب الخفاوة وأنواع التجلة والسكريم في جميع المجالس والصالونات التى أغشاه . وقد كنت أنظر دائما إلى الحياة من قتها لا من أسفلها . وادناها . حيث لم يكن في مقدورى أن أنزل إلي مصاف الناس وواطى مستواهم وفي الوقت عينه كان من المحال أسلوب الحب والهيام . وهكذا كنت في حيرة بين عاملين متضادين . فكنت محبة ومحبوبة . وكان الحب وحياة الترف والبذخ يتجادبانى بينهما فكنت خادعة ومخدوعة . ولكن تشجعت فعولت على أن أجمع بين هذه المتضادات والمتناقضات كلها من غير أن أضحي بواحدة منها . زوجي يخدعنى . فمن حقى اذن أن أخدعه . وكان يخفى خداعه هذامنى . فمن حقى أيضا أن أخفى خداعى له خليفة يطارحها الغرام والحب والهيام . ولى كذلك عشيق أهم بحبه . وهكذا العين بالعين . والسن بالسن

نعم لم ترنا حرا أنتم لمنطقى وتفكيرى هذين ولم تقبلوهما
ولكن لا أدرى كيف رأت عيونكم المتشعبة الفياضة بالانتقادات الدقيقة التى تكاد تشق الشعرة الواحدة الى أربعين شقة طولا لا عرضا . شخص عشتى الذى نجحت كل النجاح في اخفائه عن عيني زوجي ؟

نعم ! نعم ! انكم أنزتم سراجكم في مجالسكم طوال الليالي بالطعن على انا وأطفائموه خاتمين مجالسكم بالنقد المر لعشيقى وقد أشفقتم كلكم على زوجي وتأثرتم لاجله . لماذا ؟ هل لكونه رجلا ؟ ألم تكوني أنت في تلك المجالس : وأنت أنت

تلك المرأة التي عاشت معي من نعومة أظفاري وعلت بسرائر قلبي وصفاء طويتي ؟
 لماذا لم تعترفوا لي بالحق الذي اعترفتم به لزوجي حينذاك
 إن أفكاركم البالية وتفكيراتكم السقيمة — التي دأبت من القديم على أن ترى
 الأسرة قائمة على أساس واه ينهار في أول صدمة حيث لا تشترطون فيها الحب المتبادل
 والعفة المتعاقبة : لم تر من العدل قط الاعتراف للمرأة بحق من الحقوق بل انكرتها
 واعتبرتها كية مهمل لا وجود لها ولا كيان .

ولكن الانسان جبل على أن يبحث عن حقه ويعثر عليه بعد جهد جهيد متى
 وجد أمام الظلم والاستبداد وجها لوجه . انكم لم تمنحوني الحق الذي حصلت عليه .
 وقد كنت أشم رائحة التذمر والاستياء مني مرسومة على وجوهكم . ولكن لم يكن أحد
 منكم ليجراً بمجاهتي بالحقيقة والواقع لم تكن قد بقيت أية قيمة لزوجي بعد في
 حياتي الخصوصية . فكنا نحن الاثنان مرتبطين بعلاقات مادية بحتة : كنت في حاجة
 الى ثروته الضخمة واسمه الكبير . فكنت اغرر به وأخدعه وأخدعه وها هي
 أقبح صورة من حياتي وقد يكون هو يحنى : ومع هذا يعاشر امرأة أخرى . غير
 أنه خوفاً من أن يخيم البؤس والشقاء على مستقبل أولاده وأن يتسبب في خراب بيته
 وانهدام كيانه كان يوافق لي ويداهن فيخادعني . وهل توجد مأساة يقوم بمثل
 أدوارهما أبرع الممثلين والممثلات أقبح وأشنع من هذا
 وكلما مرت الايام وكرت السنين كانت العلاقات التي تربطني بزوجي تنفكك
 وتزول الواحدة تلو الأخرى حتي لم يبق شيء منها . . .

فكان قد فارق خليته : حيث كان يفضيده شيئاً فشيئاً عن لذائذ الحياة ومقتضياتها
 وكان يعود الى ويزيد حبه لي كثيراً حتي أنه أخذ يظهر ذلك أكثر من أيام
 العشق والهيام في أوائل اقتراني به . وقد حملت هذا التطور في اخلاق زوجي على
 اكتشافه سر علاقتي بعشيقتي ؛ لأنني ما كنت حينئذ أعياً باخنا . تلك العلاقة : علاقتي
 بشفيق ، عن العيون مطلقاً . فكما كان زوجي يقترب مني منته فابتعد عنه حساً ومادة :
 وهكذا اجلي الفرق العظيم البارز بيني وبينه في السن والحياة لأنه كان قد شبع
 من لذائذ الحياة ومتاعها للدرجة انه قد شاخ وشاب قبل أوانه فلم يكن يغادر

المزول ليلة من الليالي ولا يرضى بمفارقتي قط لحظة سا . ولا ريب في أن هذا كان من شأنه أن يعرقل علاقتي بشفيق ، ويجعل تكتم ذلك العشق السري والحب الخفي عنه ضرباً من المحال .

فلو عاد زوجي الى كالسابق متمتعاً بقواه وعواطفه البشرية فربما كنا ننسى الماضي بكل ما فيه من البشاعة والقذارة واستعدنا شيئاً غير قليل من السعادة الضائعة ؛ ولكنه عاد الى - وبالإلأسف - وهو لا يحمل في نفسه شيئاً من الحب البشري إلا شيئاً أشبه منه بالشغفة الانسانية الطبيعية كحب الآباء لأولادهم والاشقاء لشقيقاتهم ، مع اني كنت لا أزال في غفوان شبابي وفي مقتبل عمري حيث كانت حرارة الحب النسائي الطبيعي عندي في أقصى دورها ، لانها كانت قد هاجت وفارت بعد أن كانت مكبوتة (ومكبوتة) حيناً من الزمن ..

نعم ! ان زوجي ، بعد أن عاد إلي من هولاء القوي ، ذابل الجفون منظمي الفؤاد كبير النفس والقلب أخذ شيئاً كثيراً من العناية بيوالاته والتجيب الى لكن من الوجهة الوجدية ، لا من الوجهة الجسمية ، من الوجهة المعنوية والخلقية لا من الوجهة المادية والحسية ؛ ولكن هذه الحالة الجديدة ضايقني أشد المضايق للدرجة اني قررت مراراً الهروب الى حيث أعيش حرة في جو حر طلق صاف وحقا لا شيء أثر على تأثيراً كبيراً وأقلق بالي وأطاربي مثلاً أثر على هذا الحب السري لشفيق والعشق الخفي وما الفارق بين هذا وبين ما يسمونه الدعارة ؟ . . . أوليس العشقان الخفيان اللذان تعيشهما أنا وزوجي حقاً دعارة متمثلة في قلب اسرتنا المنكودة الحظ ؟ .

على انكم بينما تسمون حبي السري هذا دعارة ؛ ونخشاً ، تجدون بل وتخلقون اسماً آخر لحب زوجي السري الآخر وتصفونه وصفاً آخر .

كنت أشعر وأعتقد بأن لي حقاً طبعياً في أن أحب وأعشق وأتمتع مثل سائر الناس وفي الوقت نفسه كنت مستاءة جداً من تجارتي على التمتع بما لم يباح لي المجتمع الذي أتمنى اليه

وقد اعترفت ذات يوم لزوجي بكل هذه الحقائق والخواطر التي كانت تقلقني أياما

إفلاق مصرحة له بخداعي آياه وحبي لغيره وإن محبته لى التى أصحبت بمثابة الحب الأبوى ، لم تعد تكفى لأرضاء حاجتى النسوية الغريزية

وقد كنت أنتظر من هذا الرجل الذى أطرق رأسه أمامى ؛ أن يغضب غضبا شديداً فيهم بطردى من منزله إلى الأبد . ولكنه أخنى رأسه وقال بهدوء :

— « كزبد ! انى أحبك جاً لدرجة العبادة ؛ فلا يمكن اذن أن أفارقك .

وحيث انك شابة وجيلة ؛ فلا يسوغ لى أن أطلب منك أن تنازلى عن حقك فى الحياة ومتاعها المتنوع وأن تعيشى معى محرومة من لذائذ هذه الحياة . . . وهل أنا أملك من الحق ما أملك به من التمتع بنصيبك فى الحياة . . . وحيث انى لم أعد قادراً على ارضاء حاجتك النسوية الغريزية ، فالواجب بقضى على اذن اما أن أطلقك ، واما أن أغمض العين عن حبك للغير متغاضياً عن فعالك التى تحسنينها . »

فكنت أنا فى هذه اللحظة أحدى النظر فى عينيه لأعرف منهما أى الشقين يختار ، فإذا بى أراه وقد اغرورقت عيناه ولمعت دمعتان ظهرتا عليهما وقال :

— ها — وانى أختار الشق الثانى . .

فالآن تعالوا واحكموا من هو الأثم الكبير والمجرم الحقيق . . وانى واثقة الآن انكم ستستبزون غيظاً وتستبیطون غضباً فتزولون اللعنات والطوفان على الانس والجان . .

كما انى واثقة بانكم الآن تلقون كل الذنوب والآثام على عاتق زوجى فقط . . وها انى اصار حكم القول — ولا أكذب — بأنى ذعرت واندعشت من جبن ونذالة زوجى حينما رأيت يفوه بهذا الكلام الذى تقشعر منه الأبدان وتمجه الآذان ولكن مع كل ذلك ما أقدمت على ترك هذه الحياة القذرة التى كنت أعيشها : ولا على مفارقة هذا الرجل الذى اختار لنفسه هذه الدناءة والنذالة المتناهية .

فضيت فى معايشة زوجى وعشيقى مع أولادى فى هذا المنزل المربوب : مترددة على بحالكم ومحافلهم وزوجى وعشيقى سوايا قوبلت حينئذ من جميعكم مع هذا بانواع الترحاب وضروب الحفاوة ، فلماذا رضىتم بمعايشة مثل هذا الرجل الحقيق حتى فى نظرى

أنا وهو الذى كنت أعشره لغناه وجاهه فقط لتأمين الحياة الفخمة الباذخة التى أنا مولعة بها دائما أبدا ؟ .

انكم جميعا كنتم فى حاجة وافتقار الى جباهه العريض وغناه الطائل ... ثم لماذا لم تحاولوا طرد هذه المرأة التى غشيت بجالكم متأبطة ذراع عشيقها ... فى حين انى كنت من الاستياء بحيث يعتربنى الألم الشديد من قبولكم واهتمامكم وقع هذه المأساة العائلية والفاجرة الاجتماعية مما أدى بي إلى شعورى باحتقار عميق لنفسى ولكم ولكل شئ فى هذه الحياة .

كانت أولادي قد أخذت تترعرع وتتقدم فى العمر وتحاول فهم سر وجود عشيقى ، شقيق ، معنا فى المنزل ... ولا شك فى أننا نحن الثلاثة . كل على حدة ، كنا عرضة لاحتقار وكرهية أولادى ... وما كنت أريد فقط : هؤلاء الاطهار أن يعرفونى لأنا ولا أباهم لأن هذه لم تكن أسرة بمعنى الكلمة بل كانت أفج مثال وأشنع صورة لاشبه الأسر الفاسدة المملوءة بأنواع الرذائل ومختلف الموبقات التى تكثر فى الطبقات العالية من الناس ...

ولماذا أَرْضَى بقاء مثل هذه البؤرة فى قلب الأسرة وأنا عالمة بهولها ولوثها ... وقد كنت بشرا ولا شك ... فما كنت أستطيع التخلص من مقتضيات البشرية ونوافعها القهرية التى لا تطاق ... وكأئن قلبي وأنوثتى قد استحالوا إلى جنوة نار محرقة قضت على آخر قسط من سجاياى ونضائى الحيدة . فما أمكنتى بعد ذلك أن أحمل هول هذه المأساة التى اهتضتموها أنتم متعامين عن رؤيتها فى سبيل المحافظة على مصالحكم الذاتية .

نعم ! هربت مع عشيقى ... لتلا أعكر صفاء أولادى المعصمين الاطهار بقذارة هذا الجو الموبوء وكدورته ... والآن تلومون على هذا العمل وتنقدونه ... مع انى أرى أن هذا أشرف عمل يصدر عن امرأة مثلى ؛ قضت أيامها فى ارتكاب الذنوب والآثام ؛ وأصبحت بطلة رواية سافلة بمقوثة .

حينما كنت أعيش تحت اسم زوجى وستاره ؛ فلا أدري كيف أغضتم عيونكم وتعاميتم عن رؤية أشنع الفواجع وأفج المآسى ؟

أذبحوا عن وجوهكم ستار الصلح والاخلاص الذى اصطنتموه لانفسكم كذبا
وخداعا لأنه لا يحجب ما وراءه من الكذب والنفاق . واعلموا أن زوجى كان من
أخس الرجال وأكثرهم نذالة وجبانة أيام كنتم تقبلونه فى مجالسكم وترحبون به ؛
كما وانى كنت من أكثر النساء وقاحة وأشدهن طغيانا وانما . . ولكنى اليوم امرأة
تقضى أيامها مع عشيقها فقط لا أكثر ولا أقل . . ألم يكن السبب الباعث لكم على
النظر إلى غشيانى بمجالسكم بعين الرضا . هو اسم زوجى الشريف ومكانته الرفيعة
وكون اسمى مقيدا فى سجلات الحكومة من جرا فلك انتزعوا من رؤسكم الافكار
البالية ، فيظهر لكم أثناء ما تخوضون فى عباب الطعن الجارح والنقد المر ، أن زوجى
هو بطل الرواية الأكبر ، وان جاهه الرفيع هو الذى سهل لكم هضم هذه الفاجعة
التي تمثل ادوارها الشائنة فى قلب أسرة هادئة سعيدة

وثقى بأنى لا أكتب لك هذه الافكار والخواطر للدفاع عن نفسى ؛ بل لادلكم
على خطئكم الفاضح فى تفكيراتكم التي ما هى فى الحقيقة الا مجموعة آراء متناقضة
وافكار متضاربة ؛ ولا برهن لكم بأدلة محسوسة كيف انكم تجذبون فى سبيل المحافظة
على مصالحكم الشخصية ما لا يقبله وسط من الأوساط الاجتماعية ولا ترتضيه
أدنى العقليات .

وأكون قد اعترفت لك بهذه الوسيلة بديون أن يشعر أحد — والسر محفوظ
بيننا طبعاً — بمباهمة وكنه الحياة التي نعيشها نحن وإياكم مع كبار المتطفلين والمتطفلات



الغيرية

أتظن قارئ أن الغيرية هي إحدى الصفات الحميدة؟ أليست هي نوع من الفضول إذا عم الافراد غفت الآثار الباقية من الحرية الشخصية؟
أنتك إذا وجهت همك الى راحة الغير وسعادته وصحته لا بد وان تقف له بالمصاد طيلة الوقت فتداخل في شئونه الخاصة والعامة . اذا شاء الزواج منعه بحجة أن دخله لا يكفيه . واذا أراد أن يشرب كأساً من الخمر أخفته بنيران الجحيم . واذا سهر الليل عاتبته لان السهر مضر بصحته

وقد تكون قارئ بعكس ماسبق وصفه تماماً لانك من (أصحاب الكيف) فتعرض الذي يمتنع عن الشراب على وجوب (الدردحة) وتقول للذي لا يشرب (خليك ابن اليوم) والذي يخشى الزواج لقله ماله تخرضه كي (يرى الدنيا)
وما ادراك بحقيقة حالتي وبظروفي حتى تنصح لي بعمل كذ وكذا اذ من الجائز ان مالي لا يسمح أو أن راحتي تستلزم اتباع الطريقة التي اختطتها لنفسي .
أتريدني أن أبسط لكل من حضرات الغيريين حالتي المالية بأسباب وان أشق لهم بطنى ليروا كيف تملك غرام « بثينة ، قلبى ، الامر الذى لا يقدره حضرات الغيريين أى تقدير اعتقاداً منهم بان الست « بثينة » ليست كما أظن مثالا للجهال

ما أبشع تلك الدنيا التي يعيش فيها الانسان دون مزاج ودون ارادة يتبع نصائحاً متعارضة متناقضة مع بعضها في الجوهر وفي العرض . كيف تكون هذه الدنيا اذا جعل كل هم تدبير شئون الغير ، وأما شئونه الخاصة فيترك تدبيرها لحضرات المدراء من الغيريين الآخر

وما قول الغيريين الافاضل اذا فرض وحاول ان يؤثر على أحدهم فريقان فريق يحرضه على اتباع طريق معين في حين يحرضه الفريق الآخر على اتباع طريق معارض للطريق الاول

وقد يتفكر البعض الى الحائط وهم يقولون ولكن ليس لكل الناس أمزجة سليمة

ولا ارادات قوية وهؤلاء هم الواجب أعطاءهم قسطا من الارشاد والنصح ولكن رأى هؤلاء المنهزمين ليس له وزن أيضا لانه لا يوجد انسان واحد يعترف بان ليس له ذوق ولا ارادة قابلان للاحترام . بل هؤلاء السخفاء الضعيفى العزائم هم بالعكس أكثر الناس (هلزمة) اذ تجد الواحد منهم يعيش عيشة الكلاب فاذا ما تكلم ردد عبارات نخمة مثل (سمك بالميونيز ؛ وصالون لويس الرابع عشر ، وهارموني الاوبرا) وهى أمور يسمع عنها دون أن تقدر طبيعته على هضم معانيها بالاقل

كلا أيها السادة - أن الغيرية لمن أسفل الصفات لانها دليل على الجعجة والصفاقة . فاذا أفهمنا الناس وجوب اهتمام كل منهم بنفسه لبذل كل جهده لاجل الوقوف على قدميه . لتجيا الانانية فهى أقوى سلاح يمكن للانسان أن يكافح به الحياة وإن يدرك به مصائبها عن نفسه ولتسقط الغيرية فانها دعوة الى نقض روح الاستقلال والحض على الاعتماد على الغير . هي المسية لوأد عزه النفس والمحرضة على القاء السلاح أملا فى جمع قنات موائد الغير . تجلى الغيرية باجلى مظاهرها فى بلادنا نحن الشرقيين . وهى المسية لفقرنا الناشئ من عدم اهتمامنا بالغد . انظروا الى من يتغرب عن وطنه منا تجذونه بصارع الحياة مصارعة البطل المستميت فينال مالا وجلاها والا فانه يسقط مدرجا فى اكفان من عزه النفس أما فى بلادنا فتجدون الواحد منا غير عانى بما هو فيه من بؤس فيتكالب هو وأمثاله من الحشرات على من ابتسم له الحظ من أقاربه أو أصحابه الى أن يهبط حضيضهم بعد عزه وكل ذلك يقع باسم الغيرية

اعمل بنفسك لاجل نفسك يا صديقي - فاذا ما ابتسم لك الزمن ووجدت فضلة من طعامك اتقها لمن هم دونك لتشبع انانية متجسمة فى شعورك بالتفوق على من هم دونك هذا ما قاله زرادشت الصادق عن لسان فيلسوفى المجنون نيتزش ؛ ذلك الذى قال : ان الشجرة تمد أفرعها للاستفادة بأكثر ما يمكنها من النور والهواء دون أن تهتم اذا عد الرعاة فيها ملجأ صالحا أو اذا عدته الحشائش ضربة قاضية على حياتها ذلك لانها تمنع عنها نور الشمس وتكتم عليها مجارى الهواء ،

ابو العينين

فساد النظمات الاجتماعية

تختلف الشعوب بنظماتها وقوانينها وعاداتها وتقاليدها دائماً كما تتفق بالأسس التي عليها بنت هذه النظمات والقوانين والعادات والتقاليد . وقد يستغرب المرء اذا ما سمع لأول مرة أن عظمة انكلترا وحقارة الهند مثلاً مرتكزتان على أساس واحد مودوث عن النظمات الطبيعية الحيوانية . ولكن استغرابه هذا يزول عندما يعرف وضعية روح الاجتماع الحاضر وما يولد من الشرور تحت ستار زخارف المدنية الحديثة المبينة على الرمم والعظام . ولما كان لا بد من التطور فان التاريخ سيمثل نفس الدور الذي مثله الانكلترا بالهند وستنتقل حضارات الشعوب الحاضرة إلى غيرها عن نهرأ منهم اليوم لحقارتها وممجيبتها لأن حب الحرية المطبوع بظواهر الحضارات سيكبر في نفوس الشعوب الضعيفة حتى يصير ضرورة طبيعية تدفعها الى حيث تصبو الى الحرية والمجد . انما هذه الحرية وهذا المجد لن يدوما عندها بل سيتقلان إلى غيرها وذلك لأنهما وهيمان يظهران في زخرف المدينيات وعند حوزة هذه المدينيات من أمة ما تظهر الحقيقة لها فتحل وتسترخي ويكون من جراء هذا نزع المدينيات منها ولصقها بغيرها بمن كانت أحقر وأضعف منها . فالشعوب الأوروبية كانت فيما مر من الازمان في ظلام من الجهل تامس بينما كانت حضارات الشرق تضيء بنورها الساطع هذه الربوع المظلمة اليوم فبعد أن أطلع الاوروبيون على تلك الحضارات صبت نفوسهم اليها لتومهم أنها الحرية والمجد وكان الشرقيون قد عرفوا ما في الأمر من وهم . فازدروا بما عندهم وكان من جراء ذلك التوهم وهذا الازدراء ان انتقلت الحضارات الى الغرب بعد أن نمت قليلا في خلال المنازعات عليها وهامى اليوم قد طبعت في الظواهر بالغرب مع أنها في الأصل لم تزل غريبة عنه كما كانت غريبة عن الشرق لأنها ظاهرة حيوانية طبيعية تنمو خلال الحروب وتنتقل من أمة إلى أخرى حسب وضعية الشعوب في الرقي والتدن .

فاذا قلت إن المدينيات ضرورة وان النظمات الاجتماعية ضرب من مظاهر القوة

التي لا تعرف الحق هذا اذا كان من معنى لكلمة الحق - فاني أقول الصحيح وسأبين في بحثي هذا المظالم التي تسود العالم من جراء هذه المدينيات وهذه النظم التي يقدها أكثر الناس اليوم .

أظهر مظاهر الاحياء - جماعاتها - وأظهر مظاهر هذه الجماعات قوانينها وتقاليدها ولكن مع أن الاجتماع ظاهرة ضرورية للاحياء اليوم لأن يفوز بها النوع على غيره والشعوب على بعضها - فانها نظام حيواني مبدؤه اضمحلال الفرد بروح الجماعة وتضحية الفرد لصالح الجماعة . وهذا من أشد المظالم أثراً ولكنه مقدس اذا بقينا كما نحن نسير على نظام حيواني ورثناه عن سلفنا وسنورثه لمن خلفنا .

يقول البعض من علماء الاجتماع إن الجماعات تتخذ شكل الفرد . والفرد مظهر من مظاهر الطبيعة ولهذا فان الجماعات ظاهرة طبيعية لا يمكن تحويرها ؟؟ . ولكن قولهم هذا يشبه قول علماء الطبيعة بعد نيوتن الذين كانوا ينظرون إلى ناموس الجاذبية كحقيقة طبيعية راهنة مع أن إثنين قد صور ذلك الناموس الوهمي وبين العالم حقيقة طبيعية ثابتة كانت بمغزل عن آراء العلماء - فالطبيعة التي يستشهدون بها لا توجد وجوداً ذاتياً أعني أنها لا تأمر بعمل هذا ولو كان مضراً ، وترك ذاك ولو كان نافعاً لأن الانسان هو طبيعة ذاته يحورها كما يريد ويبدلها كما يشاء بنسبة قدرته البدنية وقوته العقلية ورغبته في عمل هذا أو ذاك ! مثلاً الاديان لاحتية لها والآلهة التي يعبدونها الناس لا توجد أبداً ولكن لو قلنا ان هذا المظهر طبيعي فلا نعني أن الطبيعة هي التي تأمر الناس بالعبادة لانهم هم الطبيعة وهم الذين يفعلون هذا أو ذاك وبحسب ما يفعلونه طبيعة . فاذا قلت ان الجماعات مظهر طبيعي وان الناس هم طبيعة الجماعات فاعني اننا نقدر أن نحور هذه الجماعات حسب ارادتنا ورغبتنا المؤسستين على المنفعة الفردية المحسوسة القريبة ، التي منها تحور الجماعات وتبدل هذه المدينيات المبنية على جثث الناس والضحايا البريئة .

وقد تشبه هذه المدينيات جماعات من الناس تتنازع على حوض ماء لانباع له . فهذا النزاع قد لا ينتهي وانما هذا الحوض قد يجف من تبخر مائه بحرارة الشمس القوية . فهل يجب أن يدوم النزاع بعد أن يجف ماء الحوض أم ان ينهب كل فريق

في سبيله بعدان ينتفى السبب الذي من أجله يتنازعان؟؟ . وهذا المثل يفسر بقولنا .
ظن الناس قديما ان الفرد عدو الفرد وإن الجهاد في سبيل تأييد مبدأ أورأى موحى
به من الله يكسب الانسان أجرا يناله في السماء بعد موته . وهذا الظن قد انتقل الى
الجماعات وما هو اليوم يظهر في الشعوب الشرقية والغربية على السواء فهل يجب أن
ندوم السير بحسب موحيات هذا الظن بعد ان عرفنا فسادة وإن الانسان ليس عدوا
للانسان وإن آراء الآلئية ليست سوى خرافات وأوهام أم تبدل وجهة سيرنا وتتخذ
قاعدة أخرى تتفق ومقدرتنا العقلية ورغبتنا الصادقة المؤسدة على منفعة الفرد المحموسة
وزيادة الراحة والسلام والطمأنينة .

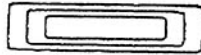
إن المدينيات التي تستغويننا ونرى فيها كل الحرية والمجد ليست سوى سرايا لا
يتحققه الا الذي يصل اليه . فالحضارات التي نمجدها تلية صبة للعالم يذل في سبيلها
ملايين النفوس البريئة فاذا ما بقينا ننظر اليها كهدف أسما في الحياة نبقى حيث نحن
تناوى بالسلام العالمي ولا نفقه له معنى فيجب أن نطرح حب زخارف هذه المدينيات
جانبا ونطبع ذراتنا على حب الآخرة الخالصة بعد الثمور بوجودنا الشخصي لان في
هذا وحده تؤثر في هذه العاصفة الهوجاء التي تقضم البشرية وتفتك بها فتكا ذريعا
تتشعر من حوله الابدان .

ربما يعترض البعض من أن صيرورتنا غنا في وسط ذئاب العالم لا يفيدنا ولا
يفيد العالم فبدلا من أن نحمل العذاب ونموت ضحية التواميس الطبيعية يجب أن نكون
الاقوياء ويكون غيرنا تلك الضحية . . أن هنا الاعتراض له مقامه في نفوس المفكرين
بعد ان أظهر العلامة داروين حقيقة النشوء والارتقاء ويمكنني أن أقول إن ضرره
أكثر من نفعه لان يقظة الجماعات للحروب بعد معرفتها هذه الحقيقة قد زادت ومن
جرا . ذلك الازدياد قويت هذه المدينيات وصار تحويرها صعبا .

اتنا مع استعدادنا لرد غارة الفاتزين وتضحية النفس في سبيل الحياة يجب أن نبشر
بهذه الحقيقة لان انحاء الارض تكفي خمسة أضعاف العالم والسعادة الموهومة
بعد الموت لاحقيقة لها والفرد حر في ذاته . هذا بعد أن يتحرر من نير النواية والجهل
وسلطة الآراء الاجتماعية بواسطة تعليمه ليشعر بوجود ذاته لا ان يخرج من نير

عبودية النظام الرأسمالى يصع عنه نير عبودية النظام الشيوعى أو ان يترك التسك
 الاعمى بوجود الآلهة ويتسك تمسكا أعمى بعدم وجودها . انما لا يجب التسو عن ان
 هذه المدينيات تعوق الرقى الفردى الذى ينشره تسلطها على الافراد من ناحية الاقتصاديات
 أولا وروح الجماعات ثانيا واذا قلت الاقتصاديات وروح الجماعات فاني أعنى أهم شئ
 ترتكز عنه هذه المدينيات فالانسان الذى يتمسك على المنابر بالحرية والمجد من
 وراء الحرب انما هو أجهل من أى جهم . والناس الذين يسرون وراءه طوع اشارته
 انما هم حيوانات عجم لا تفكر ولا تعقل وقد يكون من وراء هذا الانسان النفع الموضعى
 لهؤلاء الناس وانما هذا النفع لا يفيد شيئا لان التاريخ سيمثل نفس الدور الذى مثله
 هؤلاء الناس فى غيرهم وسيزع منهم هذا النفع الذى حازوه وسيرجعون الى ذات الطريقة
 التى بها كانوا قد اتفعلوا وسيدفعون فى المرات الثلاث مرة النفع ومرة نزع النفع منهم
 ومرة اعادة النفع الوفا لابل ملايين من النفوس البريئة ثمنا لومهم وعبادتهم .
 ان قلبي يكاد ينفطر حزنا وغما على مصيرنا ونهايتنا فى هذه المدينيات الظالمة الغاشمة
 لاننا سنضطر الى عمل ما يذهب برؤسنا وجودنا السامى وسنجازي طغيان هذه العاطفة
 التى قد لانتهى اذا بقيت على حالها أبد الدهر .

١. ح



إدمون رويستان

Edmond Rostand

(محاضرة الأستاذ حسن صالح الجداوى المحامى)

(في دار نقابة موظفي الحكومة بالاسكندرية مساء الاربعاء ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٨)

سأدق !

لم أتخير عبثاً أن يكون أول حديث لي بالاسكندرية - مدينة العلم القديم والحديث -
عن إدمون رويستان . وإنما دعاني إلى هذا لاختيار شئتان :

الشيء الأول أنه في مثل هذا الشهر لعشر سنين خلت مات إدمون رويستان أكبر
شعراء فرنسا بعد فكتور هيجو : مات بعد أن تخطت شهرته القارات الخمس ، وبعد
أن نال صيتاً عالمياً لم يحظ بمثله حديثاً شاعر ومؤلف درامى غيره .

والشيء الثاني أن إدمون رويستان من أبناء نهر مارسييا أكبر موانئ البحر
الايض المتوسط ، فمن حقنا علينا أن نذكر اسمه في الاسكندرية عروس هذا البحر

* *

حالة الرجل : ولد إدمون رويستان في أول ابريل سنة ١٨٦٨ بمدينة مارسييا
شارع موترو ، في صبيحة يوم من أيام الصيف اللذيذة بجنوب فرنسا التي هي أشبه بأيام
الربيع عندنا : وبدأ دراسته بها وأتمها بباريس حيث التحق بكلية الحقوق ونال إجازتها
نشأ إدمون من عائلة متوسطة من عائلات فرنسا ، ليست بالارستوقراطية ولا هي
بالعاملة . ولكنها من العائلات التي تسهر على أبنائها . تحوطين برائعاتها . وتسلمهم
يقظتها . ولعل أصدق وصف لطفولة هي تلك الادبيات التي قالها هو نفسه عن هيجو :
« أيتها الودعات .

ليكن عطفكم مزوجاً بالاحترام

ولتكن القبلات التي تضعها شفاهاً على جبين الطفل باحتراس وحذر

« ونملاً الخشية صمكتن

« ولترهبن من حنكن المستقبل هكذا فوق حجوركن

« ولتذكرن كلما أخذتن تلك الرموس الصغيرة بين أيديكن

« تحاولن أن تقرأن ما في العيون البريئة من أسرار:

« انكن قد تكن ممسكات عالماً بين أيديكن ،

ويقابلها نظماً :

أيها الوالدات بالروع مازج ن حناناً لكن نحو البنين

ولتحاذرن عند تقيل طفل باحتراس على الوسيم الجبين

ولتحاذرن عند لهو وفي ح لجلال (الآتي) لكم في الحجور

وتذكرن كلما شاق أيدي كن عطف بضم رأس الصغير

في احتيال لفهم ما حجته طاهرات العيون من أسرار

إنما تحتفظن ما بين أيدي كن بسر لعالم جبار

ترعرع الطفل ونما . وماكاد يلج المدرسة الثانوية يبارس حتي أخذت الفكرة
الشاعرية عليه حواسه ونفسه . بدأ خيانه يسمو ويسبح . فكان في نهاره كعامة
الطلاب وكان في مسائه يقبل على قراءة الشعراء إقبال النهم الذي لا يشبع وبدأ
يقرض الشعر في السر ، ولم تخل مواضيعه الانشائية من جرأة أفلقت بال مدرسيه .
ولكن واحدا منهم شجعه وقواه . فقد كان هو أيضا ينظم الشعر ويفتن به وقد
ذكره روستان في شعره :

C' est toi qui m'as prèdit que pi serais artiste

Et c'est toi le premier rimeur que j'ai connu.

« أنت الذي توقعت لي أنني سأصير فناناً

« وأنت أول ناظم عرفت .

ويقابل ذلك نظماً :

أنت الذي قد شئت لي مستقبل الفنان

وكذلك أول ناظم كرمت في عرفاني

ثم في كلية الحقوق بعد آثر روستان الوحده معبر لا في سفرته ، احد مدرّس باريس
المرفعة ، يكتب من حين لآخر ويفكر ويحلم في أغلب الاحيان ، ويعتقد في سنة
١٨٨٠ : في ذلك العهد الذي مليء تكلفاً وجحوداً وكفراً — في حقيقة الجمال ، وفي المثل
الأعلى . وفي الخيال . ويأسف وسط ضباب باريس وبرودة هوائها وجوها القاتم على
جمال مارسييا وسهائبا الصحو وسيبها المعتدل حيث يكون كما قال :

• لولا أنه أمل لكثيرين غيره
• أن يكون له مكانا تحت شمس بلد
• لا شمس لها ،

“Si je n'avais rêvé. le vieux rêve inutile

Atant d' autres pareil

De me faire une place au soleil d'une ville
qui n'a pas de soleil”

ما يقابله نظماً .

لولا رجائي كغيري أن أهني . لي • مكان شمس بأرض لا تضيء بها
ولكنه ؛ رغم ذلك ، كان يعرف كيف يلتمس في باريس هذا الجمال الذي ينشده
فكان ينتحي من غرفته مكاناً بأرضها بحيث يخفى عن عينه باريس العاملة بضبابها
ودخانها ، ومصانعها ومدانها ؛ ولا يقع نظره إلا على جزء صاف من السماء ونجومها
فكان تلك الوسيلة يرى الجمال رغم اعتياده رؤية الدميم ويبقى - مع ما يجب -
وسط ما يكره !!

أتم روستان دراسته الحقوق ولكن اتى لهذا الشاعر أن ينزل من سماء شعره
الى أرضنا ليطالب بحق مقفود أو متازع فيه أو يستمع الى حديث قاتل شرير
أو فاسق مكروه ؟ لا ! إن المهنة التي أتشرف بالانساب اليها وإب كان لها
جانبا الشريف النبل . إلا أنها على كل حال مهنة من المهر الأرضية لا تروق في أعين
الشعراء ولا ينزلون اليها ! لذلك لم يكد شاعرنا يعتنقها حتي طلقها وتفرع الشعر
والادب والتثيل فظهر ديوانه الأول (الصالونيات Les Musardises) وهو بعد
في الثانية والعشرين من عمره سنة ١٨٩٠ . وفي نفس ذلك العام . يروح من الآسنة

Rosemond Gerard (روزموند جيرارد) وهي شاعرة أدبية ازدادت باتصالها اليومي بادموند ومبادلتها إياه حبها وروحها ونفسها صقلا وتمكنا من الأدب؛ حتى أنها — حين نشرت بعد عام لزوجها ديوان شعرها — لم يدر النقاد أهذا شعر إدموند؛ ولكن أكثر رقة وجزالة من مألوفه، أم أنه شعر روزموند ولكن أكثر رجولة ومثانة من معتاد نظمها.

ولقد كان ديوان إدموند (الصالونيات Les Musardises) فتحاً جديداً في الادب الفرنسى، فعنه يقول أحد النقاد الفرنسيين أو جستان فيلون: «ليس هذا الكتاب أحد البراعم ولا زهرة، وإنما هو فاكهة ناضجة وليس هو أملاً وإنما هو نبوغ شعري محقق بلفظ جديد وجراة عجيبة. ولقد دل هنا الديوان على أن روستن يعرف كيف ينسج كما يعرف كيف يبكي وكيف يحب؟»

ولكن إدموند روستن ليس شاعراً خصب. وإنما هو مؤلف درامى عرفته الصدف بأحد ممثلى ملعب فرنسا الاكبر La Comedie Française قراً له قطعة من شعره أعجبته وهى «اللاهون Les Pierrots»، فأطلع عليها المسير جول كلاريسى مدير الكوميدي فرانيز الذى قرأ القطعة وزكاها لذي مجلس الادارة وقراها على أعضائه. ولكن فى أثناء تلاوتها أبلغ الاعضاء خبر وفاة تيودور دى يانفيل، فكان للحزن الذى شملهم أثره فى تقديرهم للقطعة فرفضوها!! فكان هذا الرفض سبباً فى أن يقدم روستن لهم روايته الخيالية Les Romanesques، التى قبلت وانتظرت دورها عامين فثلت فى ٢١ مايو سنة ١٨٩٤ وعنها يقول جول كلاريس نفسه: «لم أر دهشة عظيمة كدهشة المتفرجين دهشة مزوجة بالاعجاب والسرور. وهم يصنون الى تلك الايات الجزلة الرقيقة، أشعار الحب الصادق البرى بين خطيين فى الثامنة عشرة تحت ظلال الزيفون. منظر حنان وشباب تحت ضوء القمر الوردى. وكانت سيلفت وكان برسينيه أشبه بطلين فارين من إحدى غابات شاكسبير. ويضيف كلاريس انه وقت ذلك شعر بأن فن التمثيل كان يجرى فى عروق ذلك الشاعر الشاب فقد كان يتولى بنفسه (أعنى الشاعر) ارشاد الممثلين إلى الطريقة التى يريدون على

أن يلقوا بها أشعاره وكان يقرأ رواياته ويشخصها بنفس المهارة التي يستطيعها
مثل ماهر !

قلنا إن الرومانسك ، انتظرت دورها عامين ولكنهما لم يكونا على بظالة وكسل
لشاعرنا فقد كتب رومان في خلالها ، الأميرة النائبة La Princesse Lointaine .
وتعرف فيها بمثل فرنسا الأكبر كوكلان الاب Copuelin aîné الذي طلب إليه أن
يؤديه برواية يخرجها بنفسه فتحدث إليه الشاعر حينذاك بشخصية لازمة من وقت
تليده : سيرانو . وبينما كانت ساره برنار — ساره التي يقول عنها رومان أنها وهي
تمثل أبطال شاكسبير تكاد تشعر بشفتيه تلمسان أطراف أناملها — هوم بدور الأميرة
النائبة ، كان رومان يكتب روايته الخالدة ، سيرانو ، بدأها في الخامس من إبريل سنة
١٨٩٥ وأتمها في ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٩٧ ومثلت للمرة الأولى فلاق نجاحا لم تعهد
مثله فرنسا من أيام روايات هوجو الأولى .

وأخذ الشاعر إثر ذلك يثبت كلما سحت فرصة أنه رجل التمثيل الدرامي بحق ،
فأعقب سيرانو بالنسر الصغير سنة ١٩٠٠ وانتخب عضواً بالأكاديمية في ٣٠ مايو سنة
١٩٠١ ولكنه — لاعتلال صحته — ظل عامين يعد خطاب القبول فأتمه في يونية
سنة ١٩٠٣ وازدادت صحته اعتلالا حتى أن ، شاتكسبير ، التي أتمها تقريباً في سنة ١٩٠٤
لم تمثل الا في سنة ١٩١٠ . ومن بعدها صمت رومان مكتفياً بأيات من الشعر
يرسلها من حين لآخر ، ولكنه كان يعد عملاقاً الا أنه بعد موته لم يظهر لنا منه الا
« جولة المارسييلز الهوائية » ، « ليلة دون جوان الأخيرة » . وبذلك اختتم
رومان حياته .

هذا ملخص من حياة رومان — بل هذه حياته كلها — وهي كما ترون حياة بسيطة
هادئة — حياة رجل عشق الجمال وأحب وتخصص للشعر والتمثيل بكلياته وجزئياته . لم
تخلها حوادث خارقة . فلا أحزان هوجو ونفيه وثوارته ولا حب موسيه وغيره
وحوادثه الغرامية ولا ثراء لامرئين وفقره وسيطرته حياً وبؤسه أحياناً . لا لاشي ،

من كل هذا وانما هو رجل عاش من الشعر والشعر. ولد شاعراً ومات شاعراً وستبقى ذكره كاسلس وأرق شاعر عرفه الأدب الفرنسى .

رجل شمله القدر برعايته وكانما قد قال له : ستصير مشهوراً معروفاً فى أنحاء العالم أجمع قبل أن تبلغ الثلاثين وستخطي عتبة الاكاديمية وانت فى الخامسة والثلاثين حيناً لا يدخلها سواك الا فى الستين . وستال نصراً يتلوه نصر وحتى بعد موتك ستخلد ذكراك . ،

أجل : حتى بعد موته ! فما نحن بعد موته بعشر سنين ، ومع ذلك فروايات رومان مطمح أنظار الممثلين يتسابقون إلى إخراجها أكثر من تسابقهم إلى إخراج روايات الكتاب الأجاء . رغم ما لهم من نفوذ وسيطرة : ويحرص النقاد على إتقان تمثيل كل دور من أدوارها حرصهم على غفر قويم يأبون أن يزول أو ينقص . ولقد أذكر حديثاً وقع لى فى العام الماضى حين كان عميد الكتاب الفرنسيين المرحيين - وأعنى به بير وولف - يلقي محاضراته بفندق هليوبوليس بالاس بالقاهرة . فلقد كانت الممثلة الفرنسية النابغة جان بروفو ، فى رحلة بمصر وقامت بتمثيل « النسر الصغير » فى نفس الوقت الذى أخرجها مسرح رميس : ومثلت الدور مثلنا المصرية العاصمية فاطمة رشدى . ولا أخفى عنكم أننى - وقد شهدت التمثيلين - لم أكن لأذهب مذهب المجلات المصرية العديدة فى إثارة الممثلة المصرية . ولم أجد حرجاً فى أن أصارح برأى هذا بير وولف وأبدي له إعجابى بجان بروفو ! لأننى من الذين يرون أن الفن كالعلم لا وطن ولا جنسية له . أتدرون ماذا قال لى بير وولف وهو العليم بكل ما يتصل بالتمثيل والممثلين ؟ قال لى إن تلك التى أعجب بها لا تجرأ على القيام بدور النسر الصغير على مسرح « باريس » .

من ذلك يمكنكم أن تقدروا إلى أى حد تصل رغبة القوم فى أن يروا أدوار رومان متقنة التمثيل والاخراج

مؤلفاته—

والآن — وبعد أن تكلمنا عن حياة الرجل — أريد أن أذكر شيئاً عن مؤلفاته:
عندى أن روستان هو الشاعر كما يجب أن يكون الشاعر ليس الرجل الذي يحس
فترجم إحساسه أصدق ترجمة لاغير؛ وإنما الرجل الذي يحس ويريد غيره على
أن يحس إحساسه. الرجل المؤدب الذي يبت في قومه أصدق العواطف والعزة
والشامة. الرجل الذي يأخذ بيد أبناء وطنه فيرفعهم إلى ذروة المجد؛ ويشيد بفضل
قومه فيزيدهم إحساساً بعظمتهم وتقديراً لأنفسهم وشعوراً بشخصيتهم ويلهمهم حب
الإنسانية ومثلها الأعلى. لذلك كنت دائماً من هذه الناحية أميل إلى حافظ أكثر من
ملي إلى شوقي. وإذا قلت لكم إنني لذلك كنت أجدل لذة ونشراً في أن أنشر أشعار
صديقي زكي أبي شادي لم آت لكم بشيء جديد.

ولقد كنا في أيام التلذذ نحمل كتب روستان في جيوبنا، نتلوها في الخلوات
بصوت مرتفع، ونحفظ الكثير من أبياتها عن ظهر قلب؛ وكنا نقرأ راسين
وكورنيل ونعجب بهما إعجاباً رسمياً أو شبه رسمى - كما يقول السياسيون - ولكننا
كنا نعجب ونحب ونعشق روستان عشقاً... كنا نقرأ سيرانو، فنرى فيه المثل
الأعلى للتضحية والفخار والحب الشريف الكريم؛ والصداقة النزينة ومحاربة الرياء
والكذب. وكانت كل هذه العواطف تلهب صدورنا وتملأنا غيرة وإحساساً
فكان كل منا يشعر بأنه، سيرانو، آخر، ولا شك عندى أننا إذا كنا اليوم رغم
عالم للماديات الذي يغمرنا بحجوشه - لا نزال نشرب عواطف رقيقة وميول شريفة فأننا
مدينون بالجزء الأكبر من ذلك إلى روستان وأنداده.

وإني لأقول لكم عن نفسى إننى لم أعجب في أيام تلمذتى ولا أزال على رأي هذا حتى
اليوم بقطعة من الشعر الحامسى إعجابى بهذا الرد البديع لسيرانو يصف به وجوه من
اتهموه بالادعاء والكبرياء:

وماذا تريدوننى أن أصنع

تريدون أن أبحث عن سدقوى عن سيد يحبنى

كالطحلب الحقيق الذى يتعلق السديانة ويتخذ منها ولى

ويتعلق بالحيلة بدلاً من أن يرتفع بالقوة؟ لا: شكراً

، أم ترى يوتئى أن أهدي شعري — كما يفعل غيرى — للوسرين أم أن أصبح
نديماً — يدفعنى الأمل النقي — الى أن أسعى لأرى — على شفتى وزير — ابتسامة
ليست صفراء لا ! شكراً !

، أم أن أنغذى كل يوم بضغدة وأن يتعب السير معدنى وأن تكون لى بشرة
سرعان ما تتسخ عند موضع الركبتين من أثر السجود وأن أدرس فن الانحناء
والتعظيم لا ! شكراً !

، أم أن ألاعب الشاة يد وأروى الزرع بالأخرى وأن أوزع بخور ثنائى
كل يوم على شخص لا : شكراً

، أم أن أنشر شعري : يدفع ثمنه لا : شكراً

، أم أن أدع الغافلين يرشحونى ، بابا ، فى حاناتهم لا : شكراً

، أم أن أسعى لأبنى لنفسى مجداً حول قصيدة بدلا من أن أنظم غيرها لا : شكراً

، أم أن أخشى القناد والصحف والناس لا : شكراً

، أم أن أحتاط لخطواتى ، وأرتعب ، وأفضل الرجاء والزيارات على نظم الشعر

لا : شكراً : ثم شكراً : ثم شكراً



ولكن ... أغنى : وأتخيل : وأضحك وأسير وأكون وحدى حرا
طليقاً : وأن تكون لى العين التى تحقق ، والصوت الذى يردد : وأن أضع تبعى
وقتما أشاء كيفما أحب وأن أبارز للفظلة ، لا ، أو ، نعم ، وأن أقرض الشعر
وأعمل غير ناظر لمجد أو ثروة وأن أفكر إن شئت فى سياحة للقمر وأن لا أخطئ شيئاً الا
من نبات أفكارى وأن أقول لنفسى فى تواضع : أيتها النفس كوني راضية عن الازهار
وعن الفواكه وحتى عن الاوراق مادمت تقتطفينها من بستانك ، فإذا ما فزت يوماً
— بطريق الصدقة — لا أكون مديناً بفوزى لأحد بل أحفظ لنفسى بالفضل كله
وبالجملة لا أكون الطحلب الطفيل وإن لم أكن السديانة الباسقة فقد لا أرتفع عالياً
ولكننى أرتفع بجدى ،

وقد نقل هذه القصيدة نقلاً حرفياً إلى العربية في شعر مرسل (Blank Verse)
صديقى الدكتور أبو شادى بهذا النظم كما نظم المقطوعات التى أشرت إليها سابقاً والتى
سأذكرها بعد والنظم المرسل هو خير أساليب الشعر الدرامى وأقربها إلى طبيعة التمثيل
وأبعدها عن تكلف القناعة . وهذا الضرب من النظم يكاد يكون معدوماً فى الشعر
العربى . قال :

وماذا تريدوننى صانعا أأبحث عن سند لاحتياى
أأرضى التملق كالطحلب تعلق فى كنف السندانة
وشاء التسلى فى حيلة وعاف ارتقاها على قوته
أعنا تريدون لا ألف شكر . . . أم القصد أن أحتفى بالغنى
وأهدى نظيمى إلى الموسرين كما هى عادة غيرى بشعره
أم القصد أن أغتدى كالنديم فيدفعنى الامل السافل
وأسعى لاحظى ببسمة عطف خلعت من دهاء بئر الوزير
لا . لا . ثم شكراً

أم القصد أن أتغذى سقيماً بضفدعة كل يوم وأشكو
وأفد من بشرقى فى سجودى دواما على ركبتى انصاعا
فلا ثم شكراً
أم القصد أنى يمتاى ألعب والشاة حين يراى أزرع
وانى أوزع فى كل يوم بخور الثناء لشخص جديد
فلا ثم شكراً

أم القصد نشر نظيمى ودفعى لذلك سعرا فلا ثم شكراً
أم القصد أن أدع الغافلين يرو موتى و باب ، حاناتهم
فلا ثم شكراً

أم القصد بنیان بجدلنفسى حول نظيم قديم لسولا
فلا ثم شكراً

أم الخوف من عنت الناقدین ومن صحف فى غلو ونلس

فلا ثم شكرا

أم الحذر المتأهى بمظوي وإينار خالق على نظم شعري

فلا ثم شكرا . وشكرا . وشكرا

ولكن أغنى وأسمو خيالاً وأصفو وأضحك وحدي طليفاً

وأن تغتدى لي عين البصير وصوت هو الرعد عند احتياجي

وإني متى شئت زينت رأسي بتبعي كيف كنت أهوى

وإني أبارز لما أشاء للفظه لا ، أو لقولي ، نعم ،

وأن أقرض الشعر أعمل لا أفكر في ثروة أو جلال

وإني أفكر إن شئت في علو إلى سفر للقمر

وأن لا أخط سوى ما حبه نبات لفكري ولبي وتقى

وإني أقول وكلّي اتضاع : « أيا نفس كوني بزهر قريرة

وكوني كذا بالثمار وحتى بأوراق بستانك الناضر

متى كان ملكك ، حتى إذا ما نجت فلست مدينا لغيري

ولكن أكون مدينا لنفسي ومحفظاً بامتاني لها .

وجملة حالي أني لا أكون شبيه النبات الطفيلي

وإن لم أكن تلكم السديانة في مظهر البذخ الباسق

وإن لم أرفع عالياً غير أني أرقى بجدي عزيزاً كريماً

هذا هور وستان مؤدب الشيبة ومريباً بتأثير أشعاره السحرية المملوءة حقائق

وتعاليم تدخل الأذن غير منتظرة لأذن

وهو لم يكتب قط إلا للذة الكتابة وحدها وجبا في الشعر لذاته واضعاً فيه بدائنه

ونهايته فقد أبى دائماً أن يضحك الجمهور ويسعى لاكتساب هتافه ولكنه رغب

دائماً في أن تكون أستاذه بزوراً وجبراً تذر في النفوس فتبت نباتاً طيباً . وإنك

لن تجد رواية من رواياته لا تستطيع أن تستخرج منها دروساً في الأدب والخلق

الحسن .

وعندى أنه يجب أن يستظهر الشبان مجموعة من أشعار روستان لتكون عوناً لهم
على تقوية العواطف الكريمة في نفوسهم. وإن الشبهة التي تعشق الجلال لتذكر دائماً
قول روستان لها :

كونوا عوناً للجمال . كونوا ضد الجموع .

واذكروا دائماً كلما أظلم الزمن

أن أنوار المثل الأعلى ساطعة باهرة

عما يقابله نظماً :

كونوا معبداً للجمال • لا تكونوا للجموع

ولتذكروا يوماً إذا • ما أظلم الزمن المريع

أن المثل المشرق • على ليهر في السطوع

ولعل روايته (الاميرة الثانية) أبدع قصيدة رتل الحب الطاهر العذرى
وليس فضل روستان في نجاحه هذا لاغير. وإنما في جرأته التي جعلته في أواخر القرن
التاسع عشر - وجهور الكتاب والقراء في فرنسا ينتصرون للذهب الطبيعي ولا
بأنفون من التحدث عن الحقائق عارية مرة ويدعون الاشياء باسمائها - أقول من
مآثره تلك الجرأة التي جعلته يتقدم اليهم بنشيد من الحب الخالص السماوي فيكتب
الجمهور لصفه وينتصر للجمال والخيال فيتنصروا على يديه .

سفة تنقاذها الامواج . وبجارية مزقوا الملابس عراة الاجسام جلودهم مقروحة
وبطنهم خاوية وقواهم خائرة وهم مع ذلك يقاومون الامواج ويحاربونها كالجبارة
الابطال . ولم كل هذا ؟ أتراهم يسعون لثروة أو جاه ؟ كلا . وإنما سندهم في هذا
الصراع فكرة بسيطة : إنهم يحملون وجفروا روجل وجه العميق . جفروا روجل
الذي أحب ، الاميرة الثانية ، من غير أن يراها أو يقع بصره على صورتها وإنما سمع
شاعراً يعبد محاسنها فهم بها جأ وسعى إليها وقدما قال شاعر العرب بشار :

والأذن تعشق قبل العين أحياناً ،

ولقد بلغت عظمة هذا الحب ان هذه المجموعة من البحارة - وكلهم قرصان
وتغافو طرق - أحست بعظمة هذا الحب فنسيت أحقادها ودفنت مطامعها وأدركت

ان المثل الاعلى يستحق التضحية فرغبت فيها ولم تبخل عليه بها ، ونبضت قلوبها مع قلب العاشق وأبوا الا أن يلغوه حبيته أو يغمروهم اليه .

وهذا وجفورا روطه الذي أضناه المرض وأنهك قواه يسعى الى حبيته بانسا قانطا موقنا انه سيموت من غير أن يستمتع بها ولكنه يأبى الا أن يراها : « حتى اذا نام نومه الاخيرة رآها في حله ، فان لم يصل اليها : « فليمت وهو يلفظ اسمها . »

والاميرة نفسها (وقد وصل الى سمعها حب جفورا) قد أحبت به وان لم تره لاسمها إن كان وسيم الطلعة ام دميما . إنها مدينة للشاعر الذي بوصفه محاسنها قد خلق في قلب عاشقها ذلك الحب مدينة له بشعورها بالعظمة والقلق وميول قلبها وحبا للشفق . للشفق الباكي وبروحها نوعا ما

وحتى بعد أن يجتمع العاشقان لا يفقد جهما شيئا من روحانيته ولا تدنس المادة طهارته فلا يكاد جفورا يجتمع بالاميرة حتى يقضى نحيبه بين ذراعيها فأنتم ترون إذا ان الحب عند روستان ليس الا ذلك الحلم البديع الذى يحرك النفوس ويلهب القلوب . كله بساطة وحقيقة ينمو وسط الاخلاص ويتم بالتضحية ونسيان النفس .

وانك لتقرأ روستان من أوله الى آخره فلا تجد عنده إلا كما قال عنه أحد الكتاب غداة وفاته : « إنه لم ينشد قط الا للنفوس العالية . حساس للغاية . سريع التأثر . حتى فى المسرات والشهوات . لذلك ظل شعره طاهرا نزيها ملائكيا فى كل لفظ من الفاظه . »



ولم يكتف روستان بأن يكون من بين الشعراء الفرنسيين معاصريه أصقلهم لفظا وأجزلهم عبارة وأقواهم خيالا وانما كان له فى كل ناحية من نواحي الشاعر فتح جديد . فلقد قرأت له وصف القبله والدموع والضحك فوجدت أوصافا جديدة اخترعها اختراعا لا أظن ان شاعرا غيره سبقه الى مثلها أو اجترأ على قول نظائرها . وكلكم تعرفون وصف القبله فى سيرانو . وما كم وصفه للضحك وهى من أوائل شعره فى سن العشرين :

« لقد قال لى الخالق يوم أوجدنى : كن ضحوكا

وأظني في القبر لن أمتع عن الضحك
 لا فاني لأنظم من ضحكاتي قصيدة عامرة رنانة
 واني - ولا أغر - أتعن الضحك إتقانا
 إني شاعر - والضحك سبيل للغناء
 واني لأجعل لضحكاتي أوزانا ورويا
 أصف بها الاشياء الجميلة وكثيرة ماهي :
 السماء وأفك والورد .
 وحتى صمتي - حين لا أظهر ضاحكا - ليس الا ضحكا باطنيا
 إني أضحك الضحكات كلها ضحكة الطفل ضحكة المجنون
 ضحكة الحيوان الحر - كل الضحكات أضحكها . . . الا الصفراء .
 وأحس بنفسى أكثر خفة وأحسن حالا كلما ضحكت
 فتي أحب أضحك ومتى أعجب أضحك
 وكلما أراك لا أستطيع عن الضحك امتناعا
 وهذا ما يقابلها نظما بشعر مرسل :
 قال لي الرب حين خلقتني : كن أنت ضحوكا . وسوف أبقي ضحوكا
 ما أظن القبر سوف ينهاني عن أن أدوم في حال صفوي :
 لا . فاني لأنظم الشعر من ضحكي وأنسى قصيدة رنانة
 وأراني - ولا افتخار - مجيدا ذلك الضحك ، متقنا إتقانا
 وأنا شاعر وما الضحك الا منهجي للغناء والانشاد
 وأنا الواضع القوافي أوزانا لما صغته من الضحكات
 وبها وصفى الجمال بشتى صور منه وهي جد كثيرة :
 في سماء ووصف أفك والورد وحتى في الصمت حينما لت أضحك
 إنما الصمت هو عندي كالضحك بل الضحك في مدى بطني
 إني أضحك الجميع من الضحكات : فعندي للطفل أجمل ضحكة
 وكذا ضحكة المجنون وضحك الحيوان طليقا وكل ضحك سليم

غير ضحك الصفراء ثم أراق بشعوري أخف روحا وأصفي
ولهذا ضحكك عند شعوري بغرام وعند حسي بزهر
ولهذا مني رأيتك لم أقو على الامتناع عن فرط ضحكى
وبضيق بي الوقت عن أن أحدثكم عن باقى روايات روستان ومؤلفاته
ويكفىنى أن أقول لكم إن أعماله بمجموعة قيمة ، نادرة المثال ينطبق عليها حقا وصف
حافظ إبراهيم لادب صروف :
فاللفظ فيه مقوم بصحيفة والسطر فيه مقوم بكتاب

سادق : لقد أخذت الكثير من وقتكم : ولكن نفسى لا تطاوعنى أن أختتم
الحديث عن روستان دون أن أتلو عليكم ترجمة قصيدة من قصائده الغزلية أسماها
، الاقواس ، أو الذكرى الغامضة لانه - قد نسى ما كان - يتخيل دائما أن كل ما أحاط
بحبيته كان جيلا بديعا على حد قولى هينى She walks inbcanty : إنها تسير فى ثنايا
الجمال . او كما قال الاستاذ الجليل الدكتور طه حسين : . هي فتنة متحركة . . اما روستان
فقد قال :

لقد كنا ذلك المساء تحت سديانة باسقة
(سديانه ربما لم تك الاشجيرة الزيزفون)
و كنت - جبا فى ان اجثو عند ركبتك على الارض -
قد تركت كرسي الهزاز يتموج وحده
و كنت شقراء كالصور المنشورة فى المجلات
و كان كرسيك يهتز بك كالزورق فى الماء
و كان يغنى فوق الشجرة بلبل
(بلبل ربما لم يك الا عصفورا)
و كانت تبلغ آذانا نغمات موسيقية نائية
(نغمات ربما لم تك الا ضجيجا)
و كان فرع الشجرة الاخضر المتدل نحونا يعصف به الهواء

أشبه بعازف يلعب على قيثارة .
 وكانت السماء كلها كصفحة حمراء
 وكنا نلح على بعد خيال أشجار يهتز على لجين بحيرة
 (بحيرة ربما لم تكن الاستقماً)
 وبينما الأمل يبسط جناحيه
 (أمل ربما لم يكن إلا رغبة)
 كانت ملايك تلبس خدى
 وأصبعي تحاول أن تمسكها .
 وكنت أحاول أن أتبين عدد ثنايا رداثك
 وكنا وقد أذهلنا الحب — تبادل أحاديث
 (أحاديث ربما لم تكن إلا كلاماً) !
 وصعدت على ملايك حشرة سوداء
 كبقعة الخبز على الصحيفة البيضاء
 ورى الخوف بك بين ذراعي
 (خوف ربما لم يكن إلا وسيلة) !
 وأفننا بأسرارنا في الظلام
 وخيل إلى أنني أرى بعينيك الحائيتين الحائرتين
 روحاً عميقة دقيقة الاحساس
 (روحاً ربما لم تكن إلا نظرة) !

*
 * *

وهذه ترجمتها النظمية :

كنا بذاك المساء نطلنا سنداناه
 (وربما هي كانت شجيرة الزيزفون) !
 وكنت من فرط حبي الدنو من ركبتك
 أجشو وأترك كرسى يمزج مله اهتزاز

وكنت شقراء كالصورة تختار زينه عصف
 وكان يهزكريك مثل هزة زورق
 وكان سحراً يغنى على الشجيرة بلبل
 (وربما لم يكن ذا إلا مغن حقير) !
 وكان يبلغ أذنيننا صوت بعيد غنائى
 (وربما لم يكن ذا إلا ضجيج ثقيل) !
 وقد كان ذلك الغصن الذى تدلى إلينا
 فى وسط تصف الهواء كما زف القيثارة
 أما السماء فكانت كصفحة حمراء
 وكان فى البعد يد وخيال أشجار هزت
 على لجين البحيرة ،
 (وربما هى فى الحقيقة مستنقع) !
 وحين كان جناحا الرجا يمتدان
 (وربما كان هذا الرجا أبسط رغبة)
 كانت ثيابك هذى باللفظ تلس خدى
 وأنما لاقى افتانا قد حاولت مسكها
 وكم تحايلت حتى أدرى ثايا ثيابك
 ولكن والحب يقضى على النهى بالنهول
 لنا حديث مبادل
 (وربما كان هذا الحديث لفظا يسيرا)
 ثم اعتلت فوق ملبوسك حشرة سوداء
 كانت كبقعة حبر بصفحة يضاء
 فلنت بين ذراعى وقد رمى بك خوف
 (وربما كان هذا فى الحق عجز وسيلة) !

وفي الظلام أفضنا بسرنا دون حد
وكنتم المح روحا عميقة حساسة
في نور عينيك هاتين بحيرة وبمطف
(وربما هذه الروح لم تكن غير نظره) !



هنا نقهر منطقى عن روستان ؛ ولا بد أن نستخلص فى كلمة وجيزة من حديث
روستان شيئا يخص بالادب المصرى الحديث وكيف هو الآن ؛ وكيف يجب
أن يكون :

لقد رأيت من كيف أن روستان قد رفض عنه رداء التقاليد ؛ وكيف أنه لم يتأثر
بميرال الجمهور فى عهده ؛ وكيف أوجد الشعر الطاهر الروحاني فى وسط كله إلحاد
وماديات . فهل يخلق بنا نحن ، فى هذا الزمن ، أن نقضى على قواعد
طال عليها القدم هـ فهى وجود عدم ؟

أما أن لنا أن نرفع الأكفان التي نسجت عادات قديمة ؛ وحاكها أيد عاطلة ...
لقد خرج الكثير من الأدباء على هذه المبادئ العتيقة ؛ ولكنه - فى نظرى - خرج
وسط وأنا فى هذا التيار أحب المتطرفين . إنهم يطلقون القصيد أو اللفظ حتى اذا
ماتوا عليهم دعاة الرجعية الادبية والجسود عمدوا الى منون اللغة يبحون فيها عن
استعمال يبرر جرأتهم ويخفف « جرمتهم » وقد يكون لهم العذر فى ذلك فان الجمهور
لا يزال مع الأسف يقيس الشاعر أو الاديب بمقدار اضطلاعهم بقواعد النحو والصرف
واللغة . أما أنا فرأى ماقاله الأستاذ غنايل نسيمة صاحب (الغريال) :

« ان اللغة مظهر من مظاهر الحياة لا تخضع الا لقوانين الحياة فهى تتقى المناسب
وتحتفظ من المناسب بالانطباق فى كل حالة من حالاتها وكالشجرة تبدل أغصانها
اليابسة باغصان خضراء وأوراقها الميتة بأوراق حية . وحين لا يبقى لها فى تربتها من
غذاء تموت بفروعها وجزورها ولو تجمهرت كل البشرية لما استطاعت إرجاع المياه
الى . هكذا ماتت البابلية والآشورية والفينيقية والمصرية وكثير سواها . »

سأدق: لنا متحتين ولا مبالغين حين نصرخ بكم ، حذار ان تبتوا لغنكم بأيديكم .
 فان أردتم لها الحياة التموية اكرهية فاجروا ثم اجرؤوا . استعملوا ما استحسنتم من
 الجديد من ألفاظ أو تعابير مهذبة مصتولة فسيأتي بعدكم من يتخير المناسب ثم يحتفظ
 من المناسب بالاناسب . أما ان تتركوا العالم يتقدم ولغتنا واقفة في مكانها فذلك هو
 التقهقر بعينه . هكذا فعل إدمون رويان وأقرانه العبقيرون وهكذا يجب أن يفعل
 كل أديب نابه يعجب بهم .



أطلب من دار العصور للطبع والنشر

بشارع اسماعيل الفلكي بالظاهر

كتاب

الضحية

وروايات وأبحاث أخرى

تأليف

طاغور الشاعر الالهى المعروف

بقلم

اسماعيل مظهر

نماذج الشعراء

ووحدة الحب

THE POETS' MODELS

سألت عن غزلي وعن إيمائي
فلِمَ السؤالُ وذلكَ صَوْنُكَ شاهد
هل كان لي غزلٌ سواك، وصورة
مَنْ يرسم الزهرَ النضيرَ مُهْفَهفاً
وأنا كذلك في نواك تغزلاً
كلُّ الفوائنِ ما مثلنَ لحاظي
عودي إذْ إنْ أنتِ دنتِ لِغيرةٍ
وإذا آيتِ فساجي معبودةٍ
وأنا الموحدُ في العبادةِ دائماً
مثلُ الجمالِ إذا خطرُنَ لناظري
ما كان إشراكاً بحبك بل غداً
للفنِّ أحكامٌ إذا خالفها
نال المصورُّ من نماذجِ فنه
والشاعرُ الرسامُ يحرمُ غالباً
ويساءلُ الشعراءُ عند سكونهم
وهمُّ الذين يحاربون لجهم
فتد لي ما شئتِ، لكن جاني

فيما دعوتُ «نماذج الشعراء»
حقاً إلى عِرْفانك المترائي
إلاَّ في تصويري الوضائِ
فيذهنه تفتحُ لِرَوْضِ نائي
وإنْ اتصتُ بغادةٍ هيفاءٍ
إلاَّ مَظَاهِرَ سحرِكِ المشاءِ
تعدُّ المنى في الجنةِ الفيحاءِ!
نظري يبعدُ الشمسَ للأضواءِ!
وأراك يا أُمِّي صباحَ مساءٍ
مثلتِ فيهنَّ الجمالَ ازائي
صوفيَّةُ المتبذلِ المتنائِ
لم يحلْ لي شرٌّ يحلو بهاءِ
ماشاء في بعدٍ عن الرقباءِ
مثلاً تعبرُ عن عزيزِ سناءِ
باسمِ الملاحَةِ عن نظيمِ وفاءِ
ماشاق في خلقٍ وفي أشياء!
هجري، أُنصِغْ لكَ فرحاً وبكائي

وَيَحُلْ جِلالَكَ حَسَنَ ما أَنَاظِمُ
هِيَّاتِ يَنْضَبْ لِي مَعينَ صَبابةٍ
ليس العذابُ بما يُنَبِّههُ مُهْجَةً
طُبعت على الحب الصميمِ وغردت
خِيارُها شِعْرُهُ ، وإن هي صاحبتُ
ما كانت الاحداثُ معثَ شِدوها
شِعْرُ التحرقِ ليس غيرَ رِجاءِها
غَنيت سَجِيَّتِها بِأَخْوانِ الهوى
هِيَّاتِ يَجْديه فِرْأُفَكَ باعِثًا
لا تَسْقِمْه بِطولِ بَعْدِكَ ، إِنَّه
هذا شِعورُهُ لا أَفْئاسُ بغيرِهِ
وعَلَى فَرَضٍ مُدافِعٍ عَنِ رِفْقَتِي
حَرِّمُوا التَّماذِجَ لِي لِمَ عَزَوْفِهِمْ
ولو أَنَّهُمْ نَظَمُوا الجِلاءَ صِناعةً
لَا خَيْرَ في تَقْشِرِ الحِياةِ بِرِيشَةٍ

وَيَقْصِرْ دَلالَكَ رِفْقَتِي وَرُوائِي
في حَسٍّ وَجَداني وَفي إِملائِي
يَقْطُطِي على السَّراءِ وَالضَّرَّاءِ
بالشعرِ في شَفِّ وَفي اسْتِحياءِ
يَأْسًا ، وَإِنْ هِيَ عَلَتْ بِرِجاءِ
بَلْ كان صَوْتُ النورِ لا الظُّلُماءِ
في خالِي النِّعْماءِ . وَالْبِائِساءِ
فَدَعِيَ الهوى يَنْطِقُ بِكُلِّ جِلاءِ
لِلشعرِ حينَ سَنالِكَ خَيْرُ نِداءِ
مَعها أَجادُ يَفْتَهُ حَسَنُ أَداءِ
مِن صِدْقِ إِحْساسِي بِلا إِخفاءِ
في الفَرْقِ وَالْحَرِّمانِ وَالْأَعْباءِ !
عَنِ نَظْمِ شِعْرِ الحُبِّ وَالنِّعْماءِ !
كَصِباءَةِ النِّجارِ وَالْبِنااءِ !
بِيدِ الغَيبِ يَرُدُّ دُونَ ضِياءِ !

فَتَبَسَّمَتْ وَتَنَهَّدَتْ وَدَعَتْ إِلَى
فَسَأَلَتْ : مَنْ هُمْ ؟ وَارْتَبَكَتْ لَوْرِدَةٍ
قَالَتْ : أَظُنُّكَ قَدْ نَسِيتَ حَقْوَقَهُمْ !
تَحْدِيثُها عَنِ سَيرةِ الشَّهداءِ
في خَداها ، وَلَوَعْدُها بِلِقائِي
فَتَعَمَّالَ نَبَحَتْ فَتَنَةَ الشُّعراءِ !
أَبُو شادى

نظرة نقدية

حد الامكان

لعل أشد ما يكشد طريق العلم؛ ويقف حاجزا منيعا بين الحقيقة وانكشافها فيعطل السير الطبيعي للعرفة، ويؤخر الانسانية عن التقدم في سبيل كشف المجاهل المحيطة بجميع دقائق الكون، انما هو حصر الامكان في دائرة محدودة قوامها المعارف المتفق عليها: سواء كانت إلى الحقائق العلمية أقرب أم بالأوهام وأمس وأملك. بحيث يعتبر كل خروج عن هذه الدائرة عبثا محضنا وضلالا كبيرا

ولقد مر العلم في جميع أدواره بهذه العقبة الكثرود: ولاتى رجاله من العامة بل ومن زملاتهم من لا يقلون عنهم في المكانة العلمية. أشد ما يلقاه العالم من الجاهل والحق من الباطل: فنجد العهد الأول للتفكير العلمى، ومنذ بدأ فريق من الناس ينظرون بأدمغتهم إلى حركة الشمس والأرض، ويجهزون على القول بأن الثانية هي التي تدور حول الأولى إلى أيامنا هذه لم تمر نظرية من النظريات العلمية: أو استكشاف مجهول من المجاهيل الكونية أو قوة من القوي الخفية بدون أن تصدم: لأول وهلة: بأنها خارجة عن حدود الممكنات، وكل ما كان كذلك لا يمكن قبوله ولا بحثه بحال من الأحوال. ولولا أن الحقيقة تحمل بين جنبتيها جرائم بقايا والعناصر التي تكفل لها مقاومة كل ما يعترضها من غت وانكار لما كان العلم حتى اليوم إلا مجموعة رثة من الأوهام والأضاليل لاسيما وأن علنا ان هذه المعارضة لم تكن تقتصر على العامة واشباه العامة فقط بل كانت تعداهم إلى بعض العقول الكبيرة أمثال افلاطون وأرخيدس وبطليموس أيام ان قالت مدرسة فيثاغورس بدورة الأرض حول الشمس. ويحدثنا أيضا الاستاذ كاميل فلريون عن رجال كانوا يعتبرون من أئمة العلم في عصرهم لم يرفعهم الخلق العلمى عن أن يمثلوا أدوارا من هذا الجود. ويكفى أن نذكر أن أحد هؤلاء كان ينكر حقيقة الفونوغراف ويصرح على رؤوس الاشهاد من أعضاء المجمع

العلى الفرنسى انه درس هذه المسألة درساً مدققاً سنة أشهر وانه يرى أن المسألة مسألة تدليس وانه لا يعقل ان المعدن يستطيع محاكاة الجهاز الانسانى الشريف وان عالماً آخر من كبار المستكشفين انبرى للافوازيه بخطئه فيما ذهب اليه من القول بعدم عنصره الماء والهواء والنار والتراب ويقول فى ذلك ، ليس من المحتمل أن توضع هذه العناصر التي عرفت منذ ألفى سنة بانها بسيطة فى عداد الاجسام المركبة ، وليس من المحتمل أيضاً أن تكون حقيقة تلك الوسائل التي تقدم لنا لتحليل الهواء والماء....

فحتى فى أنصح أنوار العلم وفى اكبر العقول التي أعطيت مقاليد السموات والأرض لتظهر لنا عيونها وتكشف لنا عن أسرارها لم يستطع التحرر من قيد حصر الامكان ولم يقدر أسلوب البحث العلمى على الافلات من تأثير بعض المعارف المتفق عليها

وانها لظاهرة جليلة وخطرة من تاريخ العالم لا يصح أن تغفل عنها ، خصوصاً ونحن نجهد أنفسنا فى تمكين الأسلوب العقلى من النفوس ونسعى السعى كله فى تربية العقول الناشئة عن التحرر من جميع التقاليد الموروثة وان دراستها خير ما يربى العقول على الأدب العلمى ويجعلها متحفظة فى قبول أو نفي ما يرد عليها من الآراء

فانى أحسب انه ليس اكثر سذاجة . بعد أن نرى أى حقائق اليوم الملموسة والبداهة التي لا يمكن النزاع فيها كانت محل شك بل انكار من بعض أئمة العلم — أقول ليس اكثر سذاجة من الادعاء بان رأيا من الآراء لا يمكن أن يكون حقاً . ولماذا ؟ لانه يتعارض مع كيت وكيت من الحقائق العلية أو يتناقض مع ناموس كذا من النواميس الطبيعية والاستناد إلى النواميس الطبيعية وجه جديد من وجوه حصر الامكان . وليت شعري أيمكن ان تكون تلك النواميس جامدة ثابتة لا يأتيتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وهي ليست الا قواعد وضعها رجال العلم بناء على المشاهدات الكونية وما استنبطوه لها من العلل الأولية . وما الذى يمنع ان يكون بتلك النواميس نقصاً أو انحرافاً أو قصوراً يظهره لنا البحث والنظر المجردان . ليس ثم ما يمنع ذلك كما اعتقد اذن أبحث لها ان تحول بيننا وبين الحقيقة . ولنا نجم مثلقا انها هى الحق المطلق

فالثقة المطلقة بالنظريات العلمية أو التواميس الطبيعية أو الاوهام الفطرية أو العقائد الدينية؛ كل ذلك سواء اذا اعتبرنا أنه يؤدي الى نتيجة واحدة وهي حصر الامكان. وهذا يؤدي الى ما ذكرته آنفا وهو تعطيل السير الطبيعي للعرفة، مع مراعاة القوة الجبروتية الموجودة في الحقيقة (النسبية طبعاً)

ان هذا القيد الثقيل الذي لم يفارق العلم في أى عصر من عصوره انما هو نتيجة الايمان الراسخ؛ أيا كان هذا الايمان، فهل من العدل أن لا نذكره الا حينما نذكر الاديان فحمل عليها بكل ما في قلوبنا من غيظ وحق وبكل ما في نفوسنا من تقديس. للعلم وغيره على الاسلوب العقلي، كأن الاديان هي كل ما هنالك من جنابة على العلم ضد عن سبيله، وكأنما هي المادة الوحيدة التي صيغ منها ذلك القيد الثقيل

شيئا من النصفة والعدل. أى فرق بين رجل من رجال الدين حارب مذهب دارون مثلا لأنه يناقض ما رسخ في نفسه من التعاليم التي تقضى بالخلق المستقل وبين كبير من رجال المجتمع العلمي الفرنسي انبرى لما استكشفه لافوازييه من تحليل الماء والهواء منكرآ أشد انكار أن هذه العناصر، عرفت منذ ألفى سنة بأنها بسيطة؟! كلاهما يستند الى عقيدة في نفسه، فيضحي في سبيلها البحث والنظر؛ وكلاهما يحارب في الواقع الترقى العلمي، بل عندي أن مثل هذا الجود العلمي أعظم خطراً وأكبر أثراً في سبيل العلم

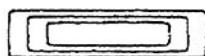
أنا لا أقول يجب أن ترفع الثقة بالمقررات العلمية رفعا باتا؛ فهذا بلا ريب خطأ كبير. ولكن الذي أقوله أنه لا يصح أن نكون كهانا وقساوسة في تمكنا هذه المقررات بحيث نضع كل ما سواها بما يتناقى أو يتعارض معها في دائرة المستحيلات. فانه من المسلم به أن جميع الحقائق التي نعرفها عن الكون ليست إلا حقائق نسبية وقد قرأت كلمة لبعض العلماء هي خير ما يقال في هذا الفصل :

« ليس لأى عقل مهما كانت درجة اتساعه أن يضع حدودا للممكن وغير الممكن لأن الممكن لا ينتهي عند حد كالزمان والمكان، ونحن وان كنا حددناه في نظرياتنا فهو يتعداها في كل لحظة ويسخر من ضيق عقولنا، ... أما ما يقوله العاقل فهو أنه لا يوجد خطأ محض الا في الامرين المتناقضين ولا حق محض الا فيما هو بدمي،

خذ الامكان على هذا يتسع لجميع الآراء وانما البحث والنظر بالوسائل العلمية هو الذي يهدينا الى سواء السبيل ، وبين لنا ما هو الحق بالاخذ بما يجب أن يهمل وينبذ ليست حرية الفكر هي فقط : الا يعترضك امرؤ بسوء في رأى من الآراء ؛ أو يحجر عليك ذوو السلطة في التصريح بمذهب من المذاهب ، فهذا لا يلاوى في الخطورة تحرير الفكر من تأثير بعض المعارف الموروثة أو المقررة بحيث تحصر الامكان في دائرتها

، الخارجى ،

العصور - ليس لنا ان نرد على حضرة الكاتب بشئ الا ان نحيله الى ما كتبنا في افتتاحية العصور من بحث قائم على آخر النظريات العلمية والفلسفية



اطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة

الاشتركية

أقوم بحث في حقيقة الاشتراكية ومناقشة مبادئها

هل الضوء مادة ؟

المواد باختلاف انواعها وتباين اشكالها لا تختلف عن القوي بالكنه وانما بالعرض فالنرات الكيماوية وان اختلفت تتكون من كهارب سالبة وكهارب موجبة . اما التيار الكهربائي فهو جريان الكهارب السالبة في الجسم الموصل . ولذا فيجوز ان نقول ان المادة كانت في الاصل قوة ما زالت الكهارب المكونة للمواد هي عينها المكونة للتيار الكهربائي . ويجوز ان نقول ايضاً ان القوي والمواد شيء واحد احدهما مكون من نوع احد من الكهارب والآخر مكون من نوعين . ولذا فليس بغريب ان سمعنا العلماء يدعون ان الضوء مادة .

ادعى نيوتن ان الضوء ليس الا دقائق صغيرة تخرج من المصادر المضيئة . وخالفه هويجنس ، اذ ادعى ان سرعة الاجسام المادية اقل بكثير من سرعة الضوء . ولا يحتمل ان يكون الضوء . وهذه سرعته جسم مادي . وادعى ايضاً ان كان الضوء كما يدعيه نيوتن فيجب ان يسقط الشخصان اللذان ينظران لبعضهم البعض لان المواد الخارجة من عين الاول تصطدم بالثاني فتسقطه . وكذا الحال في الشخص الثاني . وفكرته في الضوء هي ان الضوء تموج اثبرى ليس الا . وقد بقيت فكرته هذه مزيدة من قبل اهل العلم حتى اكتشاف الحالة الرابعة للمادة او ما نسميها بالاشعاع فاخذ الطبيعيون اذ ذاك ينظرون لما ادعاه هويجنس ، نظر الخائف المرتاب ما زالوا حتى اليوم في نزاع بعضهم يؤيد هذه النظرية وبعضهم يخالفها ويؤيد مدعيات نيوتن . ولكن كفة الرأي المادي اخذت اخيراً في الرجحان مع قلة براهينها التجريبية ولا يستبعد ان يتوصل العلماء لتحقيقها في القريب . واهم البراهين التي يعتمد عليها اصحاب الفكر المادي تلخص بما يأتي :

١- ان سرعة المادة لا تختلف عن سرعة الضوء الا بفرق بسيط . فسرعة ذرات الهليوم تقدر بعشرة آلاف ميل في الثانية اي باقل من دقيقة تصل ذرة الى القمر وترجع الى الارض ثانية . ولكن الغريب ان سرعة ذرة الهليوم تقل كثيراً بعد ان تقطع ثلاثة واربعة انجاست من طبقات الهواء . ذلك لانها تصطدم بذرات الاوكسجين والنروجين

وسائر العناصر الموجودة في الهواء . ولأن هذه أثقل بكثير من ذرة الهليوم أولاً ودائمة الحركة ثانياً . فالاصطدام بها مما يقلل من سرعة الذرة الصادمة وما يجعلها تير بصورة متعرجة . ومع ذلك فإن المستر C. T. R. Wilson تمكن من اختراع آلة صغيرة تفرغ من الهواء بواسطة تعيين سرعة ذرة الهليوم .

٢ - أن الراديويم دائم الاشعاع وأشعاعه عبارة عن انشطار ذراته وتحولها لنوات مادة أخرى . فإذا أخذ جزء دقيق منه ووضع داخل ناقوس مفرغ من الهواء يرى أن عدة شرارات تنفصل عنه بين لحظة وأخرى وهذه الشرارات هي إلا الكترونات منفصلة من ذرات الراديويم . فإذا كان الضوء الراديوي الكترونات منفصلة عن النوات فهل يستبعد أن يكون الضوء الكترونات منفصلة عن الاجسام المضيئة ؟

٣ - يدعى انصار « هو بجنس » أن الضوء يخرق الاجسام والمواد لا تخرق المواد لأن عدم التداخل صفة ملازمة لجميع المواد ولذا فلا يجوز حساب الضوء مادة . وجواباً على ذلك يقول انصار نيوتن أن الاشعة تخرق كثيراً من الاجسام المعتمة فاشعة اكس تخرق ماصفاً ثلثه أو أربعة انجاث والاشعة السموية المجهولة تخرق ثلاثة أو أربعة امتار . ومن هذا يتضح أن الضوء يخرق جميع الاجسام . إلا أن الطبقة المشيعة في عيوننا تتأثر منه بدرجات متفاوتة . وقد لا تتأثر منه أحياناً ؛ ولهذا سميت الاجسام معتمة وشفافة . ثم إن الكهارب تخرق ذرات الاجسام ولا يمكن للضوء أن يخرق الاجسام إلا إذا كان كهارباً إذ لا يمكن لموجات اثيرة أن تخرق مادة متلاصقة الذرات صفاً ثلثه أو أربعة امتار . وبعد كل ما تقدم أفلا يحق لنا أن نقول أن الضوء مادة ؟

حسن أحمد السلان
البصرة .



« حقيقة الرب والفائدة »

لا يزال كل من تعود قراءة الصحف اليومية والمجلات العلمية وكان شغوقاً بالاطلاع على ما فيها يعثر في بعض رحلاته العلمية التي يقطعها بين صفحاتها على بعض حقائق علمية لا تهضمها ثقافته الفكرية ولا تفسح لها مكان في جو الفكر ألا بشكل صوري تمتعض له النفس ولا تدخر وسعاً في أن تعمل على زوال هذا الأثر ولا تجد النفس لها راحة إلا إذا شغلت ما كانت يشغله هذا الأثر في قوام ثقافته الفكرية بما تطمئن له من الآثار العلمية المدعمة والمندجة في حلقاتها المتصلة . ولقد سمحت لي الفرصة بالاطلاع على مجلة العصور القيمة الفكرة السامية المبدأ النزهة الغاية فبينما أنا متمتع بقراءتها معجب كل الإعجاب بمواضيعها الشائقة ولا أظن القارئ ينازعني في أن هذه المجلة صابون الأفكار وأكبر عامل مطهر للعقول من الميكروبات الخرافية والتقاليد الوراثية التي أصبح العلم يمتعض منها كل الامتناع ويحم ذهنه كلما تصورهما . إذ وقع نظري فيها على موضوع قرأته وكان كلما قطعت فيه خطوة اندثرت نفسي واعتراني ما هو أشبه بالانغماء الفكري لما هو مزيج مأس بكرامة الدين مدحض لبعض نظريات لم يشك في صحتها وقيمتها العلمية أحد من كبار المفكرين قروناً عدة . على الرغم من أن هذا الموضوع لكاتب قدير تعرف ماله من القيمة العلمية والادبية . وبودي أن يتبين الأمر فيما بعد فيصبح هذا الموضوع من بعض طغيان قلم الكاتب وقلته الفكرية التي يفرزها الذهن وقت أداء وظيفته بطريقة ثانوية لا تعدو حد المزاح والمداخلة . ولست أبالي إذا أنا ناقشت الكاتب في موضوعه على ماله من القيمة أن يرميني بعض القراء الذين راقت في نظرهم فكرة الكاتب بالرجعية فانه من الحقائق المتفق عليها في هذه الآونة أن تيار التجدد سائر في الشرق بقوة مغناطيسية تجعل العقلية الشرقية مأسورة للعقلية الغربية في كل دعائما الدينية والسياسية والاقتصادية . وإن كل من وقف أمام هذا التيار محتفظاً ببعض حضارته الشرقية بعد رجعي جامد الفكر ضيق

الخطى في حياته العلمية والسياسية . واني مع اعتقادي بهذا كله أجاهر بل انخر بأني
سأناقش هذه الفكرة التي تصديت لها الآن غير مكترث بكل ما يوجه الى من انواع
الهم مردداً صدى قول القائل

إذا كان رفضاً حبر آل محمد = فليشهد الثقلان اني رافضى

واني الآن أناقش تلك الفكرة متوخياً الانصاف في القول والايجاز في التعبير ثم
أترك الرأي للقارىء فيأبعد يحكم بما تسمح به طبيعته : يقول الاستاذ الكبير عمر عنایت
أن فكرة الربا وبعبارة أخرى الفائدة التي دونها الفقهاء في كتبهم ودرسوها في جامعتهم
وأذن لها بالصحة لغير من كبار المفكرين خطأ من الوجهة المنطقية والاقتصادية
معللاً هذا الحكم بأنه لا يمكن حدوث تعامل بلا مقابل ومتدداً على الفقهاء من جهة
أخرى بأنهم لم يدرسوا المبادئ الاقتصادية . واني أقول . نعم أنه لم يقع تعامل بلا مقابل
وحقيقة أنه يعنى بكلمته هذه أن الربا لا يخرج عن مقابلة عوض بآخر وان كان فيه
تفاضل بأحد الجانبين غير أنه لا ينافي في جواز المعاوضة مع التفاضل فكأنه يريد بذلك
أن يبيح الربا بشكله الحالي وان كان ذلك مخالفاً لآراء الفقهاء وما كان أحرى به بدل
هذا أن لا يجزأ على الفقهاء ومهنتهم التي حللوها تحليلاً كيمائياً دون أن يطالبهم ببيان
صحة نظرهم . فكما أن الفقيه لا يجزأ على الطبيب في مهنته الخاصة لجهله بقواعد الطب
كذلك يحق للطبيب او السيلسى او الاقتصادي ان لا يجزأ على الفقيه ضرورة ان لكل
قواعد ومبادئ ، أنقواقاته في تكوين ثقافته منها . ولكن هنا لا يمتنع مادامت متصدياً
لنقض نظرية الكاتب ان أبين صحة رأي الفقهاء فيما قالوا مبعداً بهم عن الخطأ من الوجهة
الاقتصادية والمنطقية .

فأقول : إن الخبر الذي وضعه الاستاذ في مکتوبه ميثاً فيه نهى النبي صلى الله عليه
وسلم للرجل الذي استعمله على خير فيه الكفاية التامة على منع التفاضل واستئصال
شأقتها من طور التعامل مادام محدوداً بحدى النوعية والعلّة الربوية . وكما ان الاستاذ
رمى الفقهاء بأنهم لم يدرسوا مبادئ الاقتصاد أجد لي الفرصة الآن ان ارميه بأنه
لم يقف على ما أعنيه من تلك الحدود الفقيهية التي لا يمكن ان يستنبطها من الخبر الذي
ذكره الا من مارس هذه الصناعة الخاصة وفرع النتيجة على مقدمتها الاصطلاحية .

يد أني أشير الى مقصدى متوخيا الإيجاز مبينا للاستاذ ان الشارع منع التفاضل في التعامل لاغراض عدة أحسنها ان لم يكن أهمها (١) انه لو فتح الباب على مصراعيه امام النزعة المادية على اختلاف طبقاتها لادى ذلك الى نتيجة ضارة بالمجتمع أقل ضررها أن يقتصر الناس على تكوين حياتهم المعاشية بواسطة هذه المبادلة المالية فيكتفون بذلك وحينئذ يستحكم فيهم الميل الى العطلة وترك العمل حسب الطبع الغريزي في النوع الانساني ولا أظن الاستاذ ينازعني فيما يحده هذا الاثر في المجتمع من الرجعية والوقوف عند حد واحد في كل اطوار الحياة . كما انه لا يشك في امكان حصول كل فرد من النوع على حصة مالية صالحة للمبادلة . وللفقهاء في بيان العلة لصحة نظريتهم عدة عوامل حسي ما جئت بها ولكنني أضيف الى ذلك عاملا آخر بعد ان أئين للاستاذ ان التفاضل الذي يحيزه في التعامل مستقبعا انكاره قد رنضه الشارع لسراقة من الاباحية التي يصيغها الاستاذ في التفاضل كما ما دام التفاوت من جهة الكيف حاصلًا كما هو صريح قوله في المثل الذي ضربه لنا بالتمر الردي والجيد

ولست أذهب بالاستاذ بعيدا اذا استلقت فكره الى هذا السر الجوى في تحريم الربا في الاديان قاطبة قديمها وحديثها على أنه لو فكر قليلا لوجد هذا السر الذي يخله غامضا قد تجلى بأوسع معانيه في الخبر الذي ذكره الأستاذ في مقاله ضرورة أنه يريد به المشرع أن يجعل الغبن والاجحاف بعيدا عن حدود المعاملات المالية بكل عناوينها . ولما كانت المنافع لا يمكن تحديدها تحديدا متوازنا في طرفي التعامل لم يسمح المشرع أن تكون عوضا للعين وحدها على الرغم من أن التفاضل لم يمنعه المشرع من دخوله في التعامل نهائيا فقد قضى قانون التعامل بجواز دفع أردب من القمح بثلث أردبين من الذرة مثلا صفقة واحدة بعقد واحد . ولكن كل ذلك مكيف بكنيات اصطلاحية يعرفها الفقهاء . وحدهم . نعم أن العلة في تحريم الربا قد تخفى على كثير من الافراد وأن الربا وبعبارة أوضح الفائدة اذا وضعت على بساط البحث أمام العقل ليفحصها وحده دون أن يتوقى في بحثه العاطفة الدينية لم يجد فرقا بين الربا والبيع . يد أن التفوذ الديني يقضى على كل من أذن لرسول بصدق دعواه أن يصدق بكل ما جاء به وأن لم يستطع الوصول

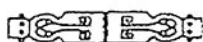
ألى كنهه . على أن التواميس التشريعية والطرق القانونية وضعيه كانت أو ألهميه لا يزال فيها بعض فقرات ومواد لا يكتبها العقل إلا بطرق متكلفه يشغلها رجال القانون لأتقاع النفس غيب . وأنى لسائل الأستاذ حيثذ ؟

أن القانون الأهلى والتشريع المصرى يقضى بأن من تعامل فى البلد بالربا بزيادة عن المائة تسعة تصدر ضده العقوبة . فما السبب فى تحديد القانون للفائدة بمقدار تسعة فى المائة ولم يجعلها عشرة أو ثمانية فى المائة . أظن لا سبيل ألى الجواب سوى العجز عنه . وإذا كانت اسرار التشريع فى القوانين الوضعيه قد تخفى على العقول فما بالك بالقوانين الالهيه التى تسموعن كل الميول النفسيه التى يدركها العقل لأول وهلة ولست أتمالك نفسى من البهشة كلما قرأت قول الأستاذ .

(لا أكون بعيدا عن الصواب إذا قلت أن معنى الربا هو استعمال قوة الانسان لاستثمار الضعيف فى أوقات ضيقه . فلو أسلفتك مائة جنيه مع إقتاعى بأنك لن تحصل على ربح أكثر مما سأخذه منك . فأنى أكون مرايا) أنى أغمز بقولى رداعلى هذه الفقرة التى حدد بها حقيقة الربا بانها هذا الغرز على القضية المشهوره التى لا ينازعنى فيها الأستاذ الناطقه بان لازم المذهب مذهب . ولازم الرأى رأى . تلك حقيقة لا يختلف فيها أثنان وإذا كان حد الربا فى نظر الأستاذ يسمح للتعامل أن يأخذ أقل نسبة بما يربحه رأس ماله الذى حصل عليه مرابه . فان أقل نتيجة تلزم هذا الرأى أن يأخذ المرابى ٣٠ فى المائة على اعتبار أن رأس المال كسب ٥٠ فى المائة مثلا وفى هذا المذهب الفردى والتشريع الشخصى الذى جاء به الأستاذ فى عصر العلم ذلك العصر الذى أخذ فيه العلم يمشى فيه بجوار الدين جنباً لجنب من السخرية بالتشريع المصرى ما لا يخفى على أية عقليه ساذجه فضلا عن غيرها . بقي على أن أظهر رأى فى قول الأستاذ (أن قول الفقهاء لا يخرج عن أحد أمرين إما الجهل وإما التطلع) بيد أنى لا أستطيع ان اعبر عن رأى فى هذه النقطة التعبير الكافى ولئن أتيج لى أن احرص فى أذنه وأجهر برأى فلا معنى فى هذا المقام ألا أن ألاحظ على الأستاذ أنه أساء التعبير فى قوله . ولقد كان من المستطاع ان يكون هذا الرد مفعلاً بكثير من الالة النقليه ما يشغل فراغا متسا ولكنى قد وقع اختيارى على ان يكون هذا الرد مفاضاً بتلك الروح الملائمة لروح الأستاذ فى كتابته حتى نكون

قد كلنا له بالكيل الذي كال به . واذا كان هذا الرد لا يقع من الاستاذ موقع الاقتناع
فأني متحفز لان اكتب ثانيا وثالثا حتى تبذلوا الحقيقة ناصعة سافرة عن وجهها ولولا
ان ما كتبه الاستاذ ماس بالدين ما تحرك في يدي القلم وما كان حظي من قراءة موضوعه
الا كحظ من يشغل اوقات فراغه بقراءة الجرائد والروايات الادبية . ولكن للدين كرامة
وغيره تحرك القلب ليملي على القلم ما كتب والسلام

سليم على سليم



اطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة

مكتبة فنيست العلي

نقلها عن العلامة مرتز

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

نظام البيع بالتقسيط

لماذا يجب عدم تشجيعه في مصر

كتب حضرة عباس أفندي شوقي مقالاً في السياسة الأسبوعية يجذب فيه فكرة تشجيع نظام البيع بالتقسيط في مصر على أساس أنه لو أمكن توزيع وحدات كثيرة مقابل جزء بسيط من ثمنها مع ضمان استمرار الحصول على باقي الثمن تسرب روح النشاط إلى دواليب الاتاج

فأقول اعتراض على هذا الرأي هو ضمان استمرار الحصول على باقي الثمن لأن هذا الضمان غير ميسور في هذا البلد الذي لا يقدر الشخص فيه قيمة لاسمه ولو أمكن لحل القيام بهذه العملية التي تحتاج إلى رأس مال كبير تجوز هذه المخاطرة لتهاافت الناس لاقتنائها سواء كان لهم فيها فائدة أو لم يكن

اليس من الغريب أن تعرض هذه الفكرة في بلد يتهاافت أهله على الاقتراض دون أن يفكروا في التسديد؟ فتحن في وسط يطير فيه الناس في خيال الثروة القادمة التي يتصورونها هابطة من السماء وبها يتخيلون كيف يسددون دينهم

يضاف إلى ما سبق تعذر نشوء بيوت تعمل بروس أموال كبيرة دفعة واحدة كما هو الحال في الغرب . فليس من المتيسر والحالة هذه للبيوت الموجودة أو البيوت التي تنشأ في المستقبل القريب أن تنتظر الاقساط حتى تستحق . وأكثر من هذا ليس في ميسورها إعطاء مهلة لمن اضطرت الظروف لعدم تسديد قسطاً في ميعاده لأن رأسمالها لا يسمح بذلك . وإذا مدت يدها للاقتراض فإن ارتفاع الفائدة تغل يدها أي غل

أما الاعتذار فما أكثرها عندنا وهي تبدأ حيث تنتهي وتنتهي من حيث تبتدئ .
حياتنا كلها سلسلة اعتذار مالية

وارتفاع الفائدة على الأموال ليس بانج في هذا البلد عن الطمع الأشعير كما

يحاول أن يصوره الكتب للقراء بل هو نتيجة للاخطار التي تتقاذف رأس المال المستمر وللصاريق القضائية الناتجة عن المماطلة أو محاولة التخلص من الدين بأي الطرق

أما اعتبار المبيع مؤجراً حتى يحدد ثمنه ففیه خسارة للحال ليس كنتيجة لعدم افاد ما يشتري بل لافساده من سوء الاستعمال . فلو كان أثاثاً علقت به الادراة وتهتمت أطرافه من عدم العناية أو سوء الاستعمال

حقيقة أن بعض المحال مثل سنجر مثلاً يسيرون على هذه القاعدة ولكنهم يتخذون احتياطاتهم الشديدة فيطلبون ضماناً هذا من جهة ومن جهة أخرى يبيعون بسعر يزيد كثيراً عن السعر التقدي . ثم هم أيضاً فوق ذلك يتخجون زبائنهم من بين الطالبين العديدين

ولو تطلعنا الى محل مثل سنجر لوجدناه يقوم بعملية اغراق Dumping لسوء المكينات فهو يجازف مرتكناً على قوة اسمه في اميركا

فهل يمكن اتباع هذه الطريقة هنا بلا ضمان شخصي أو ثابت ؟ اظن أن هذا ليس في حيز الامكان

وهل يمكن البيع بسعر النقد ويتكلف مصاريف قضائية وخلافه من جهة ويواجه بحقيقة مرة هي تعرض ماله للضياع من جهة أخرى كنتيجة لميل الزبائن إلى التهرب من الدفع

قرأت قريباً مقالا في إحدى المجلات الأمريكية تنحى فيه باللائمة على هذا النظام (راجع أعداد العصور حيث تجدها ملخصة) وتقول انه تسبب في انتفاخ مالي كاذب سيأتي يوم يضطر فيه كل واحد إلى تصفية مركزه . فالفرد مندفع للشراء والبائع مندفع للطلب والصانع بدوره مندفع إلى الإنتاج وكل منهم يأمل تسديد ديونه من الأقساط التي ينتظر ورودها . وبما أن الفرد قد شعر باختلال ميزانيته لعدم تبصره فهو يفتقر الفرق الناتج من زيادة المصروف عن الدخل وكله أمل في ان يوازن بينهما بعد أن يحدد ما عليه من الدين الذي يكون في البدء زهيدا ثم يتزايد

فالامير يكي في الوقت الحاضر يجهد ذاته كي يتمكن من رفع رقم ابراده كي يساوي

رقم المصروفات ولكنه يجد أن نجاحه كان جزئياً لأن رقم المصروف اخذ في
الازدياد المتتابع

لتلقى نظرة إلى الفلاح فتجده يبيع محصوله لكي يسدد ديونه بدلاً من أن ينفقه
في زراعة العام الذي هو فيه وكذلك تجد الحال مع الموظف والصانع والتاجر فمثل
المصري هو بالتقسيط كمثل الصراف الذي يقبض العهدة (أجرته) ليسدد مطلوبات
مستحقة لا أكثر ولا أقل

فهل يريد حضرة عباس افندي شوقي أن يحضر على توسيع الحرق بحجة أن في
ذلك توسيع نطاق العمل دون أن يشعر بأن في تحريضه هنا ضرر عظيم ينتج من ارتفاع
الاسعار واندفاع الناس للتظاهر بما ليس في مقدورهم التظاهر به. وهلا يجر ذلك على
الافراد أولاً وعلى الأمة ثانياً بالطبع الخراب العاجل ؟

أن أول درس يجب القاءه على هذه الأمة حثها على عدم الاندفاع للاستدانة مع
وجوب التوفير فإن كل الكوارث الاقتصادية التي تحمل بالقطر تنجت عن فكرة
التقسيط

تضيع فداين الفلاح لأنه يشتري غيرها بالتقسيط ويخسر صاحب المهارات
ماعدته لأنه يبنى بالتقسيط ولا يهأ الصانع والموظف بمرتبه لأنه يأكل بالتقسيط
ويلبس بالتقسيط وحتى سجاره وخره كلها تشتري بالتقسيط

عمر عنايت



ماذا حدث

في ولاية أركنساس

بقلم شارلس سميث

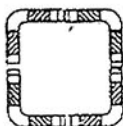
رئيس الجمعية الأميركية لنشر الاتحاد

وصلت مدينة ليتل روك (الصخرة الصغيرة) في أوائل أكتوبر الماضي ومعى سيارة محملة بالنشرات فأخذت لى دكانة فى الشارع العام لتوزيع نشراتى المعارضة لمشروع القانون المقاوم لنظرية النشوء والارتقاء . وبالرغم من انى لم اخالف قانونا ما للقى على القبض وبعد ان منعونى من الدفاع عن نفسى حكمت على المحكمة البلدية بغرامة قدرها ٢٥ دولارا (ريالاً) . لانى اكدت السلام ، وبالطبع امتنعت عن دفع الغرامة احتجاجا منى على هذا الاضطهاد وامتنعت ايضا عن الاكل وانا فى السجن مدة ١٦ يوما ولم يكفهم ذلك بل اخذوا سيارتى فصارعت لاستئناف الدعوى ونتج عن ذلك اطلاق سراحى حالا ولكنهم رفضوا رد النشرات الى قاعدت فتح الدكان ولكنهم قبضوا على ثانية بتهمة تحقير الاديان ومنعونى عن الدفاع عن ذاتى وقررت المحكمة اننى مذنب اتهمى على الدين المسيحى فحكمت على بالسجن ثلاثة اشهر وبغرامة ١٠٠ ريال فاستأنفت فاطلق سراحى بضمان قدرة ١٠٠٠ ريال وستجتمع المحكمة بعد مدة قصيرة فوسأقدم مطالباً بتعويض لاجل القبض على دون مبرر لارى كيف يكون حكم محاكم اتحاد الولايات فى مسألة اعتقال ملحد دون مبرر قانونى وهو الامر الذى تتحاشاه محاكم الولاية المتأخر اهلها ولهذا اطلق سراحى فى الدفعين . ولو حكمت المحكمة العليا لصالحى لالغى قانون معارضة حركة نشر الاتحاد ليس فى هذه الولاية فقط بل وفى خمس اخرى وعندئذ تشمل الحرية والمساواة ارجاء الجمهورية لانه من الواجب ان تساوى حقوق الافراد مهما اختلفت آراءهم. اليس من العجيب ان اركنساس (الولاية) تنكر حق الملحد فى حماية القانون له كما هو غير اميركى ؟

ان قانون الفردة ، مرفى ولاية اركنساس بثلاث اصوات ضد صوتين والمقصود من قانون الفردة ، ذلك الذى يتمتع نشر فكرة النشوء والارتقاء فى تلك الولاية . وهذا دليل على عدم وجود عقول قادرة على الفهم لتدبير هذه الولاية . ومن الغريب انه لم يعقد حتى ولا اجتماع واحد للاحتجاج على هذا القرار الحقيقى . فلما حاولت انا القيام بعملية الاحتجاج القيت فى السجن . ومن المدهش انه لم يقم ولا فرد واحد من المحبذين لفكرتى سواء داخل هذه الولاية او خارجها لمساعدنى مساعدة فعلية ولو كانوا تركبوا انكلم لكنت اثبت لهم صحة نظري وخطأهم وقد كنت اتمكن من تخليص اركنساس من السقوط فى الوهدة التى تسرع الآن فيها ولكن صبرا فالغد غير اليوم

بندلى اليولونى

ساؤ وياولو - برازيل



دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصرى بالظاهر بمصر

على استعداد كامل

لطبع الكتب عربية وافرنجية

والمجلات فى احسن ثوب مع المحافظة على المواعيد والالتقان التام

وبها جميع الاستعدادات التى تمكنها من تلبية كل الطلبات التى

تطلب منها فى اقرب وقت

سخرية الحياة

قالوا الحياة لنا وهم وسخرية
 وليس فيها سوى حس امرئ صدقاً
 ورغم تسخيرها للناس ، عابثة
 بهم ، فأولى بهم أن يتركوا القامماً
 أجدى لهم أن يعيشوا مثل ما رغبت
 وأن يذبذبا الأحران والفرقا
 تعقلت في حس مشعوف بما وهبت
 هذى الحياة ومن يرضى بها الحرقا !
 خذوا الحقيقة عني ! ما الحياة سوى
 أم لنا وأب في جنا اتسقا
 لا يعشان بنا ، كلاً ولا خدعاً
 أحلامنا أو فؤداً بالهوى خففاً
 ان الحياة مثال للسمو كما
 هي المثال لحق ينبض المثلما
 تمنى لنا فوق ما تمنى ، وغايتها
 أننا لها وبها كون بنا انطلقاً
 كون يسير لغايات الجمال بلا
 حد ، ويهزم دوماً نوره الفسقا

ولن نضيعَ بها يوماً ، فآيتها
 أنا نجددُ فيها دائماً الفأ
 في كلِّ شيءٍ ، فما معنى تخوُّفنا
 منها؟ وما الفهم في سخطِ امرئٍ حقاً؟
 وأي فلسفةٍ في أنْ نُصورها
 خصماً ، وأنا الذي من كثرها سرقاً؟
 وهي التي وهبتنا كلَّ ما ذخرتْ
 وجماتْ (نوعاً) في الدهرِ مؤثلاً
 ووحدتنا بتقديسٍ لروحها
 لكنَّه كان تقديسَ الذي عشقاً
 فكلُّ آثارها صدقٌ ، ودعوتها
 صدقٌ ، وناموسها عدلٌ بنا رفقا
 فإن قساً فهو في تأييدِ عزِّتنا
 يقو ، ونحننا خيراً به وثماً
 فلتتركِ البتَّ جهلاً عن أنانية
 إنَّ الحياةَ خلودٌ للذي اعتنقاً
 فنحن منها إذا كنَّا نحن لها
 ونحن أغرابُ عنها إنْ نلشَ فِرَقاً!



هنري برجسون

في نظر معاصريه

اعتمادنا في هذا البحث على محاضراته بلاك
شيفالين ، الاستاذ بجامعة جرينوبل ،
وانما نريد ان نعهد اليه بمعلومات عامة عن
برجسون ، لجماعة من انصار فلسفته
بمناسبة حصوله على جائزة نوبل ، للآداب

١ - ترجمة حياته

(١) ولد هنري برجسون في باريس يوم ١٨ أكتوبر سنة ١٨٥٩ وهو من
أصل يولوني تجنس بالجنسية الفرنسية بعد تخرجه من مدرسة المعلمين تلقى علومه

الأولى في ليسي كونسورسيه ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا سنة ١٨٧٣ . وكان متفوقا في علم الرياضة . ويروى أن استاذة حين علم بأنه يتبأ للدخول في القسم الأدبي قال له ، ويحك . هذا عمل جنوني ! ، وقد أرادته على ألا يتخلف عن القسم العلمي . على أنه حين صار فيلسوفا لم يترك الاشتغال بالعلوم .

وفي سنة ١٨٨١ اجيز له بتعليم الفلسفة وكانت بداية اشتغاله بالتعليم في مدرسة « دانجين » ، وفي سنة ١٨٨٣ صار استاذاً للفلسفة في مدرسة « بليز باسكال » ، ثم في مدرسة « كرمون فران » ، حيث لبث خمس سنوات . وفي سنة ١٨٨٩ عين في باريس استاذاً فجعل يعلم في كلية رولان ، ثم في مدرسة هنري الرابع . وبقي من سنة ١٨٩٧ إلى سنة ١٩٠٠ محاضرا في مدرسة المعلمين العليا التي تركها ليكون استاذاً في « الكوليج دي فرانس » . وبقي برجسون استاذاً في هذه الجامعة إلى سنة ١٩٢١ غير أنه منذ سنة ١٩١٤ طلب إلى المسير « أدوار ليروا » ان يقوم مقامه بحيث نستطيع أن نقول ان مدة تعليمه في الكوليج دي فرانس انتهت تقريباً عند بدء الحرب الكبرى . وقد رأى من واجبه في غضون تلك النكبة ان يتحدث الى أصدقائه ويحبه حسب تعبير الاستاذ جاك شيفالين فانتقل للمحاضرة في اسبانيا دفعتين متواليتين (١٩١٧ - ١٩١٨) وسافر للغرض نفسه الى الولايات المتحدة الامريكية ولما وضعت الحرب اوزارها صار من اكبر واجل « صناع » الصلح العالمي ولما ألفت عصبة الأمم لجنة للتعاون الفكري الدولي اختارت « برجسون » رئيسا لها وبقي يحتفظ بهذه الرئاسة الى سنة ١٩٢٥ .

وكان منذ سنة ١٩٠١ عضواً في ا카데미 العلوم الخلقية وانتخب عضواً في الاكاديمية الفرنسية منذ سنة ١٩١٤ حيث حل مكان « اميل اوليفيه » ، وهو حائز على وسام « اللجيون دونور » من درجة « غراند اوفيسيه » .

ويقال انه على اثر محاضرة القاها في فلسفة « الآليات » ، انتهى فجأة الى هذه الفكرة وهي ان زمن ارباب الحساب لا يراعي ذلك الزمن الداخلي او البوأم الذي هو بمنزلة الغلاف لحياتنا السيكولوجية . ولما تعمق برجسون في درس هذه الفكرة توصل منها الى طريقة فلسفية وجواب على بعض مسائل الحكمة القديمة وعلى الاخص مسألة

الحرية . وكانت النتيجة انه :صدر كتابه في الشعور بالذات سنة ١٨٨٩ .

وكان اشد ما طمح اليه برجسون في بدء حياته الفلسفية ينحصر في اعادة الانسان الى الحقيقة الروحية . وكانت مهمة عويصة تعترضها صعوبة درامية من حيث ان الانسان قد اتجه اول عهده بالحياة الى الخارج وتألفت أفكاره من تأمل الاشياء المادية كما تكونت الفاظه للاعراب عما هو ثابت جامد خارج دائرة الزمن . فكيف يتاح تصريف الحقيقة الروحية المتنيرة الشبّة الالوان بأفكار والفاظ صيغت للترجمة عن العالم الخارجي ؟

ولكن الشعر انفذ الفلسفة . فان ما تعجز الالفاظ عن الاعراب عنه يستطيع ذلك النوع من اجتماع الالفاظ والتوفيق بينها ان يلهم به ويوحيه . كذلك استطاع هنري برجسون ان يعرب عمالاً يقبل الاعراب عنه اى من تلك المعارف المباشرة التي يسطها للناس في موضوع الشعور بالذات .

وبالاختصار نقول ان برجسون هو صاحب ذلك العلم المبدع للقوالب الفكرية التي تأمل بها الكون وتفكر فيه . وهو مجهود في سبيل الرجوع الى الشعور بالذات يهتدى به الانسان الى ذاته في حالة صفائها وبراءتها وهو مجهود شعري للفكر حتى لا يكون مقيداً عاجزاً عن وسيلة للاعراب عن الحقيقة الروحية .

٢ - آراء عامة في البرجسونيسم

من الممكن أن تقارن مقام د هنري برجسون ، اليوم في الفلسفة وفي الاشتهار بمقام ابن رشد في عصره . وهذه المقارنة وإن كانت لا تخلو من شيء من الغلو إلا أنا إذا تغاضينا عن التباين بين مذهبي الفيلسوفين لاحظنا في الحال المجهود المتشابه لكل منهما في سبيل تجديد الفلسفة . أما فضيلة الابداع في باب الحكمة فلا يمكن أن تنسب إلى أحدهما دون الآخر . غير أن برجسون كان بالنسبة لعصره أقوى خلقاً . كانت فلسفة أرسطوطالية جددها ابن رشد . إلا أن الاخلاف التي جاءت من بعده أطلقت عليها اسمه فقالت فلسفة ابن رشد د افرويسم ، ولم تقل فلسفة أرسطوطاليس . وقد وقف العالم المستير حيناً من الزمن ولا يزال يستمع ويبحث ويجادل في مذهبيهما : ابن رشد وبرجسون . لقد بعدت مسافة الزمن بينهما إلا أن سلسلة تفكير الفلاسفة

المعاصرين لا تكاد تخلو من تلك الحلقة القديمة اللازمة التي يرمز إليها بلسم ابن رشد
 تقول أن هنري برجسون يكاد يكون بين فلاسفة هذا العصر — لا في فرنسا
 وحدها بل في العلم — ذاتية فلسفية ، ذات مقام خاص ، وينبغي أن تدرس على حدة .
 وألا يصدر في سبيلها حكم دون تدقيق وبحث طويل . ولعل هذا الدرس يكون
 أصعب باللغة العربية منه في لغات الغرب . لأن تأليف برجسون بجهولة لدينا ولأن
 العربية لم تألف إلى الآن هقل مذاهب الفلاسفة الغربيين . إنما نرى من الضروري
 مع ذلك تعريف القراء بفيلسوف عصري واسع الشهرة مثل برجسون الذي شغل
 الأذهان في أوروبا الآن بفلسفته . هذا إلى ترشيح فرنسا له من أجل حيازة جائزة
 نوبل ، للآداب وقد نالها . فأيد رأي المعجبين بالجزء الأدبي من فلسفته . وهو من
 أجل ما ينتجه عقل مفكر .

٣- برجسون الفيلسوف

عند ما التحق ، برجسون ، بمدرسة المعلمين العليا واختار أن يكون فيلسوفاً من
 بعد دراسة عليّة وأدبية عميقة واسعة كان التأثير الغلاب في الجامعة هو تأثير الفيلسوف
 ، فيلكس رافيسون ، الذي وصفه برجسون فقال ، إن صوته لم يكن يحمل غير صدى
 الماضي المندثر . إلا أن غيرنا كان يستمع منه كما لو كان في حلم انشودة المستقبل المفرحة .
 وفي تلك البيئة العلية التي كانت لا تزال تنفس في جو الماضي لم تكن ثمة جراءة أشد
 ولا تجديد أقوى من ، أن يقال للطبيعيين إن الجامد لا يفسر إلا بالحى وإلى علماء
 الحياة أن الحياة لا تدرك إلا بالفكر وإلى الفلاسفة أن العموميات ليست من الفلسفة
 في شيء وإلى الاساتذة أنه ينبغي تعليم الكل قبل المبادئ وإلى التلاميذ أنه يلزم
 الابتداء بالكامل وإلى الانسان الذي تهادى في حب الذات وفي الحقد أن ليس له من
 محرك طبيعي غير الجود ، (كلام برجسون) . ولم يكن من السهل تذليل العقبة التي
 تعترض ذلك الشعور بالتمشى مع الزمن في الفلسفة — الميل إلى التجديد — بالنظر إلى
 التناقض الذي كان موجوداً بين وجهتي نظر ، جول لاشليه ، ود أميل بونزو ، وكاننا
 أكبر أشياخ ، رافيسون ، . وكان كل منهما يحاول أن يترجم عن تعليم أستاذه بصورة
 واضحة مصوغة في قالب مبهم من إلهامه .

في ذلك الوقت كان المهم معرفة الموقف الذي يتفق مع الفكر تجاه العلم . هل ينبغي قبول مذهب الميكانيزم ، كاملاً على اعتبار أنه ثمرة مجهود فكري حر أو أن نقد الفيلسوف لا يجب أن يتناول جوهر ذلك العلم الوضعي من حيث كونه محتجراً عن عجلة أو في الأصل ضمن نطاق القواعد العقيم ؟ نقول إنه حين نتحت الطريق التي سلكها بيردوم ، وهنري بوانكاريه ، منذ سنة ١٨٧٤ دلت دراسة توافق نوايس الطبيعة ، عند بدء الاتصال بحقيقة الكون والتاريخ على أن مدرسة سكولاستيك ، المعارف المجردة كما حسب دين ، وتشد أنه أيد فوزها لا تتفق إلا على نيل أوشج من العلم تولد من مخيلة أديب . هنا نلن النقطة والظرف اللذين ابتدأت فيهما عبقرية برجسون تنبثق انبثاقها الباهر . وأنها لتبدولنا عند النظر إليها من ناحية تأثيرها على الروح العامحاً فاصلاً مع الاتجاه الفكري الذي قاد الرأي إليه في عهد الامبراطورية الثانية . أما من الوجهة الجوهرية العميقة فإن عبقرية برجسون تشبه أن تكون مطلع حركة لم تكن قد انقطعت كل الانقطاع بل انساباً نهائياً لذلك ، المجري غير المنظور الذي حض الفلاسفة الحديثة على أن تسمو بالروح إلى ما فوق الفكر ،

هذا إلى ما كان يعاب عليه المعجم الفلسفي وقتئذ من الفقر والنقص في الألفاظ . وقد عمل برجسون فيما بعد على سد ذلك النقص . ولم يكن استعماله للفظي السكولاستيك تارة والرومانيسم تارة أخرى ، إلا لكي ينبذهما دفعة واحدة . ومن الحق أن يقال أنه توغل على الاثر في سبيل الفلسفة الفرنسية القديمة (الكلاسيك) حيث لافرق ألبته بين التجلي الآلهي والذكا .

وإذا كانت الروح في حسابان السواد مجرد جوهر مخنف وراء ظاهراته كما يختفي الكرسي بالنظام انتظاراً للساعة الاخيرة من الحياة فتديم ظل هيكلها خارج الزمن لكي تشركه في العالم الآخر من بعد الموت — فإن الروح في مذهب برجسون — الروح البرجسونية — حقيقة روحية ذات اثر في استمرار ظاهراتها الذاتية . سارية سرياناً تاماً في شعورها بمصيرها . وهناك إلى جانب مادية الروح مادية الفكر .

ولقد سخره مالمبرش، من أولئك الدكاترة الذين زعموا انهم فسروا الطبيعة
 يافكارهم العامة المجردة كأن الطبيعة شئ، مجرد. ومثل هذا الرأي العاجز عن أبسط
 تجارب المعمل وحساب الكميات لا تكاد تتجاوز طاقته ترتيب الاشياء، انواعاً
 وتعرفها وتعيينها عند المرور بها. ولكن العلم الصحيح انما يتدنى
 عند ما يبلغ الذكاء إلى جوهر الاشياء. وعند ما يحل معقداتها وما يتصل بها من الحركات.
 ونحن اذا أردنا ان ندرك إلى أى حد كان برجسون، مبتكراً، في الفلسفة يجب أن
 تلقى نظرة إلى آراء الفلاسفة من قبله. فقد كان يسر، ديكارت، « وسبينوزا، أن
 يجعرا بانهما فعيان. والأول اعتبر الحيوان آلة ميكانيكية، لان في الإنسان الاداة
 المتحركة من تلقا ذاتها ولأنه يخلق تلك الاداة. ولقد كان من الممكن ان يحسر
 كل منهما جزء. جوهرياً من عبقريته وألا يفقه معنى القيمة التي علقها على نهضة
 الميكانيكا والطب لو أنه لم يدرك — خارج دائرة الحسة الانسانية التي كان يتنظرها
 من تلك النهضة — ان عظم نتائج العلم العقلي، راسيونيل، دليل لا يدحض على انه
 حق. أما الفلاسفة النقاد الذين تولوا في القرن التاسع عشر استخلاص الصحيح من
 الفاسد فقد صوروا العقل في صورة هزلية حين عرفوه بأنه ملصقة تصيغ الاشياء
 في صيغ عقلية خارج دائرة التجربة ونفوا أن التجربة قابلة لان تخضع لصيغ العقل.
 وأما الحكماء الكلاسيك في القرن السابع عشر فانهم بدلا من ان يعارضوا الدقة
 المتناهية للحقيقتى بأصول الوحدة المنطقية وبدلا من أن يسيئهم تخطي الذكاء متعديا
 حدود النهاى وغير المستمر لم يروا في منطق « زينون الايللى » سوى منعب وهمى
 وهرطقة خيالية. إلى آخر ما هنالك من رأى « سبينوزا » في الدوام ومذهب جماعة
 الكلاسيك في الروح البشرية — يقول إن الرجوع إلى تلك الآراء يظهر ما في
 منعب برجسون من الابتكار والخلق. فلقد انحنى بفلفته على آراء ديكارت وعلى
 الاخص في مسألة المسافة والدوام. ومن جهة أخرى فإنه لم يقتصر في كتابه « التطور
 الخالق » على تأييد أن الطبيعة منزومة وليس حب الذات من صفاتها فقط وانما تناول
 ايضاً مسألة الجاذبية العامة التي هي في أصل الغريزة. وقال بالجاذبية الفكرية التي
 تنجلي لذاتها في تكميل رأى « سبينوزا » في « الايتيك » الخاص بالشعور بالذات

الآلية عن طريق التجلي والحب . وانه يكاد يكون من الممكن وجود بقاء آخر غير بقاءنا كما أنه من الممكن ألا يكون في الدنيا لون آخر سوى البرتقالى مثلا . ورأى برجسون في هذه المسألة جديد يلهم بوجود بقاء آخر . وان الابدية انما هى ابدية حياة لا ابدية موت .

ولعل برجسون يمتاز على سائر فلاسفة العصر بعبادته للحقيقة . ومن أجل ذلك أقام أحد أساتذة الدانمرك الموازنة بينه وبين « كيركيجار » سيد حكماء الدانمرك الذي قضى الشطر الأكبر من عمره في محاربة أصحاب الذكاء الوسط من الأكليروس وبقى عدواً للكنيسة وللدن في سبيل الحقيقة . ويعتقد كيركيجار ، أن لا وجود للحقيقة في مذاهب الفلاسفة وان طرائقهم في البحث لا تؤدي إليها . ومن أجل مزايىا برجسون أنه لا يصدر حكماً إلا بعد التعمق الشديد في البحث عن الحقيقة . تعمقاً يتجاوز طاقة الذكاء . ولقد حرر برجسون الفلسفة من ميتافيزيقية الميكانيزم العلمى والديتيرمينزم وهو باكتشافه للبقاء الحقيقى غير مجرى الفلسفة . وفي الحقيقة أن مذهب « كانت » في الجامعات قد أصيب بصدمة عنيفة حين برهن برجسون على أن الزمن في مذهب الفيلسوف الالماني انما هو زمن زائل لا دوام له .

قلنا ان برجسون كمل رأى الذي ختم به « سينوزا » كتابه « الايتيك » ، في الشعور بالذات الآلية عن طريق الحب والمشاهدة فاشار الى « الجاذبية الفكرية » ، التي تتجلى بذاتها وقال « من الممكن ألا يكون هناك بقاء آخر غير بقاءنا كما انه كان من الممكن الا يكون في العالم لون آخر غير البرتقالى مثلا . الا ان الاحساس الذاتي المرتكز على قاعدة اللون الذي يتفق كل الاتفاق مع البرتقالى بدلا من ان يدركه ادراكا خارجيا يسرى فيه الحس بالبقاء بين الاحمر والاصفر بل من الممكن ايضا ان يمتد ذلك الحس الى ماتحت ذلك اللون الاخير حيث يكون ذلك الظل الذي يطيل بطبيعة الحال الامتداد اللوني الذي ينتديء من الاحمر الى الاصفر . كذلك هو شعورنا الداخلى بقاءنا بدلا من ان يجعلنا معلقين في الفراغ يقيم الاتصال بيننا وبين تسلسل من البقاء تبعه دائما سواء أ كان في هذه الدنيا ام في السماء . وفي الحالىن نستطيع ان نمجد في ذلك التسلسل من البقاء بمجهود يزداد قوة وعنفا مقدار ما يزداد ذلك البقاء امتدادا . وفي الحالة الاولى نسير الى بقاء

ينتهى بالتجانس المحض والتكرار الذى تستوضح به المادة . وفى الحالة الاخرى تتبع بقاء يمتد ويتلاحم ويتسع باستمرار وفى نهاية الابد . ليس ابد الفناء هو ابد حياة . ابدية حية ومتحركة ايضا يكون فيها بقاؤنا مثل التوجاهات فى الضوء الخ .

ولعلنا ندرك من هنا رأى مقدار ما فى الفلسفة البرجسونية من الجدة والابتكار . قامت شهرة برجسون على مذهبه فى الاحساس الذاتى السيكولوجى ونظريته الجديدة فى الحرية وفى البقاء . وفى كتابه ، المادة والذاكرة ، تناول مسألة العلاقات بين الروح والعالم الخارجى وبنى علما روحيا تحليليا لم يسبقه اليه أحد من الفلاسفة . وفى التطور الخالق ، شرح الحياة . على ان الكثير من المعجبين به لا يكاد يعرفه الا من كتيبه الصغير فى موضوع ، الضحك ، فى حين انه طبع الجيل العلمى الحاضر بطابعه . وهذا العصر الفلسفى انما هو عصر برجسون . وهو كفيلسوف ناقد جرى فى تحليله صادق النظر قد أظهر الفكر الحديث . ولكنه الى ذلك كان بانا جدد فكرة الحقيقة والمعركة حين كل الذكاء المنطقى بالاحساس الذاتى السيكولوجى - وكان منكورا - ونظرية الزمن وفكرته فى الحياة وفى الروح . ولقد بسط فلسفته فى الحياة بأبداع أسلوب وبعمق اديبة هى الباعث الجوهري على شهرته العالمية .

ولما نظر برجسون الى الحياة نفى عنها كما نفى ديكرت كل الاوهام وكل براهين المنطق المجردة . ونبه الى ان معرفة الانسان بنفسه اصعب من معرفته بالآخرين وان الانسان يجهل ذاتيته العميقة بالنظر الى اعتياده ان يجعل ذاتيته متصلة بشأبهام الذاتيات الاجتماعية كقطع العملة . وبنى على ذلك مذهبه فى الاحساس الداخلى .

والاعتماد على البصيرة فى ادراك الاشياء وفى ادراك الانسان لحقيقة نفسه عنصر جوهري فى مذهب برجسون . وانما ينبغى للانسان ان يحى اولاً لكي يستطيع ان يفهم الحياة . ومقدار ما تحب الحركة والارادة الملهمة والطموح والنهوض نزداد قرباً من مذهب برجسون

على ان لصاحب التطور الخالق ، تأثيراً آخر هو تأثيره فى الجمال الفنى لعهدنا - وهو لعمرى اقوى واشد قرباً من تأثيره فى العادات وظاهر ان هناك اتفاقاً طبيعياً

بين مذهب البقاء الحقيقي والالهام الفنى . فرجع برجسون ارباب الفنون الى المقام الاسمى وقد رأى فيهم مثال المتأزمين فى الوجود . وهونقه لم يترك الاستعانة بوسائل الالهام الذاتى التى ينطوى عليها الفن نكى يجعل آراءه محسوسة شديدة الاتصال بالشعور . ومن أجل ذلك عده كبار رجال الادب مصدر إلهام . واتفق فى عهد ازهار المدرسة الرمزية ان انهر شعراء تلك المدرسة حين تجلى لهم اتفاق المثل الاعلى الذى يتبعونه مع بعض آراء برجسون فى مذهب الاحساس الذاتى . ومنذ ذلك الوقت صار كبار المجددين يستلهمون من نظرية برجسون فى الشعور بالذات والحياة السيكلوجية وينسب اليه بعض الادباء الفضل فى تحرره فكرياً . التحرر من العبودية الفكرية التى كانت قد فرضتها مذاهب « ستوارت ميل ، و « رينان ، و « تين ، وتحمس لتلك التعليم الفلسفى الجديد الذى قام على الحق والتجربة . ولنا نذكر مع ذلك ان الكثير من بين الكتاب المحدثين لم يلفوا من الثقافة شأراً التغذية المباشرة والشخصية من آراء برجسون . وهم مع ذلك برجسونيون وان لم يتنبهوا الى ذلك . لان المذهب قد صار على ما يظهر تأثير سريانه فى الجماعة مفهوماً من كل عقل قدير على ايسر ضروب التفكير . ومامن أحد يقتنع بأن التجربة الحقيقية الوحيدة هى التجربة الشخصية لا يتردد فى وضع الصدق فى تصوير الحوادث والامور فوق كل شىء .

اما فى دائرة العلوم البحتة فان عمل البرجسونيين ابطأ واشد قبولاً للجدل . وقد كان برجسون عالماً من قبل ان يكون فيلسوفاً ورياضياً قبل ان يكون سيكلوجياً . وتألفه مبنى على المعرفة الدقيقة بكل علوم عصره . وما زالت نظراته فى الفلسفة خطراً يهدد الاخطاء التى شاع تصديقها . واذا كان برجسون قد وسع علم السيكلوجيا باعماله فان لتلك الاعمال المقام الاسمى فى نظر علماء الحياة . وبهذا الاعتبار يعد برجسون بحق استاذ التفكير والاحساس فى عصرنا . وخلص الذكاء من شوائب الافكار القديمة . مقدار ما حرر الارادة من العبودية الصناعية والشعور من الاوهام التى تجمدت . وقد ارجعنا الى الصفاء والصلق والتأكد من الحقائق . ولم يسلّم شىء . ولا انسان من تأثيره . حتى الموسيقى تعتبر فنان برجسونياً لانها اقوى الفنون إلهاماً وإيجاء مباشراً .

٤ — برجسون وعلم الحياة

في رأى للنيور، أوجينوريثانو، الاستاذ بجامعة ميلانو: ان علم الحياة مدين لبرجسون في مسألة لا تزال آراؤنا من حولها جد مختلفة . وهى تلك المسألة التى حلها بنظر صريح وبمجة قوية شأنه فى كل المسائل فقال إن الحياة سلسلة من نوع خاص « processus sui generis » متباينة بصفة جوهرية عن العالم غير العضوي الذى يحيط بها . وقد كان العصر الذى حدثه برجسون بهذا الرأى يدين فى البيولوجيا والفزيولوجيا بمذهب الميكانيزم المطلق أى بأن القوانين الطبيعية الكيماية وحدها تكفي لتفسير الطابع والميزات الاساسية للحياة وان هذه هي طريقة النظر العلمية الصحيحة وان ما عداها ليس سوى . . . محض أدب . . . وقتئذ لم يرتفع صوت برجسون ليجرد تأيد أن الحياة شئ آخر اسمى مما يجرى داخل معوجة زجاجية فى معمل وانما نجح أيضا بما أوتى من بلاغة وسحر يان فى ان يشعرنا بذلك الطبع الفريد الخاص بالحياة نفسها .

وقد عني بنظره هذا الاحساس بالذات الذى يبرى فى المادة ويتجه سواها كأن فى سيل الادراك بالبصيرة أم بالذكاء وفقا لاتباعه إلى حركته الذاتية أو إلى المادة التى يبرى فيها .

أما نظره فى ذلك « العنصر الحيوى » فأتما أراد به ضمان ثبات القلب الخاص للجمومة العضوية . هذا يرغم البواعث المتعددة التى تترقى وسطها تلك المجموعة نفسها ويرغم أن وجهة النظر الوضعية لا تستطيع أن تقبل ذلك تفسيراً للحياة ولميزاتها الاساسية . ولما كان أميز ما يمتاز به برجسون أسلوبه الشعري القوى التأثير فقد أشعر — حتى الوضعية نفسها — بأن الحياة لا تحل بسلسلة ظاهرات طبيعية كيماية . وان الطابع الخاص للحياة إنما هو شبه طابع روحى . وبالاختصار هؤل أن وجهة نظر برجسون فى الحياة ترى الى حل الخلاف القديم بين أنصار مذهب الحياة « فيتاليست » وأنصار مذهب الآلة الميكانيست ، واليهما وحدها ينب الفضل فى نشوء ذلك النظر الجديد فى حل لغز الحياة عن طريق الطاقة الحيوية

وفي رأى آخر للدكتور د. مورج ، أنه لما صدر كتاب « المادة والذاكرة » تأليف
برجسون — سنة ١٨٩٦ لم يكن بين غالبية المشتغلين بجراحة المجموعة العصبية من
يشك في الصبغة النهائية التي وصلت اليها اذذاك طرائق البحث في ذلك العالم والنورولوجيا ،
وقد كان المظنون بفضل أبحاث العلماء « هنريخ ، و د. مونك ، في ألمانيا وشاركو ،
وتلاميذه في فرنسا أن معضلة الاوضاع الخفية قد حلت نهائيا وان خريطة المخ قد
وضحت بصفة تامة ووظائف كل جزء من أجزاء المخ قد بينت . غير أن برجسون
جاء وتناول بالبحث الدقيق وبالتقد بمجموعة الملاحظات الخاصة بالنطق أى
باضطرابات اللسان المقترن بعاهات موضعية في المخ وأفضى بيحه إلى هدم النظرية
الاولى . وكان عمدته في البحث تلك العلاقات الموجودة بين الروح والجسم
ومن يدرك مقدار استسك العلماء الجراحين والمشتغلين بالمجموعة العصبية
لذلك العهد بالنظرية القديمة يقدر جراءة برجسون في هجومه على ما قدم التسليم به
كحقيقة تؤمن بها نخبة الاخصائيين في العالم بأسره . وبذلك اضاف « برجسون » صفحة
خالية الى تاريخ العلم في نهاية القرن التاسع عشر . وفي الحقيقة ان وجهة النظر التي
انتهى اليها برجسون ورأيه في أنه ليس هناك مراكز للصور في المخ صار اليوم من
الآراء المسلم بها من الاخصائيين الجدد بفضل أبحاث « بير ماري » الجراحية الباثولوجية
وأبحاث « هنري هيد ، و د. مونا كوف » . وليس معنى هذا انه لم يبق لمنهج الاوضاع
الخفية انصار . فقد نشر « هثن » (من جامعة اوبسال) على اثر الحرب جزأين كبيرين
في تأييد ذلك المذهب الذي كاد به برجسون كفاحاً كلل بالفوز

وهناك على النوام اخصائيون يبحثون في مركزية الظواهرات الروحية في هذه
الناحية او تلك من المخ . وقد وضع لنا برجسون السبب وعزاء الى ان خاصية الذكاء
انه يحجز ، الحقيقة كما يحجز ، اللسان اسطناعيا الكلمات غير أن الترقى الفني (في الطب)
دل على انه ليس هناك مباء آت ميكروسكوبية خشة على القشرة الخفية .

ويتحدثون الآن عن مختلف الطبقات التي تظهر بالميكروسكوب ويتألف منها المخ .
فقد زعم الجراح الالماني الكبير « اوسكار فوغت » (من برلين) في محاضرة نشرتها اخيرا
جريدة « البرافدا » ان البحث الميكروسكوبي لمخ « لينين » الذي تولاه بنفسه عدة سنين

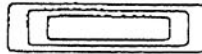
مد دل على النمو الخارق لانسجة الطبقة الثالثة من المخ وامتدادها وقال بأن لنلك علاقة بروحية « لين » Psychisme ونحن اذا سلنا بان هذه النتيجة صحيحة موضوعيا فان من الخطأ هنا عزل ظاهرة بصفة صناعية عن حالات وجودها وانه لولا عديد من العوامل الاخرى (الغذائية على الاخص) لما كان لتلك الطبقة الثالثة من المخ ذلك النمو الخارق الذى زعمه أوسكار فوغت ، لانها ليست طبقة مستقلة عن الطبقات الخمس الاخرى التى تتألف منها القشرة المخية .

وتسيطر نظرية الزمن على كل حياة النظام العصبى . ويعرف الاطباء من عهد ابقراط ان معرفة المرض ليست اهم من معرفة تطوره فى الزمن . على انهم يعدون ذلك من المسائل الاولى التى لا اهمية لها .



هذه كلمة فى غاية الاجاز عن برجسون الفيلسوف نكتفى بها الآن لى نبدأ فى المقال التالى بنقل ملخص كامل لفلسفته بالاعتماد على محاضرات الاستاذ جاك شيفاليه وموعدها العدد التالى .

عبد الحميد سالم



موسيقى شوبرت



شوبرت أخصب الموسيقيين وأغزرهم في تصوير الأدب والتعبير عنه والتفكير فيه وما دامت الموسيقى تثير في الإنسان شجوناً أنفذ من الأدب فآثره خالد . موسيقاه كأصوات الطبيعة لا أثر للجهد المصني أو لعمل المجهود فيها . إذ أسلم نفسه للملاكي الحب والجمال فأفادها عليه من وحيهما الفياض فتلاشت نفسه أمام العظمة الكونية التي خلقتها أنعامه . لم يك شوبرت من العبقرين الذين يخضعون لسيطان نبوغهم فتكبت العاطفة والغريزة الشخصية عندهم بقدر أو تفتى فلا يصبون إلا إلى العالم اللانهائي بل كان جم التمتع بكل ما في دنياه من جمال وصدقة وخبرة يقظ الشاعر

والفكر دائم اللثة الروحية دائم التصوير لضروب الحياة . فكانت كل ضروب التفكير والعاطفة لها عنده شجاءها ولذتها ومعناها الذى يتغلغل فى أنحاء النفس . فهو أقرب الشبه بكيتس (الشاعر الانجليزى الشاب) أو شكسبير فى مستهل عظمته اذ لم يك بعد إلا شاعر الاغانى (فينوس وادونيس) ومن السهل أن تجد صنوه بين الشعراء عن أن تجدله قرينا بين الموسيقيين للحرارة التى تشع فى نغمه لا عن تعمد واصطناع بل سريان عناصر الطبيعة .

بدأ عظميا مبدا . فانشودة (جرتشن أم شبراده) Gretchem am Spinnrade
(الفتاة ذات الطوق) كتبها وهو ابن السابعة عشر .

فكش كيفما شئت فانك لن تجد موضع ضعف أو اشارة شخصية فى أغانيه وان البساطة والسهولة التى يملك بهما موضعه فى سداد وتوفيق الهام يبلغانه ذروة الفن وأغاني الحب التى نظمها تقرب من روح التقديس والعبادة فهو فى عمق تفكيره وانشاده وانامه متصرف وعنده امتزج الشعر والموسيقى واقتربا فى روح واحدة اقتربا لا تنفصم عروته الوثقى وقد كان ذلك يستعصى على من قبله من كبار الموسيقيين

وفى طفولته كان شعر شيلر وجوته مضرب الامثال وأغانيهما نغمر العالم المتكلم بالالمانية . وكانت (جوفينا) مشبعا بالروح الموسيقية . وبينما كان الموسيقيون الذين سبقوه مقيدين بالشكل والاسلوب مرغمين على شي من التقليد واجود . كانت الموسيقى عند شوبرت أداة مطواعة مواتية للانفصاح عن كل ما يجيش بالنفس والتعبير عن كل ما يحول بالنفس البشرية أداة مرنة لعبوبة طروية مريحة أكثر انصاحا عند شوبرت . من اللغة ذاتها . فقد كان شوبرت يرى أن الغناء يجب أن يكون خادما للفن لا سيدة .

وكانت الاغنية بحية عنده أكثر من القطعة الموسيقية الغنائية بحيث قد تكون مقطوعاته الآلية ثانوية .

وكانت القصيدة تناولها نفسه فتحيل الالفاظ نغما شجيا ينفخ فيها من سحر نفسه فتخرج قطعة فنية ملتبة مستعرة بقوة المشاعر على قدره فى بين الاسهاب والابحار

وفي اغاني هذا الساحر يفيض الحزن الى فرح وينقلب الفرح حزنا وكل ذلك في حلاوة ولذة دون عنف أو تعسف أو اسراف . ومات شوبرت ولما يقطع مرحلته الفنية الاولى . مات صريع الحب — مات في مستهل الرجولة ونجمته متألق السني فانطفأت تلك الشعلة كالشهب دون ضعف او وهن اذ كانت آخر سنى حياته احفلها بعظائم الفن واروع البنايع ومأساته انه وثق بالعالم اكثر مما يجب لهذا العالم ان يوثق به .

فقره والمرض الذي احياه والامتحان الذي جراه فقره فبهته الى الشعور بالفاضل بين العالم المادى بفلسفته واعتداده بسلطانه وقياس قوته ضد القدر العشوم والعالم الروحي الخالد حيث لا حدود ولا كفاح ضد قضاء محترم .

مزايما موسيقاه : امتزاج الجنل والخيال وامتزاج الفكر بالمعاطفة وذبورع انتقامه لم يخرجها الى حد الابتذال في اي منها اذ هي ترديد دائم وصدى خالد لرؤيا حافلة بالشجن والخبرة السامية . وان نعمة الحنان التي تسيل بها اغانيه لى نعمة احلس وادراك عميق لمعنى الحياة . يقولون انه آله الموسيقى البحت بل ان موسيقاه خير من صورت الموت والحياة في نغم عميق ينزع جمال الموسيقى منه كل كآبة ويشذب حواشي الاحساس حتى ينساب الحزن الى فرح ويقتربنا ويمتزجا الى انشودة الحياة والاتصار انتصار الخلود والجمال وهذه روعة الفن وخلوده فالمرت عند رمز للوحدة والالتزام مع الكون لارمز للقضاء والعدم . ان خبرة شوبرت بالموت لى خبرة لى حيوى . خبرة صادقة لاشعرية فقط . اذ ماتت امه وقد ثكلت بنوها وهو صبي يحبو ولم يك ينتظر من طبيعته الباسمة المرححة ان يتجه الفكر فيها الى القبور وذكري الموت . يد انه اولى مقطوعاته لحن مأخوذ من قصيدة شيلر Leichen Fantaisie حيث صور القبور والطريق المؤدى اليها وعالم الاموات تصويرا حيا ثم لحن دلفين وهى تموت حيا . اى ان الحب والالهام عند شوبرت يقربان من الموت فهما التغي في اللانهاية وسبل الروح ثم لحن الانتظار Erwartung (عن قصيدة شيلر) حيث يصور غروب الشمس وقدم الليل . ثم تمجيد الدموع ، وآف ماريما (وداعا يا مريم) فهو قرين الشعراء وهو خالد اذ تلول بنغمه تصوير الملوك والصالحين . إن الاغانى التي نظمها جوتة ولحنها انشودة الاشباح على حافة الماء Gesang der Geister über die Wassern

تصعد بنا فوق صفاتها الغنائية الى اسمي ذروة المتعات العقلية .

حياته طفولته شعرته . وكانت له منذ حداثته مفكرة لم تتسع لتدوين شتوون الحياة اليرمية وشجونها ، انما لافكاره وتناج عقله — كان له من الصفات المحيية ما جذب اليه الاصدقاء . وفوق ذلك كانت غريزة الصداقة متأصلة عنده . وكان صديق كل شعراء فينا في ذلك العصر فكان كل مايقع عليه نظره من شعر ناقص أو الهام غير موفق التوفيق كله أو فكرة قد تكون عرجاء لم تستوعل قدميها بعد أن تصهر في بودقة نغمة الفياض وكالساحر تنصهر فتخرج سباتك من الأصوات الخالدة .

كان صديقه شور و ماير هوفر . يد أن صديقه الروحيين كانا شيلر وغوته فيما معهما وحلق في سماء الشعر الفخيم والمعنى السامى . وكلما سعد في ملكوت الفكر كلما ازداد بهما التصاقا وتماشي مع عظمة نزعتهما ، فكانت الحياة عنده كزأ من الحقائق والاختلة وصوراً دائمة التبديل من لنة الوجود ومتعة الحياة

ولد شوربرت في فينا غرة شهر فبراير سنة ١٧٩٧ وكان والده معلماً في بلدة ليوبولد شتات ومالبث ان ذاع صيته لجمال صوته فقبل طالباً في الموسيقى والغناء . في معهد الغناء الدينى الامبراطورى فبدؤوا يلقنونه مبادئ الكنجة في مدرسة المنشدين . وهنا ظهرت عبقرته فرغما من أنه لم تتح له فرصة تعليم أصول الانشاء الموسيقى كان دائم اللاب من نغمة أظفاره على تارل ورق الموسيقى الذى كان يمد به زميل قديم في المعهد الموسيقى وكتابة العلامات الموسيقية كما كان يمليه عليه خياله الخصب دون الرجوع إلى أصول موضوعه وكان يترنم بموشحاته واغانيه كلما خط منها سطوراً وذلك وهو لم يعد الثالثة عشرة بعد

وفي سنة ١٨١٣ ترك شوربرت المعهد واتقأ لشر التجيد العسكرى درس ثلاث سنين في معهد والده غير أن ذلك لم يثن عزمه على موالاة الانشاء . والتلحين فكان يلحن الأغاني والمقطوعات بسرعة معجزة فكان يتناول أشعار الأقدمين أو تلحين مهمل يطرأ على فكره فيستحيل في يديه نغما ملهما مشحونا بالشجى مفعما بالعاطفة يملأ الأذن جمالاً والقلب روعة . وفي سنة ١٨١٥ نظم مقطوعتين من نوع السيمفونى وخمسة من نوع الأوبرا ومائة وسبع وثلاثين من الأغاني (نشر منها سبعا وستين)

يبد أنه لذلك الحين لم يقدر القوم عبقريته بعد . وآية ذلك أنه لما تقدم في طلب الحصول على وظيفة حكومية كعمل في إحدى مدارس الموسيقى مرتبها يقرب من عشرين جنيهاً في العام رفض طلبه ، لعدم كفاية المؤهلات ، كما قيل في ذلك الحين . فتأمل !

وفي سنة ١٨١٨ عين معلماً للموسيقى لبنتي الكونت اشتريهاري وكان في أملاكه قد قارب العدم . غير أن ذلك لم يدينه من الثراء قيد أنملة بل ظلت حياته سلسلة شقاء وخيبة أمل وصراع عنيف مرير وظل كدوداً كدود القز دائماً ويهلك عما وسط ماهو فاسجه

ونضجت مقطوعاته مع الزمن فصارت قطعاً من النغم الخالد مسددة الإلهام محمته التصوير نحو حبات الأفنة . وكانت هموم العالم الثاني لاتتني من عزيمته كأنما كان يترنم ويلحن بالهام آلمى لا يحيد له عن السير طوع ابجائه

وكانت مقطوعاته من الوفرة بحيث سأل مرة عن ناظم أحداها خاف في الجواب . وقطعته الخالدة ، انصت — انصت الى صوت القبره (تلحين بقطعة من نظم شاكسبير) كتبت في إحدى مشارب البيرة (حداثق البيرة كما يسمونها في المانيا) على إحدى قائمة من قائمات الطعام والشراب بعد ان قرأها مرة للمرة الأولى وقد لحنت قطعتان أخريان خالدتان وهما ، من هي سلفيا ، و د هلم ملك الكروم ، في مناسبة كهنه وكان على قاب قوسين أو أدنى من الحصول على وظيفة يتبعها الثراء والشهرة وهي ترشيحه ليكون رئيساً للموسيقى في مسرح البلاط الامبراطوري في فينا وطلب منه أن ينشأ قطعة موسيقية

رأى انها فوق متناول صوت البريمادونا ، وطلب منه أن يبدلها فأبى وكان من جراء ذلك أنه فقد هذا المنصب

ولا يعبه أنه لم ينظم مقطوعات طويلة كموزات ويتهوفن اذ عبقرته تجلت في الاغاني والتواشيح

ثم انهكته الامراض بعد ان ابل المرة تلو المرة ثم لم يحتمل جسمه المضني وعقله المهلك تباريح المرض أصابه هذيان أثر عشاء في الثالث عشر من أكتوبر سنة ١٨٢٨ وتوفي بعد ذلك بأسبوع ولم يترك من المخطفات الا ما يوازي جنيهن ونصف حسب التقدير الرسمي . ودفن في أورترز فريدهوف على مقربة من يتهوفن

نهضة الترجمة والتعريب

بمناسبة صدور الطبعة الثانية من قاموس

الدكتور محمد شرف

في العلوم الطبية والطبيعية

— ١ —

تفضل الدكتور العلامة محمد شرف بأن أرسل إلى العصور مقدمة الطبعة الثانية من قاموسه المعروف . ولقد آثرنا أن لا نكتب في هذه المقدمة شيئا من عندنا بل عمدنا إلى نشرها تباعا في أعداد العصور بنصها الاصلى . فان الاطلاع على هذه المقدمة بما لا يستغنى عن مترجم أخذ في نقل علوم الغرب إلى الشرق ولما في بعض ما يعاينه مترجمو الكتب العلمية من المصاعب التي تعترضهم في ترجمة المصطلحات العلمية وتعريب أسماء الأعلام . ولا يسعنا في هذا الموطن إلا أن نهيئ بالباحثين إلى مناقشة آراء الدكتور الفاضل إذا رأوا فيها ذهب إليه رأيا يخالف آراءهم فان النقد بحك الحقيقة . والعصور ترحب بنشر كل رأي ومناقشة كل منذهب توصلا إلى الصواب في أمر تعتقد أنه من أقوى الاسس التي سوف تقوم عليها نهضتنا الحديثة .

مقدمة الطبعة الثانية

الغرض من تأليف هذا المعجم .

(أولا) تعريف الناطقين بالعربية بالمفردات القديمة والمستحدثة والاصطلاحات الحديثه في الطب والطبيعيات وما اتصل اليها من فنون وعلوم

(ثانيا) نقل الاوضاع التي يكون لساننا خلواً منها أو لا مقابل ولا مرادف لها فيه لافتقارنا اليها ، وإيراد أوضاع عربية طريفة تؤدبها أو الباسها حلة عربية فتتسع بذلك اللغة وتتوافر فيها الوسائل التي تنسجى بها مع ما تتطلبه سرعة التقدم في هذا العصر ويسهل علينا الاحتذاء بالأمم العربية ومجاراتها في التقدم والحضارة.

(ثالثا) استيعاب أكثر الالفاظ العامية ، واستجلاء غوامضها وكشف حقائقها في كتاب واحد ، يكون سراجاً يهتدى بنوره الطلاب ودليلاً يركن اليه العلماء ، وسفراً جامعاً لما يخفف به عنهم ما يلاقونه من العي في التعبير إنما لعدم وقوفهم على الألفاظ العربية ، وإما لعود اللغة الفصحى عن متابعتهم عن مجارة العصر الحاضر بالتأدية الحسنة والتميز الدقيق ، ولينذركم بما ينبغي أن يذكروه ويوجد لهم ماضع مما يجب أن يحفظوه وغير ذلك مما يؤيد الذين درسوا هذه العلوم باللغات الفرنسية في معرفتهم بها ويؤمنهم بها ويمنعهم من الأسترسال في تشويه اللغة العدنانية بالاكثر من ادخال الالفاظ الاعجمية على حالها ، واستعمالها في التأليف والتعريب ، أو تداولها في المحادثات ، لان في العربية من الالفاظ والمعيدات وصنع الاشتقاق وأسرار الوضع ما يكفيهم مؤونة الاستعارة من غيرها في أكثر المواضع .

(رابعا) إصلاح النقص البين في معاجم العربية ودواوينها ، لانها لا تحتوى الا الالفاظ الفصحى القديمة دون المستحدثة أو التي عُرِّبَتْ منذ وضع هذه المعجم ، ولان فيها ألفاظا كثيرة مبهمه أو غير صريحة التأدية وألفاظا مصحفة غلبت معناها وألفاظا ميجورة أو ميتة وماهى كذلك

بل يجدر بها بعثها وإذاعتها، وأخرى تغيرت معانيها المشروحة بتغير
الزمن أو الأصقاع أو ضاقت بالمعاني الحديثة بفعل الحضارة، ولأن فيها
أسماء كأسماء الحيوانات والنباتات لم تعين ولم تحل واكتفى بوصفها
هذا نبات وهذا حيوان وهذه دَوَابَّة، ولأن الالتناظ العلمية في العربية
تفتقر إلى التحرير والتخليص وتحديد ما يقابها الآن في اللغات الفرنسية
لما أصابها من تزيير المدلول وإرادتها بتوالي المصور حتى يهتدى الكاتب
المدقق إلى استعمالها في مواضعها الصحيحة بدون خلط أو لبس وتم
الفائدة من التأليف والتعريب الحديث .

وقد أسلفنا القول إجمالاً في مقدمة الطبعة الأولى على ما في استيعاب
هذه الأغراض يحملتها من الجهد والتعب وما يقتضيه من الكفاية وسعة
العلم بلغات فرنسية والإحاطة بالعربية وبذل الجهد وتوفير المهمة، وأمنت
إلى ما قلست به من أهوال عموماً طويلاً أبحث وأتقّب العُزُر على صحيح
الالفاظ والمفردات فيما ظفرت به من مخطوطات أو مطبوعات عربية أو
فرنسية وما استوعبته من عشرات المعاجم ومئات التكتيبات والجلات
ذكرت القليل منها في قائمة الاسانيد ولم أذكر أكثرها لضيق المقام .
ولقد استنفذت جهدي مثولاً بالنهار ساهراً أكثر الليل في المراجعة
والتحجيس مجداً في التحقق من موافقة الالفاظ والامتها من التحريف
والتصحيف والزيادة والنقص والإبانة عن المدنى بالفاظ مناسبة ووضع
الأوضاع الجديدة بالصيغ التي ترجع إلى أئمة علماء اللغة، وضخمت بما
ضخيته من صحي ومالى في سبيل انجاح هذا العمل ولم تعز علي أية تخجية
في خدمة لساننا الشريف، وهان علي كل تقاض في ارضاء نفسي ورفعة

بلادى . غير أن الحظ العاثر لم يشأ أن يغفل عنى الحسد وذوود من
 مواطنى ، اذ سمعت بما تواتر فى مجالس بعض المتطفلين على العلم والادب
 من أنهم أقصوا من شأن عملى وجهدى ووصفوه بمجرد الجمع أو النقل
 عن السلف مع أنك لو أخذت المعجم وتصفحت آية صفحة شئت منه
 ثم انتقلت الى معجم آخر لتبين لك أنه عمل انتاجى فريد فى نوعه . وقد
 عجب بعضهم من أن الوقت الذى ذكرته وحددته بستة أعوام لا يكاد
 يكون كافيا لإخراج معجم بهذا الحجم ، ونسى أن هذا الزمن كان
 ما أنفقته فى المراجعة والنسخ والاعادة والطبع . ومع كل فقد نال المعجم
 الحظوة عند الكثيرين وتبوأ منذ ظهوره مكانا عليا فى عالم العلم واللغة
 وإن ينال حسادى بكلامهم أو سعيهم منى غرضا ، ولن أعبأ بما قالوا
 لتجرده من الدليل والبرهان فضلا عن عدم خلوه من الغرض

غير أن بعضا من المريدين والاصدقاء من أهل الادب والبيان ومن
 رجال الطب والعلم أخص منهم بالذكر المرحوم الدكتور صروف
 والدكتور أباشادى قالوا انى صدرت الطبعة الاولى بمقدمة وجيزة لم أبين
 فيها ما حدا بى الى وضع هذا المعجم وكيف بدىء والإلم نحى ، وكيف
 أتمته كتابا تسام فيه هذه العلوم الكبيرة الواسعة وخدى . وطلبوا
 الى ان أنصف نفسى وأكتب فى الطبعة الثانية تاريخا لملى أين فيه
 الطريقة العامة التى اتبعتها فى تأليف المعجم بيتا وافيا حتى يسقط عنى
 الاعتراض على من الذين لا يرون اعلمته وما الغرض منه ولا يجدون
 ما يحتاج به على . وأن أدلى للعالم العربى بدم الصنعة لظهور مناحى اطلاعى
 اللغوى والعلمى وذوقى فى اختيار الكلمات وتقددها واشتقاقها والسبب فى

اجازة هذا وإهمال ذلك وإيثار هذه على تلك حتى لا يكون مكان من اللغة
مجهولاً من بعض القراء وأن أشرح الصعاب الجملة التي يعانها مؤلف
المعجم وكيفية التغلب عليها مع ابتداء رأيي في مبلغ ثروتنا اللغوية العلمية
وقابليتها للنمو ومجارات اللغات الفرنجية الحية وما يجب أن يكون عليه
الاسلوب في الترجمة والتعريب والمقابلة بين الاصيل والدخيل وما بين لغة
الترجمات والمؤلفات الطيبة والطبيعية القديمة ولغة نظائرها الحاضرة قبل
شروع الطبعة الاولى في الايدى ، والمرقبة بعد المؤازرة التي يقدمها هذا
المعجم لرجال التأليف والترجمة إذ جعل من اللغة العربية الفصحى ثراباً
سائغاً في تناول الجميع . وبالاختصار ألحوا علىّ في أن أكتب لهذه
الطبعة مقدمة مسهبة تروى غلة الصادى الى معرفة جميع التفاصيل المهمة
المرتبطة بتأليف هذا المعجم وآراء صاحبه اللغوية العلمية حتى يكون من
هذا البيان الجامع هدى كافٍ ودرس وافٍ لانصار العلم واللغة ولأصحاب
التأليف ورجال النقد . وزادوا على ذلك قولهم إن الكتاب سيقع في
أيدي مستحسن وغير مستحسن له وأن ليس في وسع كل انسان أن
يستدل من هذا البناء الشائخ - خصوصاً وأنه لم يصدر بالتصدير الوافى -
على الأدوات والطرق التي اتخذت في اتمامه . ومن هو أولى من الرأى
في شرح أساليب بنائه ، أو أحق من المؤلف في بيان صورة نفسه بما يد
به أفواه المبتدئين ويضرب به على أيدي الحاسدين العاشرين ، فالى
بالقارى البيان : -

بيان الطريقة العامة في التأليف

منذ أخذت في ترويض نفسى بقراءة الكتب العلمية كنت

مشغولاً بمعرفة ما يقابل أوضاعها في العربية ، وقد هجمت بفكرى على ما وعيته منها وتصورت وجوه جملها وتفاسيها ، وأخذت في البحث عن مستودعها . وكان لابد لي من تقييد أوابد العربية تقييداً صحيحاً ، وإحياء آثار أساطين السلف من أبنائها ، والتي كادت تزول من الوجود بالترك أو النسيان ، كما كان لابد من تعرف المعاني الحقيقية للألفاظ وتصحيحها وإخراجها على وجهها الصحيح . ولما رأيت أني متسع وجدت أن لابد من وضع ألفاظ حديثة أو اشتقاق كلمات مأنوسة الصوغ اتخذها من نفس لغتنا العربية وأتحنى فيها انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه ، أو استعارة ألفاظ من اللغات الفارسية أو الغرية للدلالة بها على المدلولات التي لم يعرفها أسلافنا خلوةً زمنهم منها ونصطلح عليها اصطلاحاً . وكان لابد من اتخاذ طريقة قويمه وتقرى منهج واحد أراعيه ، واتباع نسق واحد ألاحظه لتصوير الألفاظ والأعلام الفرنجية بالحروف العربية . وكان لابد لي أيضاً من اتخاذ أحدث الطرق للتقييد وتسهيل المراجعة ، ومنع اتخاذ وضع واحد للدلالة على ألفاظ أو معانٍ مختلفة ، ولمنع إعادة النسخ أثناء الترتيب الختامي للمعجم

أقبلتُ على الاضطلاع بذلك وتعمّدت به في صيف سنة ١٩١٢ ميلادية وأنا مقيم بلندن . فسكنت أتصفح كل ما ظفرت به من كتب أو مجلات عربية أو انجليزية في حوزتي . أو سهل الاطلاع عليها من خزائن دار التحف البريطانية ، وأستقي موارد من كل صوب ، وأقتطف الآثار من كل مؤلف يرجى منه أن يساعدني على حسن اداء عملي ، ولما لم يعد الاستظهار كافياً . لجأتُ الى التدوين وتقييد كل ما وقع اليّ

في دفاثر جعلتها أئمة ، ورتبتها على أحسن ترتيب بحيث يتيسر الهجوم على طلبتي موضوعة موضعاً حسناً وسهلاً بدون احتياج الى كبير عناء ، ولما اكثرت من المطالعة وجأت في ميدان المراجعة ، أستجمع المفردات والمعاني المشتتة ، واتسعت أمامي دائرة البحث وكثر ما اجتمع لدي ، عزمت على تصنيف معجم ، ولكن تجلت أمامي صعوبة ما تصديت له ووعورة المسلك الذي سلكته وطوله . غير أني كلفتُ بذلك كلفاً ولم يتخلل اقبالى عليه فتور أو اقطاع إلا في الاقاوت التي كانت مذاكرة العلوم الطبية البحتة تحول دون قراءة ماعداها .

وبعد التشاور انتهيت في ختام سنة ١٩١٤ الى اقتباس طريقة شنون (Shanon) من الطرق الحديثة لتنظيم القيسد والمراجعة وتوفير الزمن والجهود ، وأخذت في تقييد كل لفظ أو مفرد عربي على تذكرة خاصة وامامه ما يقابله بالانجليزية او اللاتينية او الفرنسية . وكنت كلما طالعت كتاباً او ديواناً او معجماً من معاجم العربية المختلفة المؤلفة قديماً او حديثاً استخرجت منه المفردات والألفاظ المطلوبة ، مثبتاً أمام كل لفظ مرجعه وأسانيده ومواضع نقله ومواطن أخذه بالأرقام والاختارات احتياطاً للدقة العلمية واستظهاراً على كل معترض .

ولما استنفدت قراءة دواوين اللغة والشعر والمعاجم والموسوعات العربية ، وأخذت بُغيثي مما عرّب أو ألف في علوم الطب والطبيعات قديماً وحديثاً ، ولم يبق بين كتب الادب والشعر والعلوم مما تتناوله الايدي أو كان مكنوزاً في الخزائن العمومية الا واجأت فيه نظري ، تجمّع لدي زهاء ٤٥٠٠٠ تذكرة بدأت في ترتيبها على حروف المعجم

الأجنبية واضعاً كل حرف في صندوق خاص مرفوق به . وأخذت في الاستمرار على هويّتي وملهماتي ، أقضى بها جميع أوقات العطلة والفراغ وأعمل على إحسانها في صمت واحشام . واستمعت بكاتين للنسخ على الآلة الكاتبة ومراعاة الترتيب الهجائي

وإذا علمت أن ما بذلته من الجهد ، وكيف كنت مكباً على عملي لأفارقة ، ناسياً في خدمته الشهوات ، حريصاً على ادخار كل من يعاونني وتدوينه أولاً بأول ، ثم مبلغ جهدي في ضبط الالفاظ والمفردات والنظر في كل كلمة من كلمة حتى إذا رأيت مفرداً أو معنى ناقصاً أو مفقوداً ظلت أبحث عنه حتى أجده وألتمسه من مظانه

إذا علمت ذلك فانك تقدّر مبلغ العناء الشديد الذي كابדתه . ولم رثي لحالي أصدقائي إذ كان غرامى به يستسهل كل صعب في سبيله ، وما كنت أضنُّ بأى مجهود أو وقت في حن أدائه فكنت أسهر أجفاني في قراءة كل ما عرفت أنه يفيدني في سبيل هذه الأمانة العلمية كما كنت أجمع أشات الكتب المختلفة لأنظر فيها والوقوف على أسرار ما جاءت به . وإذا وجدت الكتاب المختص مصنفًا بلغة لا لأعرفها فاني كنت أنستعين بمن يترجمه لي . فكنت أقرأ كتب الفقه الاسلامي والحديث الشريف لاختيار أحسن الالفاظ المتعلقة بالنظ الشرعية وبالحمل والظهور الخ وكنت أقرأ كتب الكلام وشرح الحكمة وهداية الحكمة وشرح المواقف وكليات أبي البقاء وكتب المتصوفين كالغزالي والخلاج وغيرهما وكتب ابن حزم الاندلسي لاختيار الاوضاع والمعاني المتعلقة بعلم النفس ، وكتبا كثيرة منها « خلق الانسان » للأصمعي

للاسترشاد في وضع ألفاظ التشريح ، كما كنت أقرأ كتباً للبديع
والعروض طمعا في إيجاد معنى أو لفظ^(١) كما كنت أقرأ رجلا بأكثرها
لخلف الرجال ورواد آسيا وإفريقية من أمثال Heuglin^(٢) Butron
Schweinfürth و Bruce و Shaw و Hemprich و Klunzinger وابن بطوطة^(٣)
أو عبد اللطيف البغدادي للتحقق من الفاظ موضوعية لم ترد في أي معجم
من معاجم العربية ، أو لمعرفة أسماء النباتات والاسماك والطيور
والحيات والحشرات الخ . كما كنت أقرأ كتباً لهُواة الصيد
مثل (Sluce) وغيره وكتب دور التحف الزولوجية وكتب
Rowland Wards' Records of Big Game. للتحري عن أسماء الوحوش
والسباع .

كما كنت أقرأ كتباً في الصيد والقتل مع الشاه أكبر وتعمورلنك
للتحري عن أسماء حيوانات الهند وآسيا الوسطى . وأقرأ كتباً في التاريخ
والجغرافية الخاصة بكل صقع شرقى لأستمد منها أسماء الحيوانات

(١) لا اختيار الا كفاء لمقابلة (Rhotacism) وهي أن يصير الراء لاما
أو حرفاً آخر من حروف الهجاء . والا كفاء في الشعر قلب حرف الروى من
راء الى لام أو لام الى ميم . واختيار الدغر (Kleptomania) من كلام الامام على
(٢) فمثلاً أعرف حروف البحر (Manatus) أو فارة البوص
(Aulacaudus Swinderianus) أو أسماء نباتات كثيرة الا من رحلة
شوينفورت (Heart of Africa) ولا كثيراً من أسماء البحر الاحمر الا من
كلونز نجر

(٣) ولم أجد القمز مذكورا بالعربية الا في رحلة ابن بطوطة لما شربه في القوقاز

والحشرات والنباتات مثل مؤلفات البيروني وابن الأثير وابن خلدون.
 ووصف مصر للبعثة الفرنسية وكتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر.
 لشمس الدين الدمشقي والقزويني وياقوت الحموي وأمثال كتب Blamfrod
 في الحيوانات الهندية وحيوانات إيران . ولم اجتمع بمختص في فرع
 من الفروع التي يتصدى لها المعجم إلا وكشفته بعلمي واستفهمت منه
 عما لم أحسن معرفته . فكنت مثلاً أسأل بعض أمراء مصر المولعين
 بالتصغر والمتصاين بالبدو عن مختلف أسماء الصقور والعقبان وتحرى
 أوصافها المذكورة في الكتب العلمية الحديثة بمعاونتهم . وبالاختصار
 لم أهمل فرصة سبحت فيها حطمت يلد من البلاد التي كان من حسن
 توفيق التمكن من زيارتها والتجوال فيها ، التفتت كتباً شتى وألفاظاً
 مختلفة ، وتوخيت الاستفادة من أهلها ، كما كنت أسأل المختصين في
 علم طبقات الأرض عن أسماء المعادن والأحجار أثناء تجوالنا في الصحارى
 الخ . وكانت بعض أصول المعجم رفيقا ملازماً لي حيثما انتقلت ، وكنت
 في جميع أسفاري أتنزه الخلوة للتأليف ، وأجمع بين التطواف والاستفادة
 العلمية ، وأعيد فيما قيده نظروا التهذيب والإصلاح . ومن تأمل في
 الأسانيد المذكورة بين أقواس بعداً أكثر الألفاظ ورأى أنني استشهدت
 بمختلف العلماء من فقهاء في اللغة إلى حكماء إلى أطباء إلى طبائعيين إلى رؤاد
 إلى مؤرخين إلى شعراء إلى أمراء إلى غيرهم لتبيين الجهد والدقة التي
 تطالبها القيام بهذا العمل الفادح . فكم أنفقت فيه من أوقاتي واستنزفت
 من عافيتي ومالي في معاناة تأليفه ، وفي المخابرة بين الأقوال المختلفة وتخير
 الصحيح من الموهوم . ولكن مما هوّن على التعب وشقّ النفس وساعد

على عدم تدرب الملل والتقنوط الى نفسى ، لكثرة ما يستنزمه هذا العمل من الجهد والنفقات فى اقتناء كتب نادرة واستئجار كتبه ، التشويق لقراءة مختلف الكتب العلمية والتاريخية وكتب الاسفار والارتياذ ، وأنى كلما أعمست فى المطالعة وزدت غوراً فى قراءة العربية زاد اعجابى بها لما فيها من الثروة اللفظية وقابليتها للنمو المستمر ولما فيها من البلاغة والعمانى الباهرة ، وكلما ازدادت معرفتى بكلام العرب وادواكى إحسن بيانه جرى فى جسمي مجرى السحر ، وذلك ما رغبتى فى استيعاب أكثر دواوين الشعر وكتب اللغة التى كتبت فى موضوعات مخصوصة من أمثال :

- (١) كتاب خلق الانسان وكتاب النبات وكتاب النخل والكرم وكتاب الوحوش وكتاب الخيل وكتاب النعائم للأصمعي وكتاب اللبأ واللبن وكتاب المطر لأبى زيد سعيد ابن أوس الأنصارى وسر العربية للثعالبي .
- (٢) كتاب الشجر لأبى عبد الله الحسين بن خالويه الهمداني .
- (٣) حياة الحيوان الكبرى للامام العلامة والحبر الفهامة للشيخ محمد الدميرى .

- (٤) طبائع الحيوان تعريب أحمد فارس الشدياق طبع مالطة .
- (٥) الحيوان لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى .
- (٦) كتاب التعريفات للعلامة السيد شريف الجرجاني .
- (٧) كتاب الآلات والحيل لهيرون والآلات المفرغة الهوائى لفيلون البيزنطى .

(٨) مجلة لغة العرب للكرملى ونجمة الرائد لليازجى والطبيب.

والبيان والضياء ومجلة المجمع العلمي العربى الدمشقى .

(٩) مفاتيح العلوم تأليف محمد بن احمد بن يوسف الخوارمى طبع لندن

(١٠) الكشاف للتهانوى طبع الجمعية الآسوية الهندية بقاليقوط

(كلكتا) .

(١١) شرح إشارات ابن سينا للرازى والمنصورى فى الطب لمحمد بن

زكريا الرازى ورسائل ابن سينا طبع لندن .

(١٢) أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار للتيفاشى .

(١٣) كتاب المختار فى الطب تصنيف الإمام شمس الدين بن هبل

(١٤) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .

(١٥) كتاب الحشائش لديسقوريدس اليونانى تعريب اصطفى

واصلاح حنين بن اسحاق - صورة شمسية

تفضل باعارتى إياها العلامة احمد تيمور باشا الخ وغير ذلك مما

نذكره للتدليل .

ولم أزل كذلك ولم ينصرف عن هذا العمل شوقى حتى تجمع لى

أكثر من ٧٠٠٠٠ لفظ . وانتهيت من تأليفه فى عام ١٩٢٣ واستغرق

طبعه لأول مرة ثلاثة أعوام تقريباً .

وقد بذلت المستطاع فى أن يكون المعجم كاملاً وافياً بمحكم التعريب

خليئاً من شوائب اللسكنة وسليماً من التحريف والتصحيف ومستجباً

أيضاً الشروط الآتية :

(١) أن تكون الألفاظ العربية المختارة صحيحة الأصل قوية المنشأ

ومن أحسن ما يمكن إirاده لمقابلة الالفاظ الفرنجية .

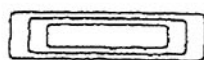
(٢) أن يكون مقابـل اللفظة الفرنجية بقدر المستطاع لفظة عربية واحدة بسيطة بحيث لو احتاج الكاتب الى أن ينسب اليها أو يضيف اليها لفظاً أو أكثر يسهل عليه ذلك .

(٣) أن تقيـد الالفاظ المختارة المعاني المطلوبة بأقل ما يكون من الوقت والكلفة أو بمجرد سماعها أو قراءتها ، بدون إجهاد الفكر وإسراف القوة العصبية لتفهمها ، مع ذكر الفوارق بين المترادفات وأشباه المترادفات وتخصيصها وعدم الضن على الالفاظ الفرنجية أو العربية بالمعاني المختلفة التي تؤديها (٤) النحو في الوضع والاشتقاق مناحي العرب فلا تخالف المنصوص المقيس على المنصوص والمسموع من أولى العلم ولا تخالف القواعد التي جاء بها الذين هداهم الله لعلوم اللغه

(٥) تحير الالفاظ السهلة المأخذ والتلقي ، وإيثار العذب المستمع على المستقل ، وتفضيل ما كان موافقاً للذوق العصري المصقول ، ورفض استعمال ما شنع تألفه ، والافلال مما طال وأمل بكثرة حروفه الخلفية الثقيلة أو تطلب الكلفة بالنطق به

(٦) ان تكون المعاني صحيحة والالفاظ المختارة مخصصة على المراد منها بحيث تكون كالسمة المميزة للموسوم أو الرسم المختار للمرسوم والحد المميز للمحدود ، لان الالفاظ للمعاني ازمة وعليها ادلة وان تكون اسماء النبات والحيوان والمعادن مطابقة تمام المطابقة للتسمية العلمية الحديثة مع بيان الفروق متى وجدت بين التسمية الحديثة والقديمة وذلك منعا لفقد الاتصال بالمؤلفات العربية القديمة

- (٧) ضبط الالفاظ بالشكل حرصا على سلامة اللغة وحتى لا يُفلق
على القارئ فهمها
- (٨) ان أخطأ لي طريقة قوية تُتبع لتصوير الكلمات المعربة
والاعلام الفرنسية بالحروف العربية.



الشفق الباكي

نظم من شؤون وعواطف

بفلم

الدكتور أحمد زكي أبي شادي

يقع هذا الديوان الكبير في ١٣٣٥ صفحة من القطع المتوسط مطبوعا على ورق
صقيل مشكولا شكلا حسنا .

والدكتور أبي شادي غني عن التعريف . وقد أودع هذا الشعر كل الصور التي
استحالت لها نفسه . فاطلبه من جميع المكاتب ومن المكتبة السلفية بمصر

افطع جرائم القرن التاسع عشر ٤ - سر المقلصة

حول الساعة السابعة من مساء يوم ٥ يونيه سنة ١٨٦٤ دخل خدام المسبوقه مدير سجن « لاروكيت » يخبره أن زائراً يريد التحدث اليه ، ولم يكن الزائر سوى « الفريد لويس فلبو » أشهر الجراحين الفرنسيين في عصره ، وقد تقدم الى مدير السجن يحمل أمراً من وزير الداخلية يقضى بالسماح له بزيارة زميله الدكتور ادموند دلا بومراى الذى كان ينتظر في السجن تنفيذ حكم صادر عليه بالاعدام ، فصار الاثنان - مدير السجن والزائر - نحو غرفة المحكوم عليه بين قفقه أسلحة الحرس وقرقه أخذتهم ؛ وماهى إلا أن فتح باب الغرفة بإشارة من المدير الذى لم يلبث بعدها ان انصرف متبوعاً بحرسه تاركين الزائر ومضيفه وحدهما

وقد يكون من الصعب العثور على اجتماع للضدين مثل هذا الاجتماع الذى نحن بصدد منه ، فقد كان لويس فلبو أشهر جراح فى العالم دأب على السعي فى تخفيف آلامه ؛ أبوه يطار نكرة فى إحدى قرى الريف ؛ وهو (الجراح) الآن فى الستين من عمره ؛ وكان وجهه المجد الذى يفيض حناناً ، وشعره الأشهب ، وثيابه العادية غير المتكلفة لا تفرق بينه وبين أى رجل من رجال الاعمال . فلم يكن أحد ليحس بوجوده إلا حين يتكلم ؛ وحينئذ يعرف سامعه أنه فى حضرة نابعة ؛ وأظهر ما كانت تنجلي مواهبه حين كانت عيناه الغائرتان تشعان بضوء البحث والتقيب ، فكان يخيل للناظر اليه فى تلك الاوقات كأنه ينتزع بعينه آلام البشر من بين حنايا ضلوعهم أما جميع عارفى الدكتور دى لا بومراى فتفقون على أن ملاح وجهه لم تكن لنبي عن شئ من ذلك ، وبالرغم من أنه كان شاباً وسيم الطلعة للغاية فقد كان الرجال يباعدون عن عشرته ؛ ولكنه من الجانب الآخر كان محبوباً إلى مدى بعيد عند طائفة كبيرة من الجنس اللطيف ، وزملائه الاطباء ما كانوا ينكرون عليه مقدرته النسبية من الوجهة الفنية ، ولكنهم كانوا مقتنعين بأن تلك المقدرة لم تكن بقدر ادعاءات صاحبها ومزاعمه ؛ وأن المسكنة التى بلغها لم تأت عن طريق نزله العلية بقدر ما جاءته من البيئة

الاجتماعية التي يعيش في كنفها ؛ والحق أن هذه البيئة هي التي هيأت له أسباب النجاح في عقد زواج موفق حيث اقترن بالآنسة دوبيزي ، إذ هي فتاة فتاة ؛ من أرقى الطبقات وأرفعها ابنة طبيب ثرى ، مات عن زوجها وابنتها ، وقد تم الزواج بغير رضا الارملة التي كانت لاتطمئن مطلقا إلى صهرها قبل زواجه من ابنتها ، وقد أيد هذا الزواج شكوكها فيه ، على أن ، البوطة ، ومقدارها ٦٠٠٠ جنيه (وهي كثيرة مطمعة حتى في هذه الايام) كانت مقيدة بحيث لا يستطيع الزوج معها بأى حال ، وعلى ذلك لم يتقدم دلابومراى أية خطوة الى الامام من الناحية المالية ، وظل مضطرا لمواالة مضارباته المالية في البورصة ؛ غارقا في لجنة من الأسهم والسندات لا يعرف مداها الى ان ابتلعت ثروته وقضت على سمعته ، ولم يمض شهران على الزواج - وكانت الارملة ، الخجاء ، ماتت الى ذلك الوقت في صحة جيدة - حتى اصيبت بقرع عقب تناولها الغداء في بيت صهرها ؛ ولم يستطع الطيبان اللذان دعيا في ساعتها تشخيص العوارض التي اصابتها ؛ ثم يشر صهرها علاجها ففقدت الحياة في صبيحة اليوم التالى وقرردى لابلومراى أنها أصيبت بالكوليرا ، وعقب وفاتها وضع دى لابلومراى يده على جميع ممتلكاتها الشخصية التي كانت تقدر بنحو ألفي جنيه ورفض أن يدلي بأى بيان عما آلت اليه تلك الممتلكات على اعتبار أنها ميراث خالص لزوجته التي هي الابنة والوارثة الوحيدة للوفاة التي لم توجد لها وصية

ومن الغريب حقاً - رغم الاشاعات التي تداولتها الألسنة عن موت تلك البدة ورغم سواد صحيفة دي لابلومراى الموجودة لدى البوليس - أنه لم يقبض عليه ولا وجهت اليه أية تهمة من أى نوع في هذه الحادثة حيث كانت السلطات تتجنب مسؤولية القاء القبض على طبيب على جانب من الشهرة الفنية لاسيما وهو من افراد المجتمع الراقى ويجب ان لا يفوت القارىء ان لفظة ، المجتمع الراقى ، كانت وما تزال عبارة مطاطة ليس من السهل تحديد مرادفها حتى ولو كانت تؤدي الى عكس معناها للظاهر بل والصحيح

انقضت ستان على دى لابلومراى وهو يحاول تحيين مركزه الفنى والاجتماعى ؛ ليس من طريق جهوده الشخصية الفنية ، وإنما من طريق المظاهر ومعيشة البذخ واقامة

الحفلات الضخمة وغير ذلك. ومن الطبيعي ان موارد ما كانت تسمح له باحتفال تلك المظاهر لا سيما وأن عقد زواجه صريح في أن دويلة زوجه لا يمكن معها أبى حال ، حتى ولا باذن وأمر منها ، أذ هي نفسها كانت محرومة من التصرف فيما عدا ريعها وهو الفائدة السنوية من البنك التي هي مودعة فيه بإشراف مسجل العقود . كذلك لم يكن موت زوجته ليفيده شيئاً . . على أنه لو فرض وكان موتها يعود عليه بفائدة فن العدل أن نذكر أن حياتها كانت ثمينة لديه إلى حد كاف ليقفه عن السعي للاستفادة من طريق القضاء عليها ؛ لأن هذا الطبيب القاسى القلب الذي لم يكن ينظر في حياته الى النساء الا مثلاً ينظر لقطرة يعبر عليها لغايته كان يحب زوجته ، وبلغ به حبها إلى حد أنه قطع علاقته مع المرأة التي كان يقيم معها إلى ما قبل ليلة عرسه وذلك رغم التوسلات الحارة التي كانت تلك المرأة لا تفتأ توجهها اليه ليليل نهار بمختلف الاساليب والوسائط ، فرفض حتى أن يعود ابنها في مرضه حتى يتفادى الرثاء لها اذا ما رآها في حالتها المضنية بعد هجره لما بنى ما سبب الا زواجه !!

ولكن يوم رأى بعد سنتين من زواجه — بالرغم من أنه كان سعيداً في حياته المنزلية — شعر بضائقة مالية شديدة . . . بل انك لو بحثت عن الحقيقة لابعاك معرفة المصادر التي جاء منها ذلك الرجل بالاموال التي أنفقها في ثألك السنتين : ولعلك تحس أنه كان يبحث خلالها عن ضحية أخرى فضلاً على حياته . . على أنى سار وى لك حادث تم اعرض عليك اقتراحا سوف تبين أنه لم يقم عليه دليل لاني ما كنت ولا فيما عرف بالتحقيق من تاريخ حياته . وانما أكاد أؤمن بصدق حذري في هذه المسألة حتى لا تؤكد لك وجوب وقوعها

ذلك اني كنت أقيم في باريس بين سنتي ١٨٥٩ و ١٨٦٤ حيث كنت اتخصص في دراسة آداب اللغة الفرنسية ؛ وأذكر اني قرأت خلال تلك المدة ترجمة فرنسية لكتاب وضعه انجليزى عن مشاهير المجرمين ومحاكماتهم ؛ والآن قد نيت مطلقا اسم ذلك الكتاب وأسم مؤلفه ، وما ذلك الا لاني كنت حديث السن وقت قراءته ولم أكن احسبني سأحن لقراءته ثانية . فلم أشعر بخيارته الا حينما افقدته بعد عدة سنين فما

وجده : يد أنى اذكر منه قصة ذلك المحامى بالمر الذى اتهم هو وطيب بقتل مدام ريجولى بتشقيها غاذا خائفا، وكان بالمر هذا قد تزوج من مدام ريجولى مع وجود زوجته وثبت رسميا أنها أوصت بثروتها له بعد مماتها، ولكن لم تقم أدلة مادية ضده حكم ببراءة من تهمة قتلها وقضى عليه بالحبس اثني عشر شهرا لارتكابه جريمة تعدد الزوجات . وبعد خروجه من السجن نجح في كسب القضية التي قامت حول ثروتها واستولى عليها بمقتضى الوصية الشرعية (١) ولست اذكر من تفاصيل تلك القضية ألا هذا وأنا أنى أحس بل أوكد ان الكتاب الذى قرأت فيه تفاصيل تلك القضية لابد أن يكون قد وقع في يد دى لا بومراى فأوحى إليه طريقة ارتكاب جريمته التي سنأتى لك على ذكرها فيما لى، وهذا طبعاً مع وجود فوارق بين هذه الجريمة الاصلية وبين الجريمة التي ارتكبها هو

إذن فلأرو الحوادث دون تعليق ولا شرح تاركا للقارئ استنباط مايعن له :
 فى سنة ١٨٦١ قطع بومراى كل علاقة له مع مدام بوا التي أقام معها حوالى الثلاث سنوات قبل زواجه . وفى شهر يونيه عام ١٨٦٣ ذهب الى زيارتها دون أن يدعى الى هذه الزيارة ؛ وقد زعم لها أن الدافع له على تغيير خطته معها أنه مشفق على أولادها ويرى أن أقل ما يجب عليه نحوهم هو أن يعنى عناية جدية بأمر مستقبلهم وأنه لا يتأخر عن بذل أية مساعدة لهم فى ذلك ، ويتجاذب العاشقان القديمان الحديث فى تلك المسألة الهامة فيقترح الطيب فكرة عرضية هي أن تؤمن مدام بوا على حياتها، ثم يقف عند حد هذا الاقتراح ويتركها ويمضى . واستأنفا العلاقات وعادا الى بث اللوعة والوجد وارتفع العذار وعادت المياه الى مجاريها بينهما، وافاض عليها بومراى بشرح خطته التي تلتخص فى أنه سيقوم بالنيابة عنها بالتأمين على حياتها فى عدة شركات للتأمين على الحياة على مبلغ ٢٠ ألف جنيه . وهو بالطبع الذى سيقوم بدفع قيمة التأمين السنوية وتكتب صائم التأمين باسمه . فلما سأله وكيف يستفيد أولادها بهذه الطريقة أجابها بأنه عند ما يتم

(١) ما اشبه هذه القضية بقضية السيدة منيره فهمى زوجة المرحوم على بك كامل فهمى وقد قتلته فى لندن فحكم ببراءتها وجاءت الى مصر تطالب بمبرأتها الشرعية فى زوجها - العرب

استخراج قسائم التأمين تنضم هي بمرضى شديد يدخل في وعرضه ساءه الشراكات
 أنها قد لا تبرأ منه ، فيذهب و مرأى اليهم ويثير الرعب في قلوبهم بأن لا أمل في شفاء
 المؤمن على حياتها بذلك المبلغ الطائل و أنها لن تلبث حتى تموت فيستحق دفعه الى الموصى
 له به — وهو بومراى نفسه ، فيغريهم لالغاء عقد التأمين القديم وكتابة عقد جديد
 تقبل الشركة أن تدفع بمقتضاه مبلغا يتراوح بين ٢٠٠ جنيه و ٣٠٠ جنيه سنويا الى
 مدام بوا طوال حياتها ، ولا ريب أن الشركة تقبل هذا التغيير عن طيب خاطر إذ
 تري مدام بوا على حافة الخطر ، وحينئذ تنجو هي من الخطر بفضل علم عشيقها
 الطبيب الراسخ في فنه ، وتحصل — بفضل تديره المحكم — على مبلغ من المال سنويا
 يقيا وأولادها شر الحاجة ويساعدها على اخراجهم اخرج احسن . وما كاد الطبيب يفرغ من
 شرحه ويانه حتى أعلنت مدام بوا موافقتها التامة على تنفيذ تلك الخطة دون أن
 تترتب بالتفكير في الجريمة التي هي مقبلة على ارتكابها : جريمة الغش والثر . ير الى
 إن أكتشفت ، فضلا عن أنها تسلبها حقها في التأمين ، فقد تحاكم ويحكم عليها بالسجن
 من أجلها ، ولكنها كانت مدفوعة في الموافقة عليها دون بحث أو تفكير بعاملين
 قوين . الأول أنها كانت تنظر الى عشيقها كأنه الولي على أولادها أو الوصى عليهم ؛ والثاني
 نشوة استئاف العلاقات الغرامية مع عشيقها القديم : ولم يداخل المسكنة أى شك
 مطلقا في حقيقة نوايا ذلك الرجل ؛ مع أن قليلا من التفكير في التعهد الذى
 اخذه على نفسه بدفع رسوم التأمين — وقد كانت ضائقته المالية أظهر من أن تذكر —
 يجعل من الواجب عليها أن تتساءل على الأقل عن الطريق التى سيجب منها بذلك
 الرسوم الباهظة !! ولكن الحب أسوأ من فقد البصر ، لأنه أعمى ولا يدرك أنه أعمى .
 بينما تجد الضرر دائما على حذر ، يستعيز عن فقد بصره بحساسة غريزية فائقة قلما
 تدفعه الى ركوب متن الشطوط ، اذ يرى يصير به مأور محروم من رؤيته بصره المفقود
 على أن بومراى لم يفقه الحذر في تنفيذ خطته المرسومة : فلم يظهر أمام رؤساء
 شركات التأمين حتى لا يثير في أذهانهم أقل ذرة من الاعتقاد فيه بأن اهتمامه لتلك
 المسألة لا بد أن يكون ذا مرمى أو فائدة تعود عليه ؛ ولذلك جعل معاملاته معبا
 بواسطة أحد وكلائها المدعو ديزميد . وقد تبين فيما بعد أن ماضى ذلك الوكيل لم

يكن خاليا من اللطخ السوداء . وقد تمت الصفقة باستخراج ثمانى بوالص تأمين على حياة مدام بوا لدى ثمانى شركات مختلفة، بلغت قيمتها جميعا ٥٥٠ ألفا من الفرنكات: وبالطبع قسبى صدور هذه البوالص كشف اطباء تلك الشركات على مدام بوا كشفا طيبا دقيقا لم يدع مجالاً للشك فى سلامة بنيتها وعدم اصابها بمرض من الامراض القتالة كما هى العادة لدى شركات التأمين على الحياة؛ ومع أن رسوم تلك البوالص الثمانية مع القسط الاول من سنوية التأمين، وقد بلغت ١٩٠٠٠ فرنك، اعطيت عنها الوصولات بأسم مدام دي بوا، فإنه لم يكن سرا خافيا أن مصدر هذه النقود هو الكونت دي لا بورماى (وقد كان كوتخا بقدر ما أنا باشا!) كما فهم الذين عرفوا ذلك ان المقصود به إنما هو النظر لمستقبل اولادها وابناء هو... غير الشرعيين!

وقد تم كل ذلك فى اواخر شهر يونيو من ذلك العام وفى النصف الثانى من شهر سبتمبر التالى بدأت مدام دي بوا تدعى بين معارفها وجيرانها أنها تشكو من آلام رضوض اصابها على اثر سقوطها على درج منزلها وهى صاعدة أذ زلت قدمها فقد خرجت على السلم، واتبعت رواج تلك الاشاعة بالذهاب الى عدد من الاطباء عرضت عليهم نفسها وحصلت منهم على وصفات شتى للعلاجات متباينة، ولا شك قد أدرك القارىء اللبيب أن ترويج اشاعة السقوط من الدرج واستشارة الاطباء بشأنها كان نتيجة لخطئة من رسم مخترع فكرة التأمين: بورماى... غير ان ذلك المدير الحكيم قد ارتكب بعد ذلك غلطة شنيعة ما كان احراء بالخذر من الوقوع فيها... تلك أنه لم يصرف، الوصفات التى حصلت عليها مدام دي بوا من الصيدية، وهذا فضلا عن أن مدام دي بوا ظلت تودى اعمالها المنزلية جريا على عادتها قبل ادعائها المرض حتى اذا استهل شهر نوفمبر وانصرفت بضعة أيام من بداءته أشار عليها بورماى بأن تلتزم سريرها. حتى تهادى فى تهليل أطباء شركات التأمين الذين اتدبوا لعيانتها، بيد أن عشيقها لم يقنع بهذا وحملها على ان تتناول جرعة وصفها لها بأنها تظهر على منعاطها بعض اعراض الحمى، ومن سوء الحظ أن مدام دي بوا - رغم تحذيرات بورماى الصريحة الباتة - كانت تسر أدوار سير هذه المؤامرة أولا بأول الى صديقتها تدعى مدموازيل هلند متفائلة أمامها بأنه لن يمضى عليها وقت طويل حتى تكون قد ضمنت لنفسها

ولادها دخلا سنويا لا يقل عن ثلاثة آلاف فرنك . وفي الثالث عشر من نوفمبر حضرت الى زيارتها صديقة لها تدعى مدام ريدرنا على دعوة من صاحبها ، وجرى بهما الحديث الى الكلام عن المستقبل وآماله وآلامه ، قصص عليها مدام دى بوا في بساطة تامة ما ينتظرها من مستقبل سعيد بفضل سعة حيلة عشيقها وبعد نظره وعلى حكيمته وحتى ذلك الوقت لم تبد أية بادرة يستدل منها على قرب زيارة اطباء شركات التأمين لها

ثم اشتد عليها المرض حقيقة برغم محاولاتها اخفاء وطأته على ابناتها وبناتها وزارها في هذا الوقت بومراى وخصها خصا طيبا فقرر أنها مصابة بالكولورين (مبادئ الكوليرا) ولكن لن يمضى عليها يوم أو يومان حتى تشفى منه

ولكن لم يمض يوم أو يومان حتى كانت جثة هامدة ، وفي مساء السادس عشر من نوفمبر لفظت مدام دى بوا آخر نفس في حياتها بحضور صديقتها مدموازيل هلند ؛ وبينما كانت هذه نازلة الدرج لتبلغ الخبر الى بوابة المنزل قابلت بومراى صاعدا ، فأنبأته بالخبر المفجع ، فلم يبد عليه أى تأثر ولا دهشة ، ولم يزد على أن قال لها هذا ما كنت انتظره ، . . . ثم صعد ووقف بجانب سرير الماتة ، وبعد أن خصها قال : هذا كله نتيجة السقطة التى سقطتها من على الدرج ، فلم تسطع مدموازيل هلند صبرا على كل ذلك الروغ ، وصارحته بأنه أنما يكذب ؛ وأن صديقتها لم تسقط مطلقا من على درج ، وانها قد أطلعنها بل كانت تطلعها أولا بأول على ما كان يدور بينهما حول تلك النسبة المزعومة للحصول على مرتب سنوى لصديقتها الماتة

ومما لا شك فيه أن اقضاء مدموازيل هلند الى بومراى بذلك الحديث كان جديرا بأن يعتبر انذارا له يقفه عن التماهى فى الاندفاع وراء مآثر الشبهات ضد ، كأن يذهب صبيحة اليوم التالى لموت مدام بوا — وحرارة دمايتها لم تكد تبرد بعد — الى شركات التأمين مطالبا بتسوية مبالغ الضمانات المأخوذة عليها !!

وبالرغم من هذا الطيش فى التعجل بمطالبة شركات التأمين ، وما سبقه من انذار مدموازيل هلند له الذى لم يلبث أن شاع وذاع وبلغ جميع الاسماع — حتى تقدم آخرها السيور جوشون دى بوا يلاغ الى السلطات للتحقيق فى موت شقيقته — بالرغم من هذا كله

لم تتحرك تلك السلطات للعمل . ودفت مدام دي بوا ، وانقضت بضمة أسايح ، وأصبحت شركات التأمين على وشك دفع المبالغ المزمّن بها على حياتها ، وجعل يومراى يبنى نفسه بنجاح لعبته ، وبات يعتقد ان الأرض ستطوى آثار جريمته الثانية كما طوت جريمته الأولى

ولكن المسير جوشون مازال بطرق كل باب مناديا بأن أخته قد قضى على حياتها غدرا ، وأخيرا رضى البوليس أن يتحرك . . . وصرح باستخراج الجثة وتشريحها بواسطة الاستاذ تارديو ، وقد تم ذلك واخرجت الجثة وشرحت فى منتصف الليل ، ولكن أستاذ التشريح الذي لا يباري قرر أن الامعاء سليمة وأن ليس فيها أثر مطلقا للسم !

وكان قد عهد بالتحقيق الى المسير جونييه الذى جاء ذكره فى احدى الجرائم السابقة . فدرس المسألة من جميع أطرافها ، وأحاط بتفاصيل المؤامرة المزعومة ضد شركات التأمين كما روتها مدموازيل هلمند نقلا عن لسان القتيلة ، فإذا يفعل رجل البوليس ؟ لاشك ان الموقف كان حرجا للغاية اذ لو أقدم البوليس على القاء القبض على كل شخص تحوم حوله الشبهات لما وسعت السجون المشهورين ولعرقل التحقيق معهم — حتى تظهر برايتهم — سير الابحاث وراء الجناة الحقيقيين . ويكون الأمر أدهى وأمر اذا كان المقبوض عليه لمجرد الاشتباه طبيا !! اذ تقوم نقابة الاطباء على بكرة أيها بالاحتجاج على تصرفات البوليس المخجلة !! منادية بالويل والثبور وعظائم الأمور للاعتداء على عضو منها . . . فإذا يفعل رجل البوليس ؟؟

لبث جونييه يفكر ويفكر عله يهتدى الى طريقة توصله الى كشف غوامض هذه الحادثة دون أن يرتطم بصخور المقتضيات الاجتماعية ، الى أن جاءت عليه الصيحة المبكرة فى أحد الايام فى أواخر شهر ديسمبر التالى واذا هو فى منزل دي لا يومراى واقف تجاهه والطبيب لم يكده يفارق فراشه ولكنه يستقبل ضيفه — أو زائره كما تحب — فى أحن بشاشة وأظرف ترحاب ، ولم تظهر على يومراى أية اشارة مهما تكن ضئيلة تثير فيه شكاً أو ريبه . ولبثا يتحدثان زهاء الساعة فظهر الطبيب حسن استعداد له لمساعدة رجال البوليس فى الكشف عن غوامض موت مدام دي بوا ، لو أن هناك شيئا غامضا

حقاً ، وسرد على رجل البوليس قصة علاقته بمدام دي بوا من أولها ، ولم يقف عند حد الاقوال بل تقدم لاثبات صدق قوله بالأدلة المادية وهى خطابات عشيقته المنكودة ففتح درج طاولة وأخرج منه رزمة خطابات ملفوفة بعناية فى شريطة من حرير ، وقال لناظره : « هذه هى خطاباتنا اقرأها وأحكم بنفسك »

فلم يكدنظر المسير جونه يقع على رزمة الخطابات حتى أبرقت أسرته حيث خطر له خاطر فجائى عجيب . ذلك أن هذه الرزمة لا بدقد أعدت من قبل كما يعد المجرم دفاعه وهو متوقع بين آونة وأخرى زيارة البوليس له ، وكان هذا الخاطر الفجائى بمثابة قضاء حاسم على كل شك ساور المسير جونه فى ارتكاب يومراى للجريمة ، يند أنه لم يشأ أن يبه المجرم ويظهره على نتيجة استقرائه . وعاود الحديث معه فقال : « أو كذلك باعزى الدكتور أتى لم أشك لحظة قبل قدومى إليك فى براءتك وبعدك عن ارتكاب ما قد يكون ثمة من جريمة ، ولكن مازالت هناك بعض اجراءات شكلية لاستيفاء التحريات والتحقيقات الملقاة على عاتقنا نحن رجال البوليس ، ولا مندوحة عن تدوين مآذاريتنا من حديث فى محضر رسمى ، ومن رأى أن يتكرم سيدى الدكتور بمرافقتى الى سراى العدلية بدلا من البقاء هنا حيث قد يقطع علينا الحديث فى أى وقت بدخول واحد من المرضى العديدين الذين تعالجهم ، فهل تستطيع باسدى ان تمنحنى نصف ساعة من وقتك ؟ »

أجاب دى لا يومراى فى ذات غتته المستظرفة : « بالطبع ألى طلبك بكل سرور ، ولم ينقض الحوار الذى دار بين المحقق ودى لا يومراى فى دار العدلية — وقد دام عشر ساعات — حتى أصدر المحقق أمره باعتقال الطبيب فى سجن مازاس متهما اياه بقتل مدام دي بوا عمدا مع سبق الإصرار

وليس يهنا كثيراً أن تابع محاكمة الطبيب خطوة خطوة ، على أنه بالرغم من الدفاع المتين الذى تقدم به الاستاذ لاشو من أشهر محامى ذلك الوقت : وبالرغم من تقارير الخبراء المعينين من قبل الدفاع : فقد كانت الشهادات والأدلة التى قامت ضد يومراى من القوة بحيث أن المحلفين أصدروا قراراً بالإلجام بأدائه . فحكم عليه

هذا هو الرجل الذي انتصب واقفا من مقعده عند ما دخل عليه الفريد. فلبو في غرفة سجنه ، ثم جعل يمدج زائره الجراح الأشهر بنظريه بضعة ثوان أشار إليه بعدها بالجلوس على المقعد الذي أخلاه ، واعتمد هو إلى سريره في صمت غائر منتظراً أن يبدأ الزائر بالحديث

قال الزائر : « سيدى ليس بين الأطباء وبعضهم كبير حاجة إلى المجاملة في كلامهم عن الموت ، وهم أبداً معرضون لتلك الخاتمة بسبب مهتهم مهما توعت سبل هلاكهم وأنا نقسى اتسى لطائفة المحكوم عليهم . »

تقاطعه دى لا بومراى : « اذن أنت تعنى ياسيدى انه لم يبق لي أمل مطلقاً في النجاة ؟ »

— هذا صحيح ولكن ما يزال باقيا لك بضعة أيام على كل حال ، وعلى ذلك فإن الاقتراح الذى سأعرضه عليك إنما هو اقتراح شرطى ، فإذا مانجوت بحياتك كان ذلك حنا وإلا ...

فتقلصت ملامح وجه بومراى وافتر عن ابتسامة الأيس متائلا ، وإلا ماذا ؟ ، وبدلا من أن يجيبه فلبو على سؤاله مباشرة أخرج من جيب سترته كيساً صغيراً يحتوي على آلات جراحية وتناول منه مبيضاً رفع به كم دى لا بومراى إلى الورا ، ووضع أصابعه على يده يحس نبضه ثم اندفع قائلاً :

— أن نبضك ثابت ثباتاً عجيباً نادر الحدوث في مثل الموقف الذى أنت فيه الآن ، ولذلك فاني مكاشفك توا بالغرض من هذه الزيارة . أنت تعلم أن من أهم مسائل الطب الحديث البحث عما اذا كان العقل البشرى يستطيع أن يحتفظ بطريقة أو أثر من الذاكرة (الحافظة) بعد انفصال الرأس عن الجسد ...

أجاب دى لا بومراى : « أعرف هذا وقد أطلعت على جميع ما قيل وكتب في هذا الموضوع ، بل أذكر أنى سمعت إحدى محاضراتك عنه ، وأخشى أن لا أستطيع أن أوافقك على النتائج التى وصلت إليها في ختام محاضرتك . إذ أنى أعتقد باستطاعة العقل البشرى الاحتفاظ بأثر مامن الذاكرة الحافظة ، وقبل انقضاء أسبوع سوف

أعلم صدق نظريتي من كذبها علماً أكيداً ولكني بكل أسف لن أثبت أن أعلم هذا حتى أكون قد نسيت

وحينئذ تكلم الجراح يبطه محققاً في مناظره قال : — صحيح أنك سوف تنسى كل شيء ، ولكنك حينئذ تكون قد خدمت الإنسانية والعلم وأثرت الطريق أمامها أبدياً (ثم تحول إلى هيئة غريبة واستمر قائلاً) أما وقد تفاهنا فأني تخبرك أنني قدمت لزيارتك من أجل تلك المسألة ، وأنا مؤمن من قبل جماعة من أشهر زملائي في باريس ، وهاك التصريح لي ببحث المسألة ، موقع عليه من الامبراطور نفسه ، وهو يخول لي سلطة واسعة كما ترى ، حتى إلى حد أنني أستطيع تأجيل تنفيذ حكم الإعدام فيك إذا بانث لي حاجة إلى ذلك

فنظر المحكوم عليه إلى محدثه مبهوراً وقال :

— لست أفهم تماماً ما تريد ؟!

— دعني أشرح لك الأمر يا ميسو بومراي باسم العلم العزيز ، علينا بالغة ما بلغت مصيقتي من طلابه في سبيل خدمته... باسم العلم الذي يعد صحاياه من حاولوا القبض على ناصيته بالملأ — باسم هذا العلم حضرت إليك لأسألك أن تعطى مثلاً في الشجاعة والذكاء أكثر مما استطاع أي فرد من بني الإنسان أن يعطيه في زمن مضى ، فأذا ما رفض طلب العفو عنك فلأنت اعظم الناس كفاءة وأقدرهم على أظهار العلم على حقيقة ينشدها ولما يظفر بها بعد ، فلو أنك استطعت أن تجعلنا نفهم بأي وجه من الوجوه ، كأن تعطينا إشارة ما بعد اعدامك وفصل رأسك عن جسك ، تفيد احتفاظك — أي عقلك — بشيء من الذائرة ، أذن نكون قد خدمت العلم خدمة فائقة ، ويحسد اسمك في بطون تاريخ عظماء الرجال ، ويمحو الفضل العلمي الذي ينسب إليك ما يكون قد علق باسمك من ادران المجتمع ومساومه

فبهت لون بومراي وهمس بجيباً :

— لقد قاربت أن أفهم !

وعاد محدثه يقول :

— لست بحاجة لأؤكده لك أن مهمتك سوف تنتهي عقب ذلك مباشرة ، وحينئذ

كن على ثقة من أن جثتك سوف نودع مقرها في راحة أبدية دون أن تعرض ف
بباضعا، وكل ما هنالك أنى سوف أكون ناظرا في وجهك عندما تستقسطسكين المقصلة
على رقبك، ثم اتناول رأسك بسرعة بين يدي بمجرد انفصالها عن جسدك، فأضع فمى
على أذنك — ولأنه كلما كانت التجربة سهلة كان نجاحها أقرب — أقول لك يا مسيو كوتى
دي لا پومراي اذا كنت تذكر ما اتفقنا عليه فهل يمكنك في هذه اللحظة ان تغمض
جفن عينك اليمنى ثلاث مرات متتابعة بينما تبقى عينك اليسرى مفتوحة، فإذا استطعت
في تلك اللحظة — مهما يكن من ملاح وجهك الأخرى — أن تجعلنى أشاهد تلك الحركة
الثلاثية التى شرحتها لك، وأن تغلب ارادتك على ذلك الفزع الرهيب، وتحفظ بنباتك
ضد أسباب الغيوبة المجتمعة فى ذلك الظرف — اذا استطعت أن تفعل كل هذا فأنت
تكون قد قدمت للعلم ضوماً كافياً يسير على دربه مسترشدا بنوره لفهم كثير من الحقائق
التي لا يزال يتلسها . وثيق ياسيدي أنى سأعمل على نشر اسمك وفضلك فى عداد الابطال
وبحore من قائمة المجرمين

وما انتهى قلبو من كلامه حتى سقط دى لا پومراي قاعدا على سريره كالمصوق
أو كالمأخوذ .. وبعد برهة قال :

— أن الصدمة التى سوف القاهها — رغم ما سأبذلُه من جهد بفضل ارادتي — ستوقني
عن تذكر كل هذا فى ساعة الموت . زد على هذا أن قوة الاحتفاظ بالذاكرة تختلف
باختلاف الاشخاص والأمزجة، لاسيما فى موقف الأعدام . ومع ذلك فأرجوك ياسيدي
أن تعود الى صبيحة يوم أعدامى لأخبرك بما يستقر عليه رأيي فى هذه المسألة
ولحظة أخرى وغادر قلبو غرفة السجن



ومضت اثنتان وسبعون ساعة بعد تلك المقابلة كان يتناقص الأمل خلاها فى تنفيذ
التجربة التى اتفق الطيبان على اجرائها . وبعد ظهر ٨ يونيه ذهب الاستاذ لاشو —
حامى پومراي — الى التوليرى صحة زوجة المحكّم عليه التمة . وحصل لها على أذن
بمقابلة الامبراطورة . وهذه لم تتردد فى الوعد بالتوسل الى الامبراطور . وهذا بدوره
لم يخيب الرجاء المعقود عليه ، فوعد الزوجة البائسة بالبقاء على حياة زوجها حققت

المسكنة في عربة . وخطت لزوجها بضع كلمات بقلم رصاص قالت فيها ، لقد وعدت جلالة
الامبراطور بتعديل الحكم الصادر ضدك ، وارسلتها اليه اذ لم تستطيع مقابله
وبعد ثلاث ساعات انعقد مجلس الوزراء في قصر التويلري برئاسة نابليون الذي
اقترح — برأى بوعده — تعديل حكم الاعدام . وحينئذ عارض جميع الوزراء تلك
الفكرة مستندين في معارضتهم على أن مهنة بومراي التي سدت السبيل في وجه البوليس
دونه في حادثة مدام دوبيزي (حماه) اصبحت هي بذاتها (مهنته) السبب القوي
في القصاص منه ، أضف الى هذا أن المحكوم عليه ينتمى لطائفة تداول ارواح الناس
فن الضروري أن يضرب لهم مثل يكون فيه عظة وعبرة لمن عسى أن يلعب الشيطان
بلبه من أفرادها ؛ الخ . الخ . . فرضح الامبراطور لوزرائه ، وصدرت الاوامر
بتنفيذ الحكم في صباح اليوم التالي ، ولم يبلغ خبر هذه الاوامر إلى الامبراطورة
ولا إلى مدام دي لا بومراي وانما لم يفك ذلك الحامي الفاضل أن يذهب فيبلغ
الحقيقة الى المحكوم عليه خشية أن يتبادر إلى ذهنه في أخريات لحظاته أن
زوجته قد خدعته

*
*
*

أصبح صباح اليوم التاسع من شهر يونيو مشرقا بهيجا . وأوقف المحكوم عليه
في الساعة الخامسة من ذلك الصباح
وكان بين الذين دخلوا قاعته الجراح فلبو . وكان أول من خاطبه قسيس السجن الأب
كروزر ، فلم يطل الحديث بينهما لأكثر من عشر دقائق . ثم التفت (بومراي) إلى
الجراح الاثني عشر وقال له ، لقد تمرنت ، وآمل أن أقوى على تحقيق غايتك ، وبينما
كان حكم الاعدام يتلى عليه كان يغمض عينه اليمنى ويفتحها محافظا على أن تبقى عينه
اليسرى مفتوحة خلال التجربة

وبعد ربع ساعة فتح باب السجن على مصراعيه وسرعان ما طرح على المقصلة
ثم لم تكد تمضي ثوان ثلاث حتى هوت سكينها على عنقه . فارتج المكان من هول
الصدمة . وما كاد الحضور يستجمعون أذهانهم حتى رأوا رجلا يحمل الرأس المقطوع
بين كفيه وقد حنق فيه تحديقا غريبا ، ثم لم يلبث أن قرب أذن الرأس إلى فمه كما

يسر إليها شيئاً فلهل النظارة وأذهلهم العجب المتعرج بالخوف ، على أن ذلك الرجل
 أعاد الرأس بعد هنية إلى السلة المخصصة لها . ثم شمر أكمامه وغتلت يديه من الدم الذي
 سال عليهما في قروانة الماء التي يغسل فيها السياف ومساعدوه أيدى بهم ثم مضى
 وقد دون قلبه ذلك الحادث الرهيب فقال : « ما كدت انطق الكلمات الأولى
 من الجملة المتفق عليها حتى أطبق جفنا العين اليمنى على بعضهما وظلت العين اليسرى مفتوحة تماماً
 وعندئذ صحت : بسم بارتك أعطيت الإشارة مرتين أخرتين ، وكان صوتي عالياً
 يسمع على بعد بضعة أمتار رغم أن في كان لاصقاً بالأذن ، وحينئذ ارتعش الجفنان
 واهتزت رموشهما اهتزازاً يكاد يكون غير محسوس ، ولكن العين فتحت ثم أغمضت
 وكان الوجه قد بهت بهوتاً شديداً أقرب إلى الزرقة منه إلى البياض ، وبعد خمس
 ثوان لم تكن ثمة أدنى حركة .

أصمر مختار



فهرست

ص	
١	حدود المعرفة وتقسيمها
١٩	الاشتركية - عن روبرت رشاردز
٢٤	فيلكس لاداتك - البيولوجي
٣٢	لما قرأت نيتشة - عن أميل فاجيه
٤٧٠	تحسين النسل
٥٠	الليل - من أغاني بليتيس - شعر
٥٣	المدنية اليهودية المستقبلية
٥٦	سياسة حزب العمال الانجليزى
٥٩	اعترافات متطفلة - قصة مترجمة عن التركية
٧٠	الغيرية
٧٢	فساد النظم الاجتماعية
٧٦	ادمون رويستان - محاضرة
٩٤	نماذج الشعراء ووحدة الحب - قصيدة
٩٦	نظرة نقدية - حد الامكان
١٠٠	هل الضوء مادة
١٠٢	حقيقة الرب والفائدة
١٠٧	نظام البيع بالتقسيط
١٢٠	ماذا حدث - في ولاية اركنساس - حول التطور
	استايل مظهر
	مصطفى حدى القوفى
	ابراهيم حناد
	عبد الحميد سالم
	ع.ع
	حسن كامل الصيرفي
	عمر عنايت
	
	
	أبو العينين
	ح.ا
	للاستاذ الجداوى.
	أبو شادى
	الحاجري
	حسن أحد السلان
	سليم على سليم
	عمر عنايت
	بنسل البيوفى

تابع فهرست العدد

ص

أبو شادي	سخرية الحياة - قصيدة	١١٢
عبد الحميد سالم	هنري برجسون - في نظر معاصرة	١١٤
.....	موسيقى شوبرت	١٢٦
	نهضة الترجمة والتعريب - بمناسبة صدور الطبعة الثانية	١٣١
	من قاموس الدكتور محمد شرف	
أحمد مختار	أفطع جرائم القرن التاسع عشر - قصة كاملة	١٤٥

